أوشــو

الحب والحرية والفردانية



ترجمة : متيم الضايع

دار الحوار

الحب والحرية والفردانية

الكتاب: الحب والحرية والفردانية
المؤلف: أوشو
المترجم: متيم الضايع
الطبعة الثانية: 2013/1

ISBN: 978 – 9933 – 477 – 50 - 9

تم تنفيذ التنضيد والإخراج الضوئي في القسم الفني بدار الحوار

دار الحوار للنشر والتوزيع www.daralhiwar.com
اللاذقية، سورية، ص. ب 1018
هاتف وفاكس: 339 422 41 963+
البريد الإلكتروني daralhiwar@gmail.com
info@daralhiwar.com

أوشـــو

الحب والحرية والفردانية

ترجمة: متيم الضايع

دار الحوار

المحتويات

(*). هو مجتمع ما يقوم على مجموعة من الأشخاص يتبادلون الدعم فيما بينهم ويتشارك الجميع في الممتلكات والمسؤوليات.

مقدمة

في مجمع أفلاطون الفكري يقول سقراط:

إن الرجل الذي يختبر ألغاز الحب سيصبح على تواصل مع الحقيقة نفسها وليس مع انعكاسها. وحتى تتعرف على هذه النعمة الإنسانية لن تجد مساعداً أفضل من الحب.

طوال حياتي وأنا أتحدث عن الحب وذلك بالعديد من الطرق المختلفة، لكن الرسالة كانت دائماً نفسها. علينا أن نتذكر شيئاً واحداً وأساسياً: ليس الحب هذا الذي تظن أنت أنه حب، ولا ذلك الذي كان قد تكلم عنه سقراط، ولا هذا الذي أتكلم عنه أنا.

الحب الذي تعرفه ما هو إلا رغبة بيولوجية، تلك الرغبة المتعلقة بكيمياء الجسد وبالهرمونات. تلك الحالة الكيميائية يمكن أن تتغير ببساطة. إن تغيراً صغيراً في كيمياء جسدك سوف يجعل الحب الذي تعتبره أنت الحقيقة القصوى يختفي ببساطة. إنك تسمي الشهوة "الحب"، لكن الفرق بين هذين الأمرين يجب أن يبقى في الذاكرة.

يقول سقراط: " إن الإنسان الذي يختبر ألغاز الحب.............."، ليس في الشهوة ألغاز، إنها ببساطة لعبة بيولوجية، موجودة في كل حيوان وكل طير وكل

شجرة. من المؤكد أن الحب المحتوي على الغموض سيكون شيئاً مختلفاً تماماً عن ذلك الحب الذي كنت اعتدت على معرفته.

إن الإنسان الذي يختبر ألغاز الحب سيصبح على تواصل مع الحقيقة نفسها.

ينشأ الحب الذي يجعلك على تواصل مع الحقيقة بحد ذاتها من وعيك، وليس من جسدك، ينشأ من أعماق كيانك. إن الشهوة تنشأ من الجسد بينما ينشأ الحب من الوعي. لكن الناس لا تعرف حقيقة وعيها، وهذا ما يجعل سوء الفهم مسيطراً بحيث تُعتَبَرُ شهوتهم حباً.

الأشخاص الذين عرفوا الحب في العالم قليلون جداً. إنهم أولئك الأشخاص الذين أصبحوا صامتين مسالمين بشكل كامل... وقد تمكنوا من خلال ذلك الصمت والسلام من التواصل مع عمق كيانهم الإنساني، مع أرواحهم. عندما تصل إلى المرحلة التي تتصل فيها بروحك سيصبح حبك ليس مجرد علاقة، سيصبح الحب ببساطة مثل ظلك. فأينما تحركت ومع أي إنسان تكون، تعيش حالة الحب.

ما تسميه الآن حباً هو شيء موجّه إلى شخص ما، مقتصر على شخص ما، بينما الحب ظاهرة لا يمكن تقييدها. بإمكانك الإمساك بالحب بأيدٍ مفتوحة وليس بإمكانك الإمساك به بأيدٍ مطبقة. عندما تطبق يديك فإنك تطبقهما على فراغ، وعندما تفتح يديك يصبح كل ما في الوجود متاحاً لك.

إن سقراط على حق: من يعرف الحب يعرف الحقيقة، لأنهما تسميتان لتجربة واحدة. وعليك أن تتذكر أنه إن لم تكن الحقيقة معروفة لديك فإن الحب غير معروف لديك أيضاً.

وفي النهاية، لكي تتعرف على النعمة البشرية، لن تجد مساعداً أفضل من الحب.

القسم الاول

الحب

قد يفاجئك أن تعرف أن كلمة (حب) التي هي باللغة بالإنكليزية (Love) قد تم اشتقاقها من كلمة سنسكريتيه هي (lobha) وتعني (الطمع). من الممكن طبعاً أن يحدث من قبيل المصادفة أن تتطور كلمة (حب) من قلب اللغة السنسكريتيه من معناها الأصلي (الطمع) إلى معناها الحالي (حب). لكن شعوري الشخصي يقول بأنه من غير الممكن أن تكون مجرد مصادفة. لا بد من وجود شيء غامض خلف هذا المعنى، لا بد من وجود أسباب خيميائية. في الحقيقة، إن الخلاصة النهائية للجشع تصبح حباً. إنه الجشع (lobha) بعد أن تم هضمه للحصول على خلاصته، ذلك الذي أصبح حباً.

الحب مشاركة والجشع احتكار، الجشع يأخذ ولا يعطي بينما الحب لا يعرف إلا العطاء ولا يطلب أي شيء بالمقابل، إنه مشاركة غير مشروطة. ربما كان هناك سبب خيميائي ما جعل كلمة الجشع تتحول إلى كلمة حب في اللغة الإنكليزية. إن الجشع يصبح حباً نسبة إلى الخيمياء الداخلية.

الفصل الاول

العشّاق

ليس الحب كما كنا نفهم عادة هذه الكلمة. إن الحب الذي اعتدناه هو مجرد قناع وهناك شيء آخر خلف هذا المعنى. الحب الحقيقي ظاهرة مختلفة تماماً. إن الحب الذي اعتدناه هو حاجة تُطلَب، والحب الحقيقي مشاركة. مشاركة ليس لها أي علاقة بالحاجة التي تُطلَب، مشاركة تعي فقط الفرحة في العطاء.

في حالة الحب الاعتيادي كثيراً ما نتظاهر، بينما الحب الحقيقي لا تظاهر فيه، إنه ببساطة كما هو. الحب الاعتيادي يتحول على الأغلب إلى نوع من الحالة المُقزِزة المَرَضية، نوع من الميوعة، وما ندعوه (حالة العشق) ما هو إلا مرضاً، شيئاً يدعو إلى الغثيان. الحب الحقيقي غذاء، إنه يقوي الروح. الحب الاعتيادي يقوم فقط بتغذية الأنا، لا يغذي ذاتك الحقيقية بل يغذي ذاتك غير الحقيقية. تذكر أن ما هو غير حقيقي يغذي غيرالحقيقي بينما الحقيقي يغذي الحقيقي دوماً.

كن خادماً للحب الحقيقي، خادماً للحب بشكله الخالص النقاوة. أعطِ، شارك بكل ما لديك، شارك واستمتع بالمشاركة، لا تفعل ذلك كنوع من أداء الواجب ـ عندها سوف تنتهي كل الفرحة. لا تشعر أبداً بأنك تُلزِمُ الآخرين بالحب، أبداً، ولا حتى لدقيقة واحدة، الحب ليس فيه إلزام، بل على النقيض من ذلك. عندما يستقبل أحد ما حبك، تشعر أنك ملتزم تجاهه. يشعر الحبِ بالامتنان إن تم تلقيه.

لا ينتظر الحب أية مكافآت، ولا حتى أن يُشكَرَ على ما فعل. وإن أتى الشكر من المتلقي فإن ذلك مفاجأة للحب، لكنها مفاجأة ممتعه لأنه لم يكن هناك توقعات لهذا الشكر.

لا يمكنك إحباط الحب الحقيقي لعدم وجود توقعات في المقام الأول. كما ليس بإمكانك إشباع الحب غير الحقيقي لأنه قائم على التوقعات، بحيث أنك مهما فعلت فستكون مقصراً تجاهه. إن التوقعات فيه كبيرة جداً بحيث لا يمكن لأحد أن ينجزها. لذلك يكون الحب غير الحقيقي مصدراً للإحباط والحب الحقيقي مصدراً للرضى والإشباع.

عندما أقول: "كن خادماً للحب"، فهذا لا يعني أن تصبح خادماً للإنسان الذي تحبه، أبداً. أنا أقصد أن تكون خادماً للحب، (**إن الفكرة النقية للحب يجب أن تُبَجَّل**). إن محبوبك ليس إلا صورة من صور تلك الفكرة النقية، والوجود برمته يتضمن ملايين الصور من تلك الفكرة النقية. الوردة هي صورة، مُكَونٌ واحد، القمر هو صورة أخرى، ويبقى الإنسان الذي تحبه هو صورة أخرى... ابنك صورة، والدتك، والدك، جميعهم صور، كل تلك الصور هي عبارة عن أمواج في محيط الحب. لكن لا تصبح خادماً لمن تحب. تذكر دوماً أن من تحب هو مجرد عنصر صغير جداً.

كن خادماً للحب من خلال من تحب، بهذه الطريقة لن تصبح متعلقاً بمن تحب. وعندما لا تكون متعلقاً بمن تحب يصل الحب إلى أسمى نقطة له. في

اللحظة التي يصبح فيها الإنسان متعلقاً يبدأ بالسقوط. فالتعلق هو نوع من الانحدار بينما عدم التعلق هو نوع من السمو. إن الحب غير الحقيقي هو نوع آخر من التعلق بينما لا يتعلق الحب الحقيقي بشيء.

في الحب الوهمي الكثير من القلق. إنه قلق دائماً. في الحب الحقيقي اهتمام ومراعاة للآخر، ولكن ليس فيه قلق. إن كنت حقيقة تحب إنساناً ما فأنت سوف تهتم بحاجاته الحقيقية، لكنك لن تبدي اهتماماً غير ضروري بتصرفاته الغبية، سوف تبذل كل ما في وسعك للاهتمام بحاجاته لكنك لن تكون مرتهناً لتحقيق رغباته الخيالية. أنت لن تحقق له أي شيء من الممكن أن يؤذيه. كمثال: أنت لن تشبع غروره رغم أن غروره سيكون مُتَطلِباً جداً، وإن كنت مفرطاً في الاهتمام والتعلق فستقوم بإشباع حالة الغرور، وهذا يعني أنك بطريقة ما تسمم محبوبك. إن المراعاة تعني أن تعرف بأن تلك الحاجات غير حقيقية وما هي إلا حاجات (الغرور) وسوف لن تحققها.

يعرف الحب التعاطف لكنه لا يعرف القلق. أحياناً يكون قاسياً لأن الأمر يحتاج أحياناً لأن يكون قاسياً، ويحتاج أحياناً لأن يكون متحفظاً وبعيداً، إن كان مفيداً أن يكون بعيداً فسيكون بعيداً. وأحياناً يكون بارداً. أياً تكن الحاجة فالحب يهتم بها، وبتلك الحاجة ـ لكن بدون قلق. إنه لا يحقق أية حاجات غير حقيقية، عليه ألا يشبع أية أفكار سامة لدى الآخر.

ابحث في الحب، تأملْ في الحب واختره. الحب هو أعظم تجربة في الحياة، وأولئك الذين يعيشون بدون أن يختبروا طاقة الحب لن يعرفوا معنى الحياة. إنهم سيبقون على سطحها ولن يغوصوا في عمقها.

إن تعاليمي موجهة باتجاه الحب. بإمكاني أن أُسْقِطَ كلمة (القدرة) ببساطة تامة ولن يكون هناك مشكلة ـ لكن ليس باستطاعتي أن أُسْقِطَ كلمة حب. إن كان علي أن أختار ما بين كلمة حب وكلمة القدرة فسوف أختار كلمة حب،

سوف أنسى كل ما يتعلق بالقدرة لأن أولئك الذين يعرفون الحب هم في طريقهم نحو معرفتها. لكن العكس غير صحيح. أولئك الذين يفكرون بالله ويتفلسفون عن الله ربما لن يعرفوا شيئاً عن الحب، وربما لن يعرفوا شيئاً عن الله أيضاً.

الفصل الثاني

ما هوالحقيقي وما هوالزائف

الخطوة الأولى

عليك أن تحب ذاتك وتراقب ـ اليوم وغداً، دائماً.

سنبدأ بواحد من أكثر التعاليم البوذية عمقاً:

عليك أن تحب ذاتك.

لقد تعلمتَ عكس ذلك المبدأ من خلال معظم التقاليد السائدة حول العالم ومن خلال جميع الحضارات والثقافات والأديان. الجميع يقولون: عليك أن تحب الآخرين لا أن تحب ذاتك. إن هذا النوع من التعليم يتضمن استراتيجية ماكرة لعينة.

الحب هو غذاء الروح. الحب بالنسبة للروح مثل الطعام بالنسبة للجسد، بدون طعام يصبح الجسد ضعيفاً وبدون الحب تصبح الروح ضعيفة. لا يوجد على الإطلاق أي دولة أو كنيسة أو صاحب نفوذ يريد أن تكون للناس أرواحٌ

قوية، فالإنسان ذو الروح القوية الثابتة يميل لأن يكون متمرداً بشكل لا يمكن السيطرة عليه.

الحب يجعلك متمرداً، ثورياً. الحب يمنحك جناحين لتُحَلِق عالياً، يمنحك بعد النظرة تجاه الأشياء بحيث لا يتمكن أحدٌ من خداعك أو استغلالك أو اضطهادك. بينما يعيش رجال الدين ورجال السياسة على دمك، يعيشون على استغلالك.

إن جميع رجال الكهنوت والسياسة عبارة عن طفيليات. لقد أوجدوا طريقة موثوقة بنسبة مئة بالمئة ليجعلوا منك شخصاً ضعيفاً من الناحية الروحية، وتقوم تلك الطريقة على تعليمك ألا تحب ذاتك، لأنه إن لم يحب الإنسان ذاته فلن يكون باستطاعته أيضاً أن يحب أي شخص آخر. كما أن تلك التعاليم خادعة لأنها تقول: "عليك أن تحب الآخرين". وهم يعرفون تماماً أنه إن لم تحب ذاتك فلن تستطيع أن تحب على الإطلاق. لكنهم يستمرون بالقول: "عليك أن تحب الآخرين، أن تحب الإنسانية، أن تحب الله. تحب الطبيعة، زوجتك، زوجك، أطفالك، أهلك" لكن لا تحب ذاتك. وبحسب قوانينهم فإن حب الإنسان لذاته هو نوع من الأنانية. إنهم يستنكرون حب الذات ولا يستنكرون أي شيء آخر.

لقد جعلوا تعاليمهم تبدو وكأنها منطقية جداً. هم يقولون: "إن أنت أحببت ذاتك فسوف تصبح إنساناً مغروراً، ستصبح إنساناً نرجسياً." وهذا غير صحيح.

إن الإنسان الذي يحب ذاته يكتشف أن أناه تختفي. وعبر محاولة حب الآخرين ـ بدون حب الذات ـ فإن الأنا تظهر. إن المبشرين والمصلحين الاجتماعيين والعاملين في مجال الخدمات الاجتماعية هم الأشخاص الذين لديهم أكبر (أنا) في العالم، وهذا هو الطبيعي. هم يظنون أنفسهم أشخاصاً استثنائيين، أشخاصاً خارقين، ليسوا أشخاصاً عاديين يحبون أنفسهم. إنهم يحبون الآخرين، يحبون الأفكار العظيمة، يحبون الله.

إن كل الحب الذي لديهم هو عبارة عن زيف، لأن حبهم هو من غير أصل، حب ليس له جذور.

يخطو الإنسان الذي يحب ذاته الخطوة الأولى باتجاه الحب الحقيقي. الأمر مشابه لإلقاء حصاة صغيرة في بحيرة ماء، حيث تتشكل موجة دائرية حول مركز سقوط الحصاة، هذا طبيعي، من أين ستبدأ إلا من ذلك المكان؟ وبعدها سوف تنتشر الأمواج لتصل إلى أبعد شاطئ. إن أنت أوقفت بطريقة ما التموجات المنبعثة قريباً من مركز سقوط الحصاة فلن تتشكل أية تموجات أخرى، وحينها لن تستطيع أن تأمل بوصول التموجات إلى شاطئ أبعد، إن هذا غير ممكن.

لقد أصبح رجال الدين والسياسة مدركين لتلك الظاهرة: إن إيقاف الناس عن حب ذواتهم سوف يدمر قدرتهم على الحب. وعندها، أياً يكن ما يعتقدونه ما سيكون شيئاً زائفاً. ربما كان أداء واجب لكنه ليس حباً. إن كلمة واجب هي كلمة قذرة مؤلفة من أربعة حروف. الأهل يقومون بواجبهم تجاه الأولاد وبالمقابل يقوم الأولاد بواجبهم تجاه آبائهم، الزوجة تقوم بواجبها تجاه الزوج والزوج بدوره يقوم بواجبه تجاه الزوجة. أين الحب في كل هذا؟

الحب لا يعرف الواجب. فالواجب عبء، إنه التزام شكلي. الحب متعة، الحب مشاركة، هو شيء عام غير رسمي. لا يشعر المحب بأنه قام بما يكفي، بل يشعر بأنه كان بالإمكان القيام بأكثر من ذلك. لا يشعر المحب بأنه يُلزِم الآخرين به بل على العكس من ذلك، يتكون لديه شعور آخر بحيث يقول: "بما أن من أحبه يتلقى شعور الحب الذي لديَّ، فأنا ملتزم. إن الآخرين يلزمونني عبر تلقي ما أعطيه وعدم رفضهم له."

يعتقد الشخص الذي تأسس شعوره على القيام بالواجب أنه أرقى، أنه روحاني، خارق للمألوف. أنظروا إلي كيف أخدم الناس!؟" هؤلاء الذين يقوم شعورهم على خدمة الناس هم أكثر الناس زيفاً في العالم وأكثر الناس خبثاً وأذىً أيضاً. إن كان بإمكاننا أن نتخلص من (المتطوعين لخدمة المجتمع)[1] فستصبح

---

[1]. **المتطوعون لخدمة المجتمع**: يقصد بهم الناس الذين ينذرون حياتهم لخدمة الناس والمجتمع مدّعين بأن حبهم للآخرين أكبر من اهتمامهم بأنفسهم. المترجم.

البشرية بدون أعباء، ستشعر البشرية بالخفة، سوف يكون بإمكاننا الرقص مجدداً والغناء أيضاً.

ولكن عبر القرون التي مضت تقطعت كل جذورك، تَسَمَّمتَ. جعلوك خائفاً من أن تحب نفسك يوماً مع أنها الخطوة الأولى في طريق الحب، هي التجربة الأولى. إن الإنسان الذي يحب ذاته إنسانٌ يحترم ذاته، والإنسان الذي يحب ويحترم ذاته هو إنسان يحب ويحترم الآخرين أيضاً، لأنه يقول في نفسه: "كما هو أنا، كذلك هم الآخرون. كما أستمتع أنا بالحب والاحترام والنُبل، كذلك الآخرون." لقد أصبح واعياً مدركاً أننا لسنا مختلفين من حيث الجوهر، نحن واحد. نحن نعيش تحت القانون نفسه. يقول بوذا: نحن نعيش في ظل القانون الأبدي نفسه. وفي الدخول في التفاصيل نحن ربما نختلف قليلاً بعضنا عن الآخر ـ وهذا يخلق تنوعاً، هذا جميل ـ لكن في الأساس نحن جزء من طبيعة واحدة، حياة واحدة.

يستمتع الإنسان الذي يحب نفسه بالحب كثيراً، لأنه من الممتع أن يبدأ الحب بالتدفق، أن يصل للآخرين، عليه أن يصل إلى الآخرين!! إن كنت تعيش الحب فعليك أن تشارك الآخرين به. ليس باستطاعتك أن تحب ذاتك إلى مالا نهاية، لأن هناك شيئاً سوف يصبح واضحاً بشكل لا يقبل الشك بالنسبة لك، وهو: إن كان حب شخص واحد، حبك ذاتك، أمراً مفرحاً جداً، فكم سيكون مقدار السعادة التي ننتظرها إذا بدأنا نتشارك هذا الحب مع الكثير من الآخرين!

رويداً رويداً تصل أمواج الحب إلى المنطقة الأبعد. تحب أشخاصاً آخرين، وبعدها تبدأ بحب الحيوانات، الطيور، الأشجار، الصخور. يمكنك أن تغمر كل الكون بحبك. إن شخصاً واحداً يمكنه أن يغمر الكون كله بالحب، تماماً كما تفعل حصاة واحدة عندما نرميها في بحيرة ـ حصاة واحدة صغيرة.

بوذا فقط يستطيع أن يقول (عليك أن تحب ذاتك)، ولا يستطيع أيّ مبشّرٍ أو سياسي أن يوافق على مقولة بوذا، لأن هذا مدمرٌ لكل صروحهم، لكل التركيبة الاستغلالية التي أنشؤوها، إن لم يُسمَح للإنسان أن يحب ذاته فإن روحه

وجوهره يصبحان أضعف، ويزداد ضعفهما كل يوم، سوف ينمو الجسد بدون أي نضجٍ داخلي، سيبقى جسداً بدون روح لأنه ليس لديه ما يغذي به روحه، وبأحسن الأحوال (سيبقى الجسد مع احتماليةِ فعاليةِ الروح)، إن الروح عبارة عن بذرة وستبقى بذرة إن لم تتمكن من إيجاد التربة المناسبة لها، التربة هي الحب، وأنت لن تجد التربة المناسبة طالما أنك تتبع الفكرة الغبية القائلة "لا تحب ذاتك".

أنا أعلمك أن تحب نفسك أولاً، وليس لهذا علاقة بالأنا. في الواقع، يبدو الحب وكأنه الضوء الذي لا يمكن لعتمة الأنا أن تتواجد فيه إطلاقاً. إن أحببت الآخرين، إن كان حبك مركزاً على الآخرين فسوف تعيش في العتمة. قم بتوجيه ضوئك باتجاه نفسك أولاً، كن ضوءاً لذاتك أولاً، دع ضوئك يبدد عتمتك الداخلية، يبدد ضعفك الداخلي. دع الحب يجعل منك طاقة عظيمة، قوة روحية.

عندما تمتلئ روحك بالقوة تدرك أنك لن تموت، أنك خالد، أنك أبدي. الحب يعطيك البصيرة الأولى باتجاه الأبدية. الحب هو التجربة الوحيدة التي تسمو فوق الزمن ـ هذا ما يجعل المحبين غير خائفين من الموت ـ الحب لا يعرف معنى الموت. إن لحظة واحدة من الحب هي أكبر من الأبدية.

لكن على الحب أن يبدأ من بداية محددة، لا بد أن يبدأ من تلك النقطة الأولى، من حبك لذاتك.

لا تعمدْ إلى إدانة ذاتك، فقد أُدنتها بما فيه الكفاية، وقَبِلتَ كل تلك الإدانات. والآن أنت مستمر بالقيام بذلك الأذى لنفسك. لا أحد يعتبر نفسه ذا قيمة بما فيه الكفاية، لا أحد يعتبر نفسه مخلوق الله الجميل، لا أحد يعتبر نفسه إنساناً مفيداً على الإطلاق. لقد تم تسميمك بتلك الأفكار. تم تسميمك بها منذ أن بدأت تتغذى على حليب الأم ـ وحدث ذلك خلال ماضيك كله.

عاشت الإنسانية تحت غيمة إدانة الذات المظلمة. إن كنت تدين نفسك فكيف يمكنك أن تنضج؟ كيف يكون باستطاعتك أن تصبح بالغاً؟ إن أدنت ذاتك فكيف لك أن تبجل الوجود؟ وإن لم تبجل الوجود من خلالك فسوف لن تكون قادراً على تقدير قيمة الوجود من خلال الآخرين. لن يكون ذلك ممكناً.

لا يمكنك أن تكون جزءاً من الكون إلا إن كان لديك احترام عظيم لله المقيم في داخلك. إنك بمثابة المُضيفْ والله بمثابة الضيف. عبر محبتك لذاتك سوف تعرف ذلك، سوف تعرف أن ذلك الإله اختارك لتكون الأداة التي تحمله. وفي اختياره لك لتكون الأداة يكون قد أحبك واحترمك. بمجرد خَلْقِكَ هو يُظهِرُ حبه لك، هو لم يخلقك بمحض الصدفة، لقد خلق لك قدراً محدداً وإمكانية معينة ومجداً معيناً عليك أن تبلغه وتصل إليه يوماً ما. نعم، إن الله قد خلق الإنسان على صورته، على الإنسان أن يصبح إلهاً، ومالم يصبح الإنسان إلهاً لن يكون لديه إشباع، ولن يكون هناك رضى.

ولكن كيف يمكن لك أن تصبح إلهاً؟ إن رجال الدين يقولون إنك آثم. يقولون إنك محكوم بالهلاك وإنك ذاهب إلى الجحيم. لقد جعلوك خائفاً جداً من محبة ذاتك، تلك هي خدعتهم، أن يقطعوا جذور الحب بحد ذاتها. إنهم أشخاص ماكرون، إن المهنة الأكثر مكراً وخداعاً في الحياة هي مهنة رجل الدين. إنهم يقولون: "عليك أن تحب الآخرين." سيكون هذا مصطنعاً ومجرد تظاهر.

إنهم يقولون: "عليك بحب البشرية، وطنك الأم، أرضك الأم، الحياة، الوجود، الله." إنها كلمات كبيرة لكنها خالية من المعنى تماماً. هل صادفتها في حياتك البشرية؟ إنك دائماً تصادف البشر وقد أدنت أول كائن بشري صادفته، إنه أنت.

أنت لم تحترم نفسك، لم تحب ذاتك. والآن ستضيع كل حياتك في إدانة الآخرين. هذا هو السبب الذي يجعل الناس ماهرين في اكتشاف العيوب. إن كانوا يجدون العيوب في أنفسهم فكيف لهم أن يتجنبوا العثور على العيوب نفسها في الآخرين؟ سوف يجدون العيوب حقاً، وسوف يضخمونها، بل وسوف

يجعلونها بأكبر شكل ممكن. يبدو لهم أن هذا هو المخرج الوحيد لحفظ ماء الوجه، ولهذا تجد هذا الكم الكبير من الانتقاد وهذا النقص في الحب.

برأيي إنها واحدة من أكثر تعاليم بوذا عمقاً. إن شخصاً واعياً فقط يستطيع أن يهبك هذا البصيرة.

إنه يقول: عليك أن تحب نفسك.... يمكن لهذا أن يصبح أساساً لتحول جذري. لا تخف من أن تحب ذاتك، عليك أن تحب بكل ما لديك وسوف تتفاجأ. في اليوم الذي تستطيع فيه أن تتخلص من كل أنواع تأنيب الذات، من عدم احترام الذات، اليوم الذي تستطيع فيه أن تتخلص من فكرة الخطيئة الأصلية، اليوم الذي تجد فيه نفسك مُستَحِقاً وأن الكون يحبك، سيكون يوم السعادة العظيمة. من ذلك اليوم فصاعداً سوف تبدأ برؤية الناس في صورتهم الحقيقية، ستراهم بعمقهم الإنساني المضيء، سيكون عندك تعاطف، ولن يكون تعاطفاً مصطنعاً بل سيكون من نوع التعاطف الطبيعي المتدفق بشكل عفوي.

يستطيع الشخص الذي يحب ذاته بسهوله أن يصبح إنساناً تأملياً، والإنسان التأملي يعني أنه شخص يستطيع أن يكون مع ذاته، إن كنت تكره ذاتك، كما تفعل، كما قيل لك أن تفعل، وإن اتبعت ذلك كنوع من التدين، إن كرهت ذاتك كيف لك أن تكون مع ذاتك؟ ليس التأمل إلا أن تتمتع بروعة خلوتك مع ذاتك، أن تحتفل بنفسك. إن هذا كل ما يدور حوله التامل.

ليس التأمل علاقة بين شخصين، ليس هناك حاجة للآخر على الإطلاق، إنسان واحد يكفي ألا وهو أنت، إنسان يسبح في مجده الشخصي وفي ضوئه الشخصي. إنسان وبكل بساطة سعيد لكونه يعيش، لأنه إنسان.

إن أعظم معجزة في العالم هي أنك موجود، هي أنني موجود. أن تكون موجوداً فتلك هي أعظم معجزة. والتأمل يفتح الأبواب على تلك المعجزة. لكن فقط الإنسان الذي يحب نفسه يمكنه أن يتامل، وإلا فإنك سلفاً تهرب من نفسك، تتجنب ذاتك. من يريد أن ينظر إلى هذا الوجه القبيح؟ من يريد أن ينفذ

ببصيرته إلى مخلوق قبيح؟ من يرغب بأن يغوص عميقاً في أوحاله، في عتمته؟ من يريد الدخول في جحيم أنت تراه في نفسك؟ أنت تريد أن تترك كل هذا الأمر محجوباً ومغطى ببعض الورود الجميلة، تريد دائماً أن تهرب من نفسك.

لذلك يبحث الناس دائماً عن الرفقة، لا يستطيعون البقاء وحيدين، يريدون البقاء مع الآخرين. الناس يبحثون عن أي نوع من الرفقة، إن كان باستطاعتهم أن يتجنبوا رفقة أنفسهم فإن أي شيء سيفي بالغرض؟ إنهم يجلسون في السينما لثلاث ساعات لمشاهدة شيء غبي تماماً، أو يقرؤون رواية بوليسية لعدة ساعات لإضاعة الوقت، يقرؤون الأخبار نفسها مرة بعد مرة فقط لإطالة انشغالهم. يلعبون الورق والشطرنج لمجرد قتل الوقت، وكأن لديهم الكثير من الوقت!

ليس لدينا الكثير من الوقت. ليس لدينا الوقت الكافي لننضج، لنكون، لنبتهج.

هذه واحدة من المشاكل الرئيسية التي أوجدها سوء التربية، إنك تتجنب نفسك. الناس يجلسون أمام شاشة التلفزيون ملتصقين بكراسيهم لأربع ساعات أو خمس ساعات. إن المعدل الوسطي للإنسان الأمريكي في جلوسه أمام التلفزيون هو خمس ساعات، ويبدو أن هذا الداء في طريقه للانتشار عبر العالم كله. وما الذي تشاهده؟ ما الذي تتلقاه؟ إنه حرق لعينيك ليس إلا.

هكذا هو الوضع دائماً، حتى لو لم يكن التلفزيون موجوداً، هناك شيء آخر. المشكلة هي نفسها، لماذا يتجنب الإنسان ذاته، لأنه يشعر بأنه قبيح جداً. ومن جعلك قبيحاً بهذا الشكل؟ إنهم من تسميهم أشخاصاً متدينين، رجال دين كالبابا الذي تتبع له أو الشيخ أو غيره، هم المسؤولون عن تشويه وجهك ـ وقد نجحوا بذلك، لقد جعلوا كل إنسان بشعاً.

يولد كل طفل بشكل جميل ونبدأ نحن بتشويه جماله، نعطبه بطرق مختلفة، نشلّه و نشوه تناسقه، نجعله غير متوازن. عاجلاً أم آجلاً يصبح مشمئزاً من نفسه ويكون هو جاهزاً ليكون مع أي شخص. يستطيع ربما أن يبيع نفسه ليتجنب فقط أن يكون مع نفسه.

يقول بوذا: عليك أن تحب نفسك. وهذا يمكن أن يغير كل تركيبة العالم، أن يغير بشاعة العالم السابقة، أن يعلن ولادة عصر جديد، يمكن لهذا أن يكون بداية لإنسانية جديدة.

لهذا كان إلحاحي على الحب. لكن الحب يبدأ بمحبة الذات ثم يبدأ بالانتشار، إنه ينتشر تلقائياً وليس عليك أن تفعل أي شيء لتنشره.

قال بوذا: عليك أن تحب نفسك، وأتبعها فوراً بعبارة (ثم راقب). هذا هو التأمل. هذا ما يعنيه بوذا بالتأمل. لكن المطلب الأول هو حب الذات، وبعدها راقب. إن لم تكن تحب ذاتك وبدأت بالمراقبة ربما ستشعر بأنك تنتحر، إن العديد من البوذيين يشعرون برغبة بالانتحار لأنه لم يتم الانتباه إلى الجزء الأول من التعاليم، لقد تم الانتقال فوراً إلى الجزء الثاني "راقب نفسك." في الواقع، أنا لم أصادف حقاً تعليقاً واحداً من (الدهامبادا)[2]، وقد لفتّ الانتباه إلى الجزء الأول والذي يقول "عليك أن تحب ذاتك".

يقول سقراط: "اعرفْ ذاتك" ويقول بوذا: "أَحبَّ ذاتك" وبوذا هو الأكثر صواباً، لأنه إن لم تحب ذاتك فلن تستطيع أن تعرف ذاتك ـ لن تأتي المعرفة إلا لاحقاً فالحب هو الذي يمهد الطريق. الحب هو الإمكانية لمعرفة الذات، الحب هو الطريقة الصحيحة لمعرفة الذات.

أقَمتُ مرة مع أحد الناسكين البوذيين وهو (جاديش كاشيب)، كان رجلاً جيداً وقد توفي. كان يتحدث عن الدهامبادا وقد عرجنا من خلال الحديث على التعاليم، وكان يتحدث عن المراقبة وكأنه لم يقرأ إطلاقاً الجزء الأول أي (حب الذات). ليس هناك بوذيٌّ تقليديٌّ انتبه يوماً للجزء الأول، إنه يتجاوزه بكل بساطة.

---

(2). **دهامبادا: مجموعة من النصوص على شكل تعاليم دينية في الديانة البوذية تُنسب إلى بوذا نفسه، وهي واحدة من أشهر النصوص القديمة المعروفة في الديانة البوذية.**

قلت (لجاديش كاشيب): " انتظر، لقد أهملت شيئاً أساسياً. إن المراقبة هي الجزء الثاني وقد جعلتها الجزء الأول، لا يمكن أن تكون المراقبة هي الجزء الأول."

عندها أعاد قراءة التعاليم وقال بعينين مرتبكتين: " أنا أقرأ الدهامبادا طوال حياتي، ولا بد أنني قرأت هذه التعليمة ملايين المرات. إنها صلاتي الصباحية اليومية للدخول إلى (الدهامبادا)، باستطاعتي أن أقرأها من الذاكرة، لكني لم أفكر يوماً بأن (أحبَّ ذاتك) هي الجزء الأول من التأمل وأن المراقبة هي الجزء الثاني".

هذه هي حال الملايين من البوذيين حول العالم، وهي حال البوذيين الجدد، لأن البوذية تنتشر الآن في الغرب. لقد أتى وقت بوذا في الغرب. الآن أصبح الغرب جاهزاً لفهم بوذا وبدأ الخطأ نفسه يحدث هناك أيضاً، لا أحد يؤمن بأن محبة الذات هي أساس معرفه النفس، أساس مراقبة الذات... لأنه إن لم تحب ذاتك لا يمكنك أن تواجه ذاتك، سوف تتجنب ذلك. إن مراقبتك بحد ذاتها هي الطريق لتتجنب ذاتك.

أولاً: عليك أن تحب ذاتك ثم راقب ـ اليوم، غداً، دائماً.

أنشئْ طاقة الحب حولك، أحِّب جسدك وعقلك، أحبَّ كل تقنياتك وكل كيانك الحي. الحب يعني أن تقبل نفسك كما هي. لا تحاول أن تكبت شيئاً، نحن نمارس الكبت عندما نكره شيئاً، نحن نكبت عندما نكون ضد شيء ما. لا تكبت لأنك إن قمت بالكبت فكيف ستراقب؟ كيف يمكنك أن تنظر في وجه عدوك؟ يمكننا أن ننظر عيناً لعين بوجه من نحب. فإن لم تكن محباً لذاتك فلن يكون باستطاعتك أن تنظر إلى ذاتك. إلى وجهك، إلى حقيقتك.

المراقبة هي تأمل، هي الاسم البوذي للتأمل. كلمة راقب هي شعار بوذا، إنه يقول: كن واعياً، كن يقظاً، لا تكن غير مدرك، لا تتصرف بطريقة بليدة، لا تذهب باتجاه الأمور الأساسية وكأنك آله، كأنك روبوت. تلك هي الطريقة التي يتصرف بها البشر.

لقد انتقل مايك انتقل تواً إلى شقته و قرر أن عليه التعرف على الجار المقيم في الجهة المقابلة له من الردهة. و بينما كان الباب مفتوحاً فاجأته بشكل كبير ومبهج رؤية شابة شقراء جميلة يكاد يظهر جسدها من خلال ثوب شفاف فضفاض.

نظر مايك بعينيها مباشرة وتمتم: "مرحباً. أنا السكّر الجديد في الجهة المقابلة من الردهة ـ هل بإمكاني أن أستعير كوباً من الجيران؟"

الناس يعيشون بدون وعي. لا يدركون تماماً ما الذي يقولونه، ما الذي يفعلونه ـ هم غير مراقبين. إنهم يخمنون ولا يرون، ليس لديهم أية بصيرة، وليس بالإمكان أن يكون لديهم لأن البصيرة تأتي فقط من خلال اليقظة، وعندها يمكنك أن ترى حتى من خلال عيون مغلقة. حتى الآن لا يمكنك أن ترى حتى من خلال عيون مفتوحة. أنت تخمن وتستدل، تفرض نفسك وتتظاهر.

كريس ممددة على أريكة الطبيب النفسي.

قال الطبيب: "أغلقي عينيك واسترخي، وأنا سأحاول إجراء تجربة."

أخذ محفظة مفاتيح جلدية من جيبه وجعلها بوضعية مفتوحة ثم هز المفاتيح. "بماذا يذكرك هذا الصوت؟؟" سأل الطبيب.

"الجنس" همست الفتاة.

بعد ذلك أغلق محفظة المفاتيح وجعلها تلامس راحة يد الفتاة المفتوحة. فتصلب جسمها.

"وهكذا؟؟" سأل الطبيب.

"الجنس" همست كريس بحالة من العصبية.

"الآن أفتحي عينيك،" أمرها الطبيب،" أجيبيني عن هذا السؤال، لماذا يكون كل ما أفعله مثيراً للمشاعر الجنسية عندك."

رأت كريس محفظة المفاتيح بيد الطبيب فتوردت وجنتاها وقالت بتردد وجفون عينيها ترفرف منفتحة:

حسناً، لقد... بدءاً بـ... "اعتقدت بداية أن الصوت هو صوت سحب سحّاب بنطالك...."

إن عقلكِ يعرض صوراً باستمرار - يعرض نفسه. عقلكِ يتداخل باستمرار مع الواقع، يعطيه لوناً وشكلاً، يقوم بتشكيل صور مختلفة عن الواقع. لا يسمح لك العقل برؤية ما هي، إنه يجعلكِ ترين فقط ما يريدك هو أن تري.

لقد اعتاد العلماء على الاعتقاد بأن عيوننا، آذاننا وكل أدوات أحاسيسنا وعقلنا، ما هي إلا مصادر معرفتنا بالواقع و جسور ربطنا به. لكن كل تلك المفاهيم قد تغيرت الآن. إنهم يقولون الآن إن أدوات أحاسيسنا وعقلنا غير مفتوحة بشكل حقيقي على الواقع بل تقف كالحارس ضد رؤيتنا للواقع.

فقط اثنان بالمئة من الحقائق تدخل إليك من خلال هؤلاء الحراس، بينما ثمان وتسعون بالمئة منها تبقى خارجاً. كما أن الاثنين بالمئة التي تصلك لم تعد هي نفسها، لأن عليها أن تعبر العديد من الحواجز، عليها أن تتطابق مع العديد من الأمور العقلانية. لذلك عندما تصل إليك لن تعود هي ذاتها.

إن التأمل هو أن تضع العقل جانباً بحيث لم يعد بإمكانه أن يتدخل بالواقع، عندها يمكنك أن ترى الأشياء كما هي على حقيقتها.

لماذا يتدخل العقل أصلاً؟ لأن العقل قد تم تشكيله بواسطة المجتمع. إنه النائب عن المجتمع بداخلك، إنه ليس في خدمتك، تذكر هذا! إنه عقلك لكنه ليس في خدمتك، إنه يتآمر ضدك. لقد تم توليفه بواسطة المجتمع، قام المجتمع بزرع الكثير من الأمور فيه. إنه عقلك، ولكن لم تعد وظيفته خدمتك، إنه يعمل كخادم للمجتمع. إن كنت مسيحياً فإنه يعمل وكأنه وكيل الكنيسة المسيحية، وإن كنت هندوسياً يصبح عقلك هندوسياً، ويصبح العقل بوذياً إن كنت أنت بوذياً. الواقع ليس مسيحياً ولا بوذياً ولا هندوسياً، الواقع ببساطة لم يتغير، هو كما هو.

عليك أن تضع هذا العقل جانباً، هذا العقل الشيوعي، العقل الفاشستي، الكاثوليكي، البروتستانتي.... هناك ثلاثة آلاف ديانة على الأرض ـ ديانة كبيرة وديانة صغيرة وديانة صغيرة جداً وديانة جزئية من ديانة أخرى، وديانة جزئية من جزء من ديانة ما ـ إنها ثلاثة آلاف في مجموعها، لذا يتواجد لدينا ثلاثة آلاف عقل، العديد من العقول والواقع هو واحد، الوجود واحد، الحقيقة واحدة!

التأمل يعني: أن تضع العقل جانباً وتراقب. الخطوة الأولى ـ أن تحب نفسك ـ ستساعدك بشكل كبير. عبر محبتك لنفسك تكون قد دمرت معظم الأشياء التي قام المجتمع بزراعتها في داخلك. ستصبح حراً من المجتمع ومن شروطه.

الخطوة الثانية هي راقب ـ فقط راقب. لم يقل بوذا أي شيء عما سنراقب ـ راقبْ كل شيء!! الخطوات، عندما تسيرراقب خطواتك، عندما تأكل راقب طعامك، عندما تستحم راقب الماء، الماء البارد المنهمر عليك، ملمس الماء، البرودة، الرعشة التي تنتشر في جسمك، راقب... راقب كل شيء. اليوم، غداً، دائماً.

تأتي لحظة أخيرة تستطيع فيها مراقبة حتى نومك. هذا هو الحد النهائي في المراقبة. إن الجسم يذهب إلى النوم ويبقى هناك مراقبٌ يقظان يراقب بصمت الجسم النائم بعمق، هذا هو الحد النهائي للمراقبة. حتى الآن ما هو سائد هو الحالة المعاكسة فقط، بحيث يكون جسدك صاحياً وأنت روحياً نائم أو غافل عنه. لاحقاً ستكون أنت صاحياً وجسمك نائم.

الجسم يحتاج إلى الراحة لكن وعيك ليس بحاجة للنوم. إن وعيك هو الوعي، إنه اليقظة، هكذا يكون، إنه أمر طبيعي جداً. إن الجسد يتعب لأنه يعيش في ظل قانون الجاذبية، والجاذبية هي ما يجعله متعباً. هذا ما يجعلك تتعب بسرعة إن ركضت بسرعة أو صعدت الدرج، سوف تتعب لأن الجاذبية تسحبك للأسفل. في الواقع، إن الوقوف متعب، الجلوس متعب، فقط في حالة الاستلقاء بشكل أفقي، فقط في هذه الحالة يكون هناك نوع من الراحة لجسمك لأنك تكون في حالة تناغم مع قانون الجاذبية. عندما تقف بشكل عمودي فأنت

تعمل ضد قانون الجاذبية بحيث يتجه الدم إلى الرأس بعكس قانون الجاذبية، وعلى القلب في هذه الحالة أن يضخ الدم بشكل أكبر.

لكن الوعي لا يعمل تحت قانون الجاذبية، لذلك فهو لا يتعب أبداً. ليس للجاذبية أية سلطة على الوعي والإدراك، إنه ليس صخرة وليس له وزن، إنه يعمل تحت قانون مختلف تماماً، هو قانون النعمة، أو بشكل آخر وكما يعرف في الشرق، قانون الارتقاء.

الجاذبية تعني انحدار الشيء باتجاه الأسفل و الارتقاء يعني السمو نحو الأعلى.

ينسحب الجسم باستمرار باتجاه الأسفل، وهذا ما يجعله في نهاية الأمر يستلقي في القبر. سيكون ذلك راحة حقيقية له، فهو من التراب وإلى التراب يعود. الجسم يعود في النهاية إلى مصدره، الاضطراب قد توقف ولا وجود الآن لأية صراعات. فالذرات المكونة لجسمك لن تحصل على راحتها الحقيقية إلا في القبر.

الروح تحلق أعلى فأعلى وكأنك تصبح مراقباً بشكل كبير. تبدو وكأن لك جناحين ـ إن السماء كلها ملك لك.

إن الإنسان هو لقاء بين الأرض والسماء، لقاء بين الجسد والروح.

الفصل الثالث

فضائل الأنانية

إن لم تكن أنانياً فلن تكون إيثارياً، تذكر ذلك، إن لم تكن أنانياً فلن تكون غير أناني. فقط الأشخاص الأنانيون بشكل عميق جداً يمكن لهم أن يكونوا غير أنانيين. لكن يجب فهم هذا الأمر لأنه يبدو متناقضاً.

ما الذي نعنيه بأن تكون أنانياً؟ إن القاعدة الأولى لهذا المفهوم هي تركيزك على ذاتك، والقاعدة الثانية هي دائماً البحث عن السعادة. إن كنت تُرَكِز على ذاتك فستكون أنانياً أياً كان ما تفعله. أنت لربما تقوم بمساعدة الناس لكنك تقوم بذلك فقط لأنك تستمتع به، لأنك تحب القيام بذلك. إنك تشعر بالسعادة والبهجة لقيامك بذلك. أنت تشعر بذاتك من خلال قيامك بتلك الخدمات. أنت لا تقوم بأي واجب، لا تخدم الإنسانية، لست شهيداً عظيماً كما أنك لا تقدم تضحية. إن تلك ما هي إلا تعابير سخيفة. أنت ببساطة تشعر بأن هذا أمر جيد. أنت تذهب إلى المستشفى وتخدم الناس المرضى هناك، تذهب باتجاه الفقراء

وتخدمهم لكنك تحب هذا. لقد عشت بهذا الشكل. عميقاً جداً أنت تشعر بالسعادة وبصمت، أنت سعيد بنفسك.

إن الهدف من تركيز الإنسان على ذاته يكون دائماً للبحث عن سعادته وهذا هو الجمال في الأمر. بقدر ما تبحث عن سعادتك بقد ما ستساعد الآخرين لكي يكونوا سعداء. لأنها هي الطريقة الوحيدة لتكون سعيداً في هذا العالم. إن كان كل شخص آخر حولك غير سعيد، فلن يكون بإمكانك أن تكون سعيداً، لأن الإنسان ليس جزيرة، إنه جزء من قارة واسعة. إن كنت تريد أن تكون سعيداً فعليك أن تساعد الآخرين المحيطين بك ليكونوا سعداء. بعدها ـ فقط بعد ذلك ـ يمكنك أن تكون سعيداً.

عليك أن تخلق مناخ السعادة من حولك. إن كان كل شخص من حولك تعيساً فكيف يكون بإمكانك أن تكون سعيداً؟ سوف تتأثر. أنت لست جماداً، أنت مخلوق رقيق، حساس جداً. إن كان كل شخص حولك تعيساً فإن تعاستهم سوف تؤثر بك. التعاسة هي كالداء، معدية كأي مرض. والسعادة أيضاً معدية كأي مرض معدٍ. إن ساعدت الناس ليكونوا سعداء فأنت تساعد نفسك لتكون سعيداً.

إن الشخص الذي يكون مهتماً بسعادته بشكل قوي هو دائماً مهتم بسعادة الآخرين أيضاً، لكن ليس من أجلهم. في العمق، هو مهتم بنفسه، ومن أجل هذا هو يساعد. إذا تعلم كل شخص في هذا العالم أن يكون أنانياً فسيكون كل العالم سعيداً ولن يكون هناك أي إمكانية لتشكّل التعاسة.

علِّمْ كل شخص أن يكون أنانياً. إن الإيثار ينضج من خلال الأنانية. الإيثار هو في النهاية أنانية. ربما يبدو إيثاراً في البداية لكن في النهاية يحقق ذاتك أنت. وبعدها يمكن للسعادة أن تتضاعف. بقدر عدد الناس السعداء من حولك تنهمر السعادة عليك، وتصبح سعيداً بشكل كبير.

الشخص السعيد يكون سعيداً جداً، وهو يريد أن يُترك وحده ليكون سعيداً. هو يريد أن تُحفَظَ خصوصيته، يريد أن يعيش مع الأزهار والشعر والموسيقا. لماذا عليه إزعاج نفسه في خوض الحروب؟ من أجل أن يقتُل أو يُقتل؟ لماذا عليه أن يكون مجرماً أو منتحراً؟ الناس غير الأنانيين، وحدهم، باستطاعتهم فعل ذلك لأنهم لم يعرفوا أبداً مقدار السعادة الممكنة لهم. لم يختبروا يوماً شعورهم بوجودهم وما يمكن الاحتفال به. هم لم يرقصوا أبداً، لم يتنفسوا الحياة. لم يعرفوا أي ومضات سماوية، كل تلك الومضات تأتي من السعادة العميقة، من الإشباع، من الرضا.

الشخص غير الأناني شخص منفصل عن جذوره، بدون تركيز، هو شخص عصابي بداخله، يسير عكس الطبيعة، لن يكون باستطاعته أن يكون سليماً ولا كاملاً. إنه يحارب ضد تيار الحياة، الوجود، الإنسان. هو يحاول ألا يكون أنانياً. ليس باستطاعته أن يكون غير أناني، لأن الشخص الأناني هو فقط من بإمكانه أن يكون غير أناني.

عندما تحصل على السعادة يمكنك أن تشارك الآخرين بها، فإن كنت لم تحصل عليها، فكيف لك أن تشارك بها الآخرين؟ لكي تتحقق المشاركة، على أحدهم في المقام الأول أن يمتلك الشيء. إن الإنسان غير الأناني عادة هو إنسان جاد، غارق في المرض والمعاناة. إنسان نسي حياته الخاصة. وعليك أن تتذكر: حينما تنسى حياتك تصبح مجرماً، تصبح انتحارياً. حينما تتحول حياة إنسان ما إلى تعاسة، سوف يرغب في التدمير.

إن التعاسة مدمرة، والسعادة خلاّقة. ثمة إبداع واحد فقط، وهو مُكوّن من البهجة، السرور، المرح. عندما تغمرك البهجة تشعر بأنك تريد أن تخلق شيئاً - ربما كان لعبة أطفال، ربما كان شعراً، ربما كان رسماً، شيئاً ما. عندما تكون سعيداً جداً في الحياة، كيف ستعبر عن ذلك؟ إنك تخلق شيئاً ما - شيئاً أو آخر. ولكن

عندما تكون تعيساً فإنك تريد ان تحطم أو تدمر أي شيء. سترغب بأن تكون سياسياً أو جندياً، أو أن تخلق حالة ما يمكنك بها أن تكون مدمراً.

لذلك تنشب الحروب في مكان ما على الأرض بين الحين والآخر. إنه داء كبير. إن جميع السياسيين يتحدثون عن السلام، بنفس الوقت هم يستعدون للحرب ويتحدثون عن السلام. في الواقع هم يقولون: "نحن نتهيأ لخوض الحرب لكي نحافظ على السلام. "قمة اللامنطقية!! إن كنت تتهيأ للحرب، فكيف تحافظ على السلام؟ لتحافظ على السلام على أحدهم أن يتهيأ من أجل السلام.

هذا ما يجعل الجيل الجديد يشكل خطراً كبيراً على المؤسسات. إنه مهتم فقط بكونه سعيداً، مهتم بالحب، التأمل والموسيقا والرقص... لقد أصبح هناك نوع من الحذر عند جميع السياسيين حول العالم. الجيل الجديد غير مهتم بالأمور السياسية ـ القوى اليمينية ـ اليسارية. لا، إنه غير مهتم إطلاقاً. إنه لا ينتمي للشيوعية ولا ينتمي إلى أي كلمة تنتهي بـ (ية) (إشارة إلى الشيوعية والعلمانية والديمقراطية والليبرالية...).

ينتمي الإنسان السعيد إلى نفسه. لماذا عليه أن ينتمي إلى أي منظمة؟ ذلك الانتماء هو طريق الإنسان غير السعيد ومن ينتمي إلى منظمة أو إلى تجمع ما، ليس لديه جذور تربطه بنفسه، هو لا ينتمي ـ وهذا يترك به قلقاً عميقاً جداً: إن عليه أن ينتمي. إنه يخلق انتماءً بديلاً، هو يذهب ليكون فرداً من حزب سياسي، حزب ثوري، أو أي شيء، كالدين مثلاً. الآن هو يشعر بالانتماء. يبحث عن تجّمعٌ ما بإمكانه أن ينتمي إليه حيث يتجذر.

على الشخص أن يتجذر في نفسه لأن الطريق إلى داخل إنسان ما، تغوص عميقاً في الوجود. إن كان انتماؤك إلى تجمع ما فإنه انتماء إلى طريق منتهية، طريق مقطوعة، ومن هناك لن توجد أية إمكانية لتطور مستقبلي. إنها الوصول إلى النهاية.

أنا لا أعلمك أن تكون غير أناني، لأني أعرف أنه إن كنت أنانياً فسوف تصبح غير أناني بشكل تلقائي عفوي. إن لم تكن أنانياً فإنك قد فقدت نفسك، الأن ليس بإمكانك إقامة العلاقات مع أي شخص آخر، لأن الرابط الأساسي مفتقود. الخطوة الأولى قد فُقِدَت.

انس كل شيء عن هذا العالم أو عن المجتمع والمدينة الفاضلة، وانس أيضاً كارل ماركس، انس كل هذه الأمور. إنك في هذه الحياة لمدة قصيرة، لعدد قليل من السنوات. استمتع، ابتهج. كن مرحاً، ارقص، اعشق. ومن خلال هذا الحب والرقص، من الإحساس العميق بالأنانية سوف تفيض الطاقة منك. وستصبح قادراً على أن تشارك بها الآخرين.

الحب كما أقول أنا، هو واحد من أكثر الأشياء أنانية في الحياة.

الفصل الرابع

التعلق باللاشيء

الحب هو التحرر الوحيد من التعلُّق. عندما تحب كل شيء لا تتعلق بأي شيء، إنك تتحرر من كل شيء.

...... أن يصبح الرجل أسير حب المرأة وأن تصبح المرأة أسيرة حب الرجل فهذا أمر يؤدي إلى عدم استحقاقهما لتاج الحرية الثمين. لكن الرجل والمرأة اللذين أصبحا كياناً واحداً من خلال الحب، متلازمين لا ينفصلان، لا يمكن تمييزهما، هما حقاً مخولان لنيل الجائزة.

من كتاب مرداد، للكاتب ميخائيل نعيمة

إن كتاب مرداد هو من أحب الكتب إلي. مرداد شخصية خيالية، لكن كل ما قاله أو فعله يعتبر مهماً بشكل كبير.

ألاّ يجب يقرأ هذا الكتاب كرواية، بل ككتاب مقدس. ربما يكون الكتاب المقدس الوحيد.

يمكنك أن ترى في هذا التصريح لمحات فقط عن عمق نظرة مرداد ووعيه وفهمه. إنه يقول: إن الحب هو التحرر الوحيد من التعلّق... وقد سمعت طوال حياتك أن الحب هو التعلق الوحيد! إن جميع الأديان توافق على هذه النقطة، إن الحب هو مجرد تعلّق.

أنا أوافق مع مرداد:

الحب هو التحرر الوحيد من التعلّق. عندما تحب كل شيء لا تتعلق بأي شيء، إنك تتحرر من كل شيء.

على الإنسان حقاً أن يفهم ظاهرة التعلق تحديداً. لماذا تتمسك بشيء ما؟ لأنك خائف من أن تفقده. ربما يقوم شخص آخر بسرقته. إن خوفك يرتكز على أن ما هو متاح لك اليوم يمكن أن لا يكون متاحاً لك في الغد.

من يعرف ما الذي سيحدث غداً؟ إن أي تغيير مع المرأة التي تحبها أو الرجل الذي تُحبينه هو أمر ممكن. ربما تصبحان مقربين أكثر أو متباعدين أكثر، ربما تصبحان مرة أخرى غريبين أو ربما تصبحان كشخص واحد حتى لتقولا أنه ليس صحيحاً أن تكونا اثنين، طبعاً إن هناك جسدين، لكن القلب واحد ونبضات القلب واحدة والنشوة المحيطة بكما تشبه الغيمة. أنت تتلاشى في تلك النشوة، أنت لست أنت، وأنا لست أنا. الحب يصبح كلياً، الحب عظيم وغامر بحيث أنك لن تستطيع أن تبقى كما أنت، عليك أن تُغرِق ذاتك وتختفي.

في ذلك التلاشي من سيكون متعلقاً وبمن؟

عندما يزهر الحب في كليته فإن كل شيء يكون قد تم ببساطة. الخوف من الغد لا يظهر، لذلك لن تكون هناك مشكلة التعلق والتمسك والزواج، ولن تكون هناك مشكلة الاتفاقيات والعبودية.

ليست زيجاتكم إلا عقود عمل. "إننا نتعهد بالالتزام ببعضنا البعض أمام هيئة القضاء". إنك تهين وتحقّر الحب! إنك تتبع القانون الذي هو أدنى شيء في الوجود وأكثرها قبحاً. عندما تجلب الحب معك إلى المحكمة فأنت تقترف جريمة لا يمكن المسامحة عليها. إنكما تلتزمان أمام هيئة القضاء في المحكمة بقولكما: "نريد أن نتزوج وسوف نبقى متزوجين. إنه العهد الذي تعهدنا به أمام المحكمة، نحن لن ننفصل ولن يخدع أحدنا الآخر." ألا تظن أن هذا إهانة عظيمة للحب؟ ألم تضع القانون فوق الحب؟

القانون هو لأولئك الذين لا يعرفون كيف يحبون. القانون هو للعميان وليس لأولئك الذين لديهم أعين. القانون للذين نسوا تماماً لغة القلب ويعرفون فقط لغة العقل. إن قول مرداد هو تلك القيمة العظيمة التي يجب أن تفهم بعمق، ليس فقط فكرياً، ليس فقط عاطفياً، لكن يجب أن تفهمها بكل جوارحك، بكيانك الكلي. على كيانك كله أن يتشرب هذه القيمة.

الحب هو التحرر الوحيد من التعلّق... لأنك عندما تحب لا يمكنك حتى أن تفكر بأي شيء آخر. عندما تحب كل شيء فأنت لا تتعلق بأي شيء، إنك تتحرر من كل شيء. إن كل لحظة تأتي بعظمة جديدة، مجد جديد، أغنية جديدة، كل لحظة تجلب رقصات جديدة. ربما يتغير الشركاء، لكن الحب يبقى.

إن التعلق هو الرغبة في ألا يتغير الشريك. ومن أجل هذا يقدم الشريكان التزامهما أمام المحكمة، امام المجتمع، أمام كل المنظمات الاجتماعية الغبية. وإن وقفت ضد تلك المنظمات الغبية فسوف تفقد كل الاحترام والشرف في عيون أولئك الناس الذين عليك أن تعيش بينهم.

الحب لا يعرف التعلق لأنه ليس فيه احتمال التنازل عن النُبل. الحب هوالشرف بحد ذاته، إنه الاحترام بمعناه الحقيقي، وليس باستطاعتك فعل أي شيء لمعارضة ذلك. أنا لا أقول بأن الشريك لا يمكن أن يتغير، هذه ليست بمشكلة. إن الشركاء يتغيرون ويبقى الحب، إنه أشبه بنهر متدفق، عندها في

الواقع سيكون في العالم حبٌ أكثر مما فيه اليوم. في أيامنا هذه يشبه الحب صنبور ماء يتساقط منه الماء قطرة قطرة. وهو بهذا الشكل لا يستطيع أن يروي عطش أي شخص. يجب أن يكون الحب كبيراً كالمحيط وليس كقطرات صنبور ماء. كل زوجين عبارة كصنبور ماء.

الحب كونيّ. الحب لا يقوم بدعوة بعض الأشخاص فقط للاحتفال به، الحب يدعو النجوم والشمس وكذلك الأزهار والطيور، يرحب بكل الوجود للاحتفال به.

لا يحتاج الحب إلى شيء آخر. إذا كانت كان لديك ليلة مليئة بالنجوم، ماذا تريد أكثر من ذلك؟ فقط بعض الأصدقاء... ويكون كل الكون متحاباً.

طوال حياتي لم ألتق بشجرة تقف ضدي، أو تكرهني. ذهبت إلى العديد من الجبال لكني لم أجد أي جبل عُدواني. إن كل الوجود ودود جداً.

عندما يتفتح مفهومك عن الحب فلن يكون هناك تعلق على الإطلاق، يمكنك المضي قدماً بتغيير الشريك، وهذا لا يعني أنك تهجر أحداً ما. يمكنك العودة مجدداً إلى نفس الشريك، لن يكون هناك أي قضية حكم مسبق عليه.

على الإنسان أن يفهم نفسه تماماً ليصبح كما لو أنه طفل صغير يلعب على شاطئ البحر، يجمع الأصداف والحصى الملونة ويستمتع بشكل كبير وكأنه قد وجد ثروة كبيرة. إن كان باستطاعة الشخص أن يستمتع بالأشياء الصغيرة في الحياة فإنه يستطيع أن يعيش بحرية كما يمكنه أن يسمح للآخرين أن يعيشوا بحرية، يمكن للعالم كله أن يصبح شيئاً مختلفاً تماماً. بعدها يمكن أن يكون لديه جمال من نوعية مختلفة، نعمة إلهية، نورانية عظيمة. كل قلب يتقد وعندما تعرف النار تستمر النار بالنمو. إن شعلات الحب تكبر كما تنمو الأشجار، شعلات الحب تأتي بالأزهار والثمار تماماً كما تفعل الأشجار.

لكن ما تظنه حباً ليس بحب. هذا ما يسبب حدوث تلك التجارب الغريبة. شخص ما يقول لفتاة، "كم أنت جميلة! أنا أحبك كثيراً، ليس هناك من امرأة تشبهك في العالم." وأنت لا تعترضين، "ليس لديك الحق بأن تقول شيئاً كهذا لأنك

لا تعرف جميع النساء في الكون." عندما تقال أشياء جميلة كهذه ينسى المرء تماماً أنها غير عقلانية.

أشياء كهذه يتعلمها الناس من الأفلام، من الروايات ـ كل هذه الحوارات لا تعني أي شيء. إنها تعني ببساطة، "تعالي معي إلى السرير!" لكن بما أننا أشخاص حضاريون فلا نستطيع أن نقول لامرأة ما "دعينا نذهب إلى السرير." لأن هذا سيجعل المرأة تركض مباشرة إلى قسم الشرطة لتقديم بلاغ يقول بأن هذا الرجل يقول لي أشياء بشعة جداً!"، لكن إن قلت هذه الأشياء بطريقة حضارية، أي أن تَعرِضَ عليها أن تتناول بعض المثلجات ـ لأن المثلجات تنعش القلب ـ أو أن تجلب لها بعض الأزهار، أو أن تقول بعض العبارات الجميلة الفارغة..... في هذه الحالة فإن كليهما يعرفان أن هذا في النهاية سينتهي بآثار الثمل الصباحي، ألم الرأس، شقيقة، وفي ذلك الصباح سينظر كل منهما للآخر بارتباك متسائلين عما كانا يفعلانه في الفراش؟ ولإخفاء الإرتباك فإن أحدهما سيختبئ خلف جريدته ليبدو وكأنه يقرؤها بشكل فعلي، والثاني سيقوم بتحضير الشاي أو القهوة، فقط من أجل أن يتناسيا ما حدث.

ولاحقاً يقول مرداد:

...... أن يصبح الرجل أسير حب المرأة وأن تصبح المرأة أسيرة حب الرجل، فهذا أمر يؤدي إلى عدم استحقاقهما لتاجْ الحرية الثمين.

في اللحظة التي يصبح فيها الحب تعلقاً يتحول إلى علاقة. في اللحظة التي يصبح فيها الحب مُتَطلِباً يتحول إلى سجن يدمر حريتك، لن يكون باستطاعتك الطيران في السماء، أنت في قفص. الإنسان يتساءل.... وبشكل خاص أنا أتساءل عن نفسي، الناس تتساءل حولي، ما الذي أستمر بفعله لوحدي في بيتي. وأنا أتساءل مستغرباً بما يخص الآخرين، ما الذي يستمر شخصان بفعله معاً؟ لوحدي، أنا في نهاية الأمر في حالة من الهدوء. لو كان هناك شخص ما فستكون هناك مشكلة، شيء ما سوف يحدث. إن كان الآخرون هناك فلا يمكن للصمت

أن يستمر. الآخر سوف يسأل عن شيء ما، يقول شيئاً ما، سوف يفعل شيئاً ما، أو أنه سوف يجبرك على القيام بأمر ما. والأكثر من ذلك، إن كان الشخص نفسه مستمر بالتواجد يوماً بعد يوم...

إن الشخص الذي ابتكر السرير المزدوج واحد من أسوأ أعداء الإنسانية. حتى في السرير لا يوجد حرية!! ليس بإمكانك التحرك، فالآخر بجانبك. وفي معظم الأحيان يستولي الآخر على معظم المساحة. إن كان باستطاعتك أن تتدبر الأمر مع مساحة صغيرة فستكون محظوظاً ـ ولمعلوماتك، فأن الآخر يستمر بالتضخم. إنه عالم غريب جداً، بينما تستمر النساء بالتضخم، يستمر الرجال بالتضاؤل. وكل الخطأ يقع على الرجل، هو يجعل المرأة تتضخم بشكل أكبر، إنه الحمل. مشاكل أخرى ستأتي إلى المقدمة.

حالما تضع شخصين معاً، ذكراً وأنثى، يصل الشخص الثالث بسرعة، ويقلق الجيران إن لم يأت فوراً: "ما المشكلة؟ لماذا لم تنجبا لنا طفلاً حتى الآن؟"

لقدعشت مع الكثير من الناس في الكثير من الأماكن. كنت أستغرب دوماً لماذا يتلهف الناس لخلق مشكلة للناس الآخرين؟ إنهم يتساءلون في حال وجود شخص لم يتزوج: "لماذا لم تتزوج حتى الآن؟" وكأن الزواج قانون كونيّ علينا أن نتبعه! بسبب التعذيب الذي يتعرض له الشخص من الجميع يعتقد أنه من الأفضل أن يتزوج. على الأقل سيتوقف الناس عن التعذيب. لكنك أخطأت، فعندما تتزوج سوف يباشرون بالسؤال عن "متى ستنجب أطفالاً؟"

تلك مشكلة صعبة. الأمر ليس بيدك، ربما يأتي الطفل وربما لا يأتي، وسيأتي عندما يحين وقت قدومه. لكن الناس سترهقك.... "البيت ليس ببيت إن لم يكن فيه طفل." ذلك صحيح ـ لأن البيت يبدو وكأنه معبد هادئ بدون وجود طفل فيه، بوجود الطفل سيكون البيت وكأنه مستشفى مجانين! وبعدد من الأطفال تستمر المشاكل في التزايد.

أنا أجلس صامتاً في غرفتي، وطوال حياتي لم أزعج أي إنسان، أنا لم أسأل أي شخص " لماذا لم تتزوج؟ لماذا لم تنجب أطفالاً؟" لأني لا أعتقد أنه تصرف حضاري أن تسأل أسئلة كهذه، إن سؤالك عن أمر كهذا يعتبر تدخلاً في حرية الشخص. الناس يستمرون بالحياة مع زوجاتهم، أطفالهم، وبما أن قدوم كل عنصر جديد إلى العائلة سيثير اضطراباً في كثير من الأشياء، فأنت تصبح شيئاً فشيئاً وبشكل آلي أقل إحساساً، أقل قدرة على السمع، أقل قدرة على الرؤية، أقل قدرة على الابتسام، أقل قدرة على التذوق.

أنت لم تعد تستعمل حواسك بكل إمكاناتها. ولهذاعندما يقع الشخص في الحب للمرة الاولى يمكنك أن ترى وجهه يتوهج. مشيته مفعمة بالنشاط، يبدو وكأنه يرقص أثناء سيره، يمكننا أن نرى ربطة عنقه معقودة بشكل سليم جميل، نراه أنيقاً في ملبسه. شيء ما قد حدث، ولكن ليس لزمن طويل. خلال أسبوع أو أسبوعين يحل السأم والملل، ترى الغبار يتجمع مرة أخرى، ترى الضوء يخبو، مرة أخرى سيمشي متثاقلاً ولا يرقص. الأزهار لا زالت تتفتح لكنه لا يرى أي جمال. النجوم لا زالت تبهره لكنه لا ينظر إلى السماء.

هناك الملايين من الأشخاص الذين لم ينظروا أبداً نحو الأعلى، إن عيونهم ملتصقة بالأرض وكأنهم يخشون سقوط إحدى النجوم عليهم. القليل من الناس يرغبون بالنوم في العراء مع وجود كل تلك النجوم ـ إنه بسبب الخوف من الامتداد، من الوحدة، من العتمة.

إن ملايين الأشخاص يتابعون حياتهم وهم يتمنون لو أنهم بقوا وحدهم، وأنهم لم يزعجوا أنفسهم بالحب والزواج، لكن الآن لاشيء يمكن فعله. لا تستطيع العودة إلى الوراء، لا يمكنك أن تكون أعزب من جديد. في الواقع ربما أصبحت معتاداً على السجن لدرجة لا تستطيع بها أن تتخلى عنه. إنها نوع من الأمان.

إنه سرير مريح مع أنه تعيس. إن البطانية متعفنة، لكن السرير المزدوج في نهاية الأمر يعني أنك لست وحدك في تلك التعاسة، شخص ما يشاركك التعاسة.

الواقع هو أن شخصاً ما قد خلق هذه التعاسة لك، وأنت خلقت التعاسه له أو لها.

الحب يجب أن يكون من النوعية التي تمنح الحرية وليس قيوداً جديدة لك، الحب هو الذي يعطيك جناحين ويساعدك على التحليق لأبعد ما يمكن.

إن الرجل والمرأة اللذين أصبحا كياناً واحداً من خلال الحب، متلازمان لا ينفصلان، لا يمكن تمييزهما، هما حقاً مخولان لنيل الجائزة.

هذا الكتاب، كتاب (مرداد) هو واحد من تلك الكتب التي ستبقى خالدة طالما أن هناك إنساناً واحداً يحيا على هذه الأرض. لكن الشخص الذي كتب الكتاب قد تم نسيانه تماماً. مرداد هو شخصية خيالية، هو اسم البطل. إن الشخص الذي كتب الكتاب.....اسمه ميخائيل نعيمة، ليس اسمه هو المهم. إن كتابه عظيم جداً، أعظم من الكاتب نفسه. هو نفسه بذل حياته كلها محاولاً أن يخلق شيئاً آخر مشابهاً لكنه فشل. لقد قام بكتابة العديد من الكتب لكن كتاب مرداد هو القمة. وبقية الكتب هي هضاب، إنها ليست مهمة كثيراً.

إن كنا نفهم الحب على أنه لقاء بين روحين ـ ليس فقط كحالة جنسية أو اتصال بيولوجي لهرمونات الذكر والأنثى ـ عندها يمكن للحب أن يهبك أجنحة، يمكنه أن يعطيك عمق النظرة في الحياة. والمتحابان يمكن أن يصبحا للمرة الأولى صديقين، وإلا سيبقيان دائماً عدوين في أقنعة تنكرية.

إن المتدينين أو القديسين المزعومين الذين هربوا من العالم، الجبناء الذين لا يستطيعون مواجهة الحياة، إن هؤلاء قد سمموا كامل الفكرة المتعلقة بالحب مدّعين بأنها مسألة روحانية. لقد أدانوا الجنس ومع إدانتهم للجنس أدانوا الحب، لأن الناس ربطوا ما بين الحب والجنس واعتبروهما مترادفين. لكن الأمر ليس كذلك، إن الجنس هو جزء صغير جداً من طاقتك البيولوجية. والحب هو كل كينونتك، الحب هو روحك. يجب عليك أن تعرف أن الجنس هو ببساطة حاجة تتعلق بالمجتمع، تتعلق بالعمل الجنسي من أجل الاستمرار البشري بحد

ذاته. يمكنك أن تشارك إن كنت ترغب بذلك، لكن لايمكنك أن تتجنب الحب. في اللحظة التي تتجنب بها الحب فإن جميع إبداعاتك تموت وجميع إحساساتك تصبح غير فعّاله، غبار كثيف يتجمع حولك، وأنت تصبح ميتاً في الحياة.

نعم، إنك تتنفس وتأكل وتتكلم، إنك تذهب إلى العمل كل يوم حتى يأتيك الموت ويحررك من الملل الذي تحملته طوال حياتك.

إن كان الجنس هو كل ما لديك فهذا يعني أنك لا تملك شيئاً، ما أنت إلا جهاز يؤدي وظيفة للبيولوجيا وللكون وللتكاثر، ما أنت إلا آلة، مصنع. لكن إن كان باستطاعتك أن تتصور الحب وكأنه حقيقة كينونتك وتحب شخصاً آخر كصداقة عميقة، كقلبين يرقصان معاً بتناغم يحولهما إلى قلب واحد، فلن تحتاج إلى أية روحانيات أخرى. لقد وجدتها.

يقودك الحب إلى المعرفة النهائية التي تدعى الله، المطلق، أو الحقيقة. تلك هي مجرد أسماء. في الواقع المعرفة النهائية ليس لها اسم، إنها بدون اسم، لكن الحب يقود إليها.

إن كنت تفكر فقط بالجنس ولم تصبح مدركاً لمعنى الحب، يعني أنك تهبط باتجاه الأسفل. نعم سوف تنجب أطفالاً وسوف تعيش في تعاسة وتلعب الورق وتشاهد الأفلام أو تشاهد لعبة كرة القدم، سيكون لك خبرة كبيرة بالتوافه والملل وقضايا الحرب، التواجد تحت تيار خفي من القلق يدعوه الوجوديون (الحصر النفسي). لكنك لن تعرف حقيقة وجود الجمال، حقيقة الصمت والسلام الكوني.

الحب يجعل من هذا ممكناً.

لكن تذكّر أن الحب لا يعرف حدوداً. هو ليس غيرة لأنه لا يمكن امتلاكه. إنها فكرة بشعة أن تعتبر أنك امتلكت شخصاً ما لأنك تحب. إن امتلاكك لشخص يعني أنك قتلت ذلك الشخص وحولته إلى سلعة.

فقط الأشياء يمكن أن تمتلك، الحب يعطي الحرية، الحب هو الحرية.

أسئلة

سؤال:

ـ هل يمكن لك أن توضح الفرق بين حب الذات الصحّي وبين الغرور المتعلق بالأنا؟

هناك فارق كبير بين الاثنين، وبنفس الوقت يبدوان متشابهين. إن حب الذات الصحّي هو قيمة روحية كبيرة. فالشخص الذي لا يحب نفسه لن يكون قادراً على أن يحب أي شخص آخر على الإطلاق. إن الموجة الأولى من الحب يجب أن تبدأ من قلبك، فإن لم تبدأ من داخلك فلن تستطيع الوصول إلى أي شخص آخر، لأن كل شخص آخر هو أبعد عنك من بعدك أنت عن نفسك.

على كل إنسان أن يحب جسده، روحه، كيانه الكلي. وهذا أمر طبيعي وإلا لن يكون بإمكانك أن تنجو أبداً. وهذا جميل لأنه يُجَمِلُك. الشخص الذي يحب نفسه يصبح جميلاً وأنيقاً. الشخص الذي يحب نفسه يميل إلى أن يكون أكثر صمتاً، أكثر تأملاً، أكثر تعبداً من الشخص الذي لا يحب نفسه.

إن كنت لا تحب منزلك فإنك لن تقوم بتنظيفه، لن تطليه. لن تحاول أن تحيطه بحديقة جميلة أو بحوض من زهر اللوتس. وإن أنت أحببت نفسك فإنك ستخلق حديقة حول نفسك. ستحاول أن تنمي طاقاتك وقدراتك، ستحاول أن تُخرِجَ كل ما بداخلك. إن أحببت فسوف تستمر بتنظيف نفسك و بتغذيتها.

إن أنت أحببت نفسك فسوف تتفاجأ بأن الآخرين سوف يحبونك. لا أحد يحب الشخص الذي لا يحب نفسه. إن لم تستطع حتى أن تحب نفسك فمن سيكلف نفسه عناء ذلك؟

الشخص الذي لا يحب نفسه لا يستطيع أن يبقى حيادياً. عليك أن تتذكر أنه لا يوجد حيادية في الحياة. فالإنسان الذي لا يحب نفسه سوف يكره، الحياة لا تعرف الحيادية. الحياة دائماً اختيار. إن كنت لا تحب فهذا لا يعني أنك تستطيع ببساطة أن تبقى في حالة اللا حب. أبداً، أنت سوف تكره. والإنسان الذي يكره نفسه يصبح إنساناً مُدمِراً. الشخص الذي يكره نفسه سوف يكره كل شخص آخر، سيصبح غاضباً وقاسياً ومستفَزاً بشكل دائم. كيف يتوقع الشخص الذي يكره نفسه من الآخرين أن يحبوه؟ إن حياته ستتدمر. أن تحب ذاتك فهذا قيمة روحية عظيمة.

أنا أعلِّمُ حب الذات. لكن تذكر، حب الذات لا يعني الغرور الأناني، أبداً. العكس تماماً. إن الشخص الذي يحب ذاته يكتشف أن لا ذات له، الحبُ عادةً يذيبُ النفس التي هي واحدة من الأسرار الخيميائية التي علينا تعلمها وفهمها واختبارها. الحب عادة يذيب الذات، متى أحببت تختفي الذات. أنت تحب امرأة، وفي النهاية وفي دقائق قليلة عندما يكون هناك حب حقيقي للمرأة، لن تشعر أن هناك ذاتاً في داخلك، لا وجود (للأنا).

الأنا والحب لا يمكن أن يتواجدا معاً. إنهما كالضوء والظلام، عندما يأتي الضوء يختفي الظلام. إن أحببت نفسك فسوف تتفاجأ: حب الذات يعني اختفاء الذات.

في حب الذات لا يمكن للذات أن تتواجد. هذا هو التناقض. حب الذات هو بدون ذات على الإطلاق. إنها ليست أنانية، لأنه أينما تواجد الضوء لن يتواجد الظلام، وأينما تواجد الحب لا يوجد ذات. الحب يذيب الذات المتجمدة. الذات تشبه مكعب الثلج، الحب يشبه شمس الصباح. بوجود حرارة الحب تبدأ الذات بالذوبان. كلما أحببت نفسك أكثر كلما قل تواجد الذات في داخلك، وبعدها يغدو هناك حالة من التأمل العظيم، قفزة كبيرة باتجاه السمو.

وأنت تعرف ذلك!! ربما لا تعرف هذا فيما يتعلق بحب الذات لأنك لم تحب نفسك. لكنك أحببت أشخاصاً آخرين وقد أتتك ومضات من ذلك الحب. لا بد أن يكون هناك لحظات نادرة عندما - وللحظات فقط - فجأة لم تعد أنت هناك وبقي الحب. طاقة الحب فقط هي التي تطوف في المكان بدون أن يكون لها مركز، من اللامكان إلى اللامكان. عندما يكون هناك عاشقان يجلسان معاً فإن هناك اثنين من اللاشيء يجلسان معاً. صفران يجلسان معاً وهذا هو جمال الحب، إنه يجعلك خالياً تماماً من الذات (الأنا).

إذاً تذكّر، الكبرياء أو الغرور الأناني ليس حباً للذات، فالغرور الأناني هو العكس تماماً. إن الشخص الذي لا يكون قادراً على حب نفسه يصبح شخصاً مغروراً. إن الغرور الأناني هي ما يسميه المحللون النفسيون بالنرجسية.

لا بد أنك سمعت حكاية (نرسيس) الذي وقع في حب ذاته عندما كان يرى نفسه في بركة ماء ساكنة، لقد وقع في حب صورته المنعكسة عن سطح الماء.

الآن عليك برؤية الفرق. الرجل الذي يحب ذاته لا يحب انعكاس صورته، هو ببساطة يحب ذاته. ليس بحاجة لأي مرآة، هو يعرف نفسه من الداخل، ألا تعرِفُ نفسك بأنك موجود؟ هل تحتاج إلى مرآة لتؤكد على أنك موجود؟ إن لم يكن هناك مرآة فهل سيتولد لديك الشك حول قضية وجودك؟

إن نرسيس قد وقع في حب انعكاس صورته في الماء، وليس في حب ذاته. وهذا ليس حب الذات الصحيح. لقد وقع في حب انعكاس الصورة وهذا

الانعكاس هو الآخر. لقد أصبح اثنين، لقد أصبح مقسوماً. إن نرسيس انقسم. لقد كان في نوع من أنواع الشيزوفرينيا. لقد اصبح اثنين ـ المحب والمحبوب. لقد أصبح هو نفسه موضوع حبه، وهذا ما يحدث للكثير من الأشخاص الذين اعتقدوا أنهم وقعوا في الحب.

عندما تقع في حب امرأة، انتبه، كن حذراً، ربما لا يكون ذلك إلا نوعاً من النرجسية. وجه المرأة، عيونها، كلماتها، ربما تكون كلها عبارة عن بركة الماء التي ترى فيها انعكاس صورتك. إن ملاحظتي الشخصية هي كما يلي: إن كان هناك مئة حالة حب فإن تسعاً وتسعين بالمئة منها هي نرجسية. إن الشخص لا يحب تلك المرأة لكونها هي. إنهم يحبون التقدير الذي تمنحه تلك المرأة لهم، الاهتمام الذي تبديه تلك المرأة بهم. الإطراء الذي تمطرهم به. المرأة تطري الرجل والرجل يطري المرأة، إنه إطراء متبادل. إن المرأة تقول: "لا يوجد من هو أجمل منك. أنت شخص خارق! أنت أعظم إنسان خلقه الله. حتى إن الإسكندر الكبير ليس شيئاً بالنسبة لك." وهنا أنت تتضخم وتكبر ويتضاعف حجم صدرك، ويتورم رأسك ـ مع أنه ليس هناك إلا القش ـ لكنه يبدأ بالانتفاخ والتورم. وأنت تقول هنا للمرأة: "أنت أعظم إنجازات الله الخلقية. حتى أن كليوباترا كانت لا شيء بالنسبة لك. لا أستطيع أن أصدق أن الله يستطيع أن يخلق من هي أفضل منك. سوف لن يتكرر جمالك في امرأة أخرى." ٠

هذا ما تسميه حباً! إنها نرجسية. إن الرجل يصبح هنا بركة الماء التي تعكس صورة المرأة، كما أن المرأة تصبح بركة الماء التي تعكس صورة الرجل. إن البركة حقاً لا تعكس فقط الصورة الحقيقية، إنها تقوم بتزيينها، في أكثر من ألف طريقة تجعلها أكثر وأكثر جمالاً. هذا ما يسميه الناس حباً. لكنه ليس حباً، إنه حالة متبادله من إشباع (الأنا)، إرضاء الذات المتعطشة لهذا الوصف.

إن الحب الحقيقي لا يعرف (الأنا). الحب الحقيقي يبدأ أولاً بحب الذات.

بشكل طبيعي لديك هذا الجسد وتلك الكينونة، إنهما جذورك ـ استمتع بهما، افتخر واحتفل بهما! ولن يكون هناك أي غرور أو تكبر لأنك لا تقارن نفسك مع أي شخص آخر. إن (الأنا) تأتي فقط بالمقارنة. حب الذات لا يعرف المقارنة ـ أنت هو أنت، وهذا كل شيء. أنت لا تقول أن هناك شخصاً آخرهو أقل منك، أنت لا تقارن على الإطلاق. عندما تأتي المقارنة عليك أن تعرف أن ليس هناك حب، هناك خدعة في مكان ما. هناك استراتيجية ماكرة من قبل (الأنا). تعيش الأنا من خلال المقارنة. أن تقول للمرأة: "أنا أحبك" فهذا أمر، وأن تقول لها: " كليوباترا ليست شيئاً بالمقارنة معك" هو أمر آخر ـ شيء آخر بالكامل، شيء معاكس تماماً. لماذا أقحمت كليوباترا هنا؟ ألا يمكنك أن تحب تلك المرأة بدون أن تجلب كليوباترا إلى هنا؟ لقد تم ذِكرُ كليوباترا هنا من أجل تضخيم (الأنا). وبالنسبة لكِ أنتِ، حتى تحبي ذلك الرجل هل عليك أن تذكري الإسكندر الكبير؟؟

الحب لا يعرف مقارنات، الحب ببساطة هو حب بدون مقارنات.

عليك أن تتذكر أنه حيثما يكون هناك مقارنة يتواجد نوع من الكبرياء والغرور، إنها حالة نرجسية. وعندما لا يكون هناك مقارنة عليك أن تتذكر أنه الحب، سواء كان موجهاً لذاتك أم إلى الآخرين.

في الحب الحقيقي ليس هناك من تقسيم. المحبان يندمجان أحدهما بالآخر، أما في حالة كبرياء الغرور فإن هناك انقساماً كبيراً إلى قسم المحب وقسم المحبوب. في الحب الحقيقي لا يوجد علاقة. دعني أُعِدْ عليك الموضوع، في الحب الحقيقي لا يوجد علاقة لأنه ليس هناك من شخصين ليكونا على علاقة. في الحب الحقيقي يوجد فقط الحب، الإزهار، الانصهار، الاندماج. ليس هناك من شخصين إلا في حالة الكبرياء والغرور، المحب والمحبوب. وأينما تواجد المحب والمحبوب يختفي الحب. وعندما يختفي الحب فإن المحب والمحبوب يختفيان في داخل الحب.

الحب، ظاهرة عظيمة، لن يمكنك النجاة فيه. الحب الحقيقي هو دائماً في الحاضر بينما الحب القائم على الغرور هو دائماً إما في الماضي أو في المستقبل. في الحب الحقيقي هناك شغف هادئ. سوف يبدو هذا الأمر متناقضاً لكن كل الحقائق العظيمة في الحياة تكون متناقضة، لذلك أدعوها: الشغف الهادئ. هناك دفء لكن ليس هناك من حرارة. الدفء موجود هناك لكن هناك أيضاً برودة فيه، تركيبة من الهدوء والبرودة. الحب يجعل الإنسان أقل شدة في الانفعال. لكن إن كان غير حقيقي، إن كان أنانياً، عندها سيكون هناك سخونة كبيرة. والانفعال يصبح هناك وكأنه حمّى، ليس هناك من برودة إطلاقاً.

إن كان باستطاعتك تذكر هذه الأشياء فسوف تكون لديك المعايير التي تقيس الأمور على أساسها، لكن على الإنسان أن يبدأ مع نفسه، ليس هناك من طريقة أخرى. وعلى الشخص أن يبدأ من النقطة التي يكون فيها.

أحبب ذاتك، أحببها بإفراط، ومن خلال هذا الحب تحديداً فإن الغرور والأنانية وكل هذا الهراء سوف يختفي. عندما يختفي فإن حبك سوف يبدأ بالوصول إلى الناس. سوف لن يكون تعلقاً بل سيكون مشاركة. سوف لن يكون علاقة فاعل ومفعول به بل هي نوع من الانصهار والذوبان، التقارب. لن تكون انفعالاً محموماً بل شغفاً هادئاً. سيكون بارداً ودافئاً بنفس الوقت. سوف تشعرك بأول طعم بتناقضية الحياة.

سؤال:

لماذا يكون الحب مؤلماً؟

يكون الحب مؤلماً لأنه يخلق الطريق باتجاه السعادة. الحب مؤلم لأن فيه تغييراً، فيه انتقال. كل انتقال يكون مؤلماً لأنه علينا أن نترك ما كنا عليه منتقلين

إلى وضع جديد. علينا أن نترك الوضع القديم الذي كنا به. الوضع القديم كان مألوفاً لدينا، كان آمناً، الوضع الجديد معروف على الإطلاق. سوف تبدو وكأنك مسافر في بحر مجهول. لن يكون باستطاعتك استخدام عقلك مع هذا الوضع الجديد، أما في الوضع القديم فالعقل كان بارعاً. يمكنك توظيف العقل فقط على الوضع القديم الذي كان معروفاً لديك أما في الوضع الجديد فإن العقل غير مفيد.

لذلك يظهر الخوف. بترك الوضع القديم المريح والآمن يظهر الألم. إنه الألم نفسه الذي يشعر به الطفل عندما يخرج من رحم أمه. الألم نفسه الذي يشعر به الطائر عندما يخرج من البيضة. الألم نفسه الذي يشعر به الطائر عندما يحاول للمرة الأولى أن يستخدم جناحيه للطيران. الخوف من المجهول والأمان في ما هو معروف، عدم إمكانية توقع ما يحدث في المجهول تجعل الإنسان بحالة من الرعب الشديد.

ولأن التغيير سيحدث من حالة ذات موجودة إلى حالة ذات غير موجودة فإن الألم يكون عميقاً جداً. لكن ليس بإمكانك الحصول على البهجة أو النشوة دون المرور عبر الألم. إن أراد الذهب أن يكون نقياً تماماً فعليه المرور عبر النار.

. الحب كالنار.

الحب نار. وبسبب ألم الحب يعيش ملايين الناس حياة بدون حب. إنهم يعانون أيضاً ومعاناتهم عقيمة. المعاناة بسبب الحب ليست عبثاً. المعاناة بسبب الحب هي أمر فيه إبداع، إنه يأخذك إلى مستوى أعلى من الإدراك. أما أن تعاني بدون حب فهذا ضياع كامل، هو أمر لا يقودك إلى أي مكان، إنه يتركك تدور في الحلقة المفرغة ذاتها.

إن الشخص الذي يعيش بدون حب شخص نرجسي، مغلق. هو يعرف نفسه فقط، ولكن كم يستطيع أن يعرف نفسه إن لم يكن لديه معرفة بالآخر؟ الآخر فقط يمكنه أن يعمل كمرآة بالنسبة لك. لن يكون بإمكانك أن تعرف نفسك

بدون معرفة الآخرين. الحب أساسي جداً لمعرفة الشخص بنفسه أيضاً. إن الإنسان الذي ليس لديه معرفة بالآخرين من خلال حب عميق أو شغف كبير أو بهجة عارمة، سوف لن يكون قادراً على فهم ذاته، لأنه لن يكون لديه مرآة يرى فيها صورته.

العلاقة هي عبارة عن مرآة، وكلما كان الحب أنقى وأسمى كلما كانت المرآة أنقى وأنظف. لكن الحب الأسمى يتطلب منك أن تكون منفتحاً، يتطلب منك أن تعرِّض نفسك للأذى. عليك أن تلقي بدروعك وهذا هو المؤلم بالأمر. عليك أن لا تكون حذراً باستمرار. عليك التخلي عن حساباتك، أن تغامر، أن تعيش بحالة خطر. باستطاعة الآخر أن يؤذيك، ذلك هو الخوف من ألا تكون محصناً. يستطيع الآخر أن يرفضك، ذلك هو خوفك من وقوعك بالحب.

قد يكون انعكاسك الذي ستجده في عيون الآخرين عن ذاتك، بشعاً: هذا هو القلق. تتجنب المرآة! لكن عبر تجنبك المرآة لن يكون باستطاعتك أن تصبح جميلاً. عبر تجنبك هذا الوضع لن يكون باستطاعتك أيضاً أن تنضج وتكبر. عليك أن تقبل التحدي.

على الإنسان أن يغوص بالحب، وتلك هي الخطوة الأولى باتجاه الله، ولا يمكن لك أن تتحول عنها. أولئك الذين يحاولون أن يتجنبوا تلك الخطوة لن يصلوا إلى الله. تلك الخطوة مهمة جداً لأنك لن تصبح مدركاً لكيانك الكلي إلا عندما يستفزك حضور الآخر، وعندما يتعزز حضورك عبر حضور الآخر، وعندما يتم إخراجك من نرجسيتك، النرجسية التي تشبه العالم المغلق تحت السماء المفتوحة.

الحب سماء مفتوحة. أن تكون بحالة حب يعني أن تكون مُحَلِقاً. لكن بالتأكيد، السماء غير المحدودة تخلق الخوف.

وكذلك فإن التخلص من (الأنا) أمر مؤلم، لأننا تعلمنا أن نعتني بهذه (الأنا). نحن نعتقد أن تلك (الأنا) هي ثروتنا الوحيدة. نحن كنا نحميها، نزينها، نزيد

لمعانها بشكل دائم. وعندما يطرق الحب على الباب فإن كل ما تحتاجه لتقع في الحب هو أن ترمي بهذه (الأنا) جانباً.

بالتأكيد إنه مؤلم. إنه كل ما عملته في حياتك، إنه كل ما قمت بخلقه ـ إنه تلك (الأنا) البشعة، تلك الفكرة التي تقول: "أنا معزول عن الوجود."

تلك الفكرة بشعة لأنها غير صحيحة. تلك الفكرة مضلله، لكن وجود مجتمعنا يعتمد على هذه الفكرة التي تقول بأن كل شخص هو شخص، وليس حضوراً.

الحقيقة هو أنه لا وجود إطلاقاً لأي شخص في العالم، يوجد فقط حضور. أنت لست ذاتاً، لست ذاتاً منفصلة عن المجموع. أنت جزء من الكل والكل يتخللك، الكل يتنفس فيك، ينبض فيك، هذا الكل هو حياتك.

إن الحب يمنحك التجربة الأولى لأن تكون منسجماً مع شيء ليس هو (أناك). الحب يعطيك الدرس الأول الذي تستطيع به أن تكون في تناغم مع شخص آخر هو ليس جزءاً من (أناك). إن كان بإمكانك أن تتناغم مع امرأة، إن كان بإمكانك أن تتناغم مع صديق، مع رجل، مع طفلك، أمك، فلماذا لا تستطيع أن تكون متناغماً مع كل البشر؟ إذا كنت تحصل على هكذا سعادة من تناغمك مع شخص آخر، فماذا ستكون الحصيلة إن أصبحت متناغماً مع كل البشر؟؟ وإن كان باستطاعتك أن تكون متناغماً مع كل البشر، فلماذا لا تكون متناغماً مع الحيوانات والطيور والأشجار؟ عندها كل خطوة تقودك إلى أخرى.

الحب سلّم يبدأ مع شخص واحد وينتهي مع (الكلية). الحب هو البداية والله هو النهاية. أن تكون خائفاً من الحب، أن تكون خائفاً من آلام النضج التي يسببها الحب، فهذا يعني أن تبقى منعزلاً في زنزانة معتمة. الرجل العصري يعيش في زنزانة مظلمة. إنها نرجسية – النرجسية هي أعظم هوس للعقل الحديث. نعم هناك مشاكل، لكن لا أهمية لها. هناك مشاكل من النوع الخلاّق لأنها تقودك إلى مستوى أعلى من الإدراك. وهناك مشاكل تقودك إلى اللاشيء، إنها

ببساطة تتركك ضمن مجالك، إنها ببساطة تتركك في فوضاك القديمة. إن الحب يخلق المشاكل. يمكنك تجنب تلك المشاكل عبر تجنب الحب، لكن تلك مشاكل أساسية! عليك أن تواجهها، عليك أن تصطدم بها، إن تلك المشاكل يجب أن تعاش ومن ثم يجب أن تتركها خلفك. وحتى تتركها خلفك، فإن الطريق يكون من خلالها. إن الحب هو الشيء الوحيد الحقيقي الذي يستحق القيام به. وكل الأشياء الأخرى ثانوية، فإن كانت تساعد الحب فهي جيدة. كل الأشياء الأخرى هي وسائل، والحب هو النهاية. مهما يكن مستوى الألم فعليك أم تمضي باتجاه الحب.

إن لم تذهب باتجاه الحب كما يفعل الكثير من الناس فسوف تبقى عالقاً في نفسك. أي إن حياتك لن تكون رحلة حج، عندها لن تكون حياتك كالنهر الذي يسير باتجاه المحيط، ستكون حياتك هي بركة راكدة قذرة، ولاحقاً لن يكون هناك شيء سوى القذارة والأوحال. للحفاظ على النظافة يحتاج الإنسان للاستمرار بالتدفق. إن النهر يبقى نظيفاً لأنه يتابع جريانه. التدفق هو عملية البقاء بكراً باستمرار.

المحب يبقى بكراً ـ كل المحبين عذارى. إن الناس الذين لا يحبون لا يمكن أن يبقوا عذارى، هم يبقون راكدين ساكنين، ومن ثم يبدؤون بالتعفن عاجلاً أم آجلاً ـ وعاجلاً أكثر منهم آجلاً ـ لأنه ما من مكان يمكنهم الذهاب إليه. إن حياتهم ميتة.

ذلك هو المكان الذي وجد الرجل العصري نفسه فيه. ومن أجل هذا فإن كل أنواع العصاب وكل أنواع الجنون أصبحت عنيفة. الأمراض النفسية وصلت إلى نسب وبائية. لم يعد الأمر أن هناك عدداً قليلاً من المرضى النفسيين. الحقيقة أن الأرض كلها قد أصبحت مستشفى مجانين. إن الإنسانية جمعاء تعاني من نوع من العصاب، وهذا العصاب يأتي من نرجسيتك. كل شخص عالق في أوهامه الخاصة حول كونه نفساً مستقلة، وهذا ما يدفع بالناس إلى الجنون. هذا الجنون

بلا معنى، إنه غير منتج وغير خلاّق، أو أن الناس بدأت تتجه باتجاه الانتحار. ذلك الانتحار أيضاً هو غير منتج وغير خلاّق.

ربما لن تقوم بالانتحار عبر تناولك للسم أو القفز عن جرف صخري أو بإطلاق النار على نفسك، لكن يمكنك أن تنتحر بعملية بطيئة جداً وهذا ما يحدث. القليل من الناس ينتحرون بشكل مفاجئ. بينما الآخرون قرروا الانتحار بشكل بطيء، وتدريجياً، ببطء يموتون. لكن النزعة باتجاه الانتحار قد أصبحت على الأغلب مشكلة كونية.

إن هذه ليست طريقة للعيش، والسبب الأساسي هو أننا قد نسينا لغة الحب. نحن لم نعد نمتلك الشجاعة الكافية للمضي في مغامرة تسمى حباً.

لذلك يصبح الناس مهتمين بالجنس، لأن الجنس غير خطير، إنه أمر لحظي، أنت لن تصبح متورطاً. الحب ارتباط، هو التزام وهو غير لحظي. وحينما يتجذر يمكن أن يصبح أبدياً. يمكن أن يصبح ارتباطاً أبدياً. الحب يحتاج إلى الإلفة والمودة، يحتاج إلى الحميمية. فقط عندما تصبح علاقتكما حميمية يصبح الآخر مرآة لك. عندما تلتقي جنسياً مع امرأة أو رجل فإنه لا يُعتَبَرُ لقاء أبداً، في الواقع، أنت تجنبت روح الشخص الآخر، أنت فقط استخدمت جسده وهربت كما أن الآخر استخدم جسدك وهرب. أنتما لم تصبحا بحالة حميمية كفاية ليكشف كل منكما للآخر عن وجهه الأصلي.

الحب هو أعظم كوان[1] للزن البوذية.

إنه مؤلم لكن لا تتجنبه. وإن تجنبته فقد تجنبت أعظم فرصة لك للنضج. اقتحمه، عانِ منه، فمن خلال المعاناة تأتي أعظم نشوة. نعم، هناك ألم كبير لكن

---

(1). الكوان: عبارة عن أحجية أو طريقة يستخدمها البوذي للعمل على تركيز العقل خلال ممارسة التأمل وممارسة التطوير الفكري الخلاّق. م.

من الألم تولد النشوة. نعم، عليك أن تموت كذات، لكن إن كان باستطاعتك أن تموت كذات فإنك سوف تولد كإله، كبوذا.

سوف يعطيك الحب أول طعم، سيعطيك أول إحساس لتذوق عالم التاو، عالم الصوفية الزن. إن الحب سيعطيك أول تأكيد على أن الحياة ليست بدون معنى. والناس الذين يقولون إن الحياة بدون معنى هم الناس الذين لا يعرفون شيئاً عن الحب. كل ما يقولونه هو أن حياتهم افتقدت إلى الحب.

وإن كان هناك معاناة، إن كان هناك ألم، فادخل عبر الليل الحالك، وسوف تصل إلى شمس مشرقة جميلة. إن الشمس تخرج فقط من رحم ظلام الليل، كما يأتي الصباح من عتمة الليل.

إن كل هدفي يتعلق بالحب. أنا أعلّم الحب، الحب فقط ولا شيء آخر. بإمكانك نسيان كل ما يتعلق بالسماء، إنها مجرد كلمة فارغة. بإمكانك أن تنسى ما يتعلق بكلمة صلوات لأنها عبارة عن شعائر فرضها الآخرون عليك. إن الحب هو الصلاة الطبيعية، ليست مفروضة من قبل أي شخص. لقد وُلِدتَ معها. الحب هو الإله الحقيقي - ليس الإله اللاهوتي - إنه الإله الخاص ببوذا، بالمسيح، بمحمد، بالصوفيين. الحب عبارة عن وسيلة، إنه طريقة لقتلك كإنسان فردي منفصل، ولمساعدتك لتصبح لانهائياً. أنت تختفي كقطرة ندى وتصبح محيطاً، لكن عليك أن تجتاز الممر عن طريق باب،محدد هو الحب.

بالتأكيد عندما يبدأ أحد ما بالذوبان كقطرة الندى وقد عاش زمناً طويلاً كقطرة ندى فسوف يتأذى لأن الشخص يفكر بما يلي: "أنا تلك القطرة والآن هي تذوي وتختفي. أنا أموت." أنت لا تموت، لكن الوهم هو الذي يموت. لقد كنت مندمجاً مع الوهم حتى أصبح بالنسبة إليك كأنه الحقيقة، لكن الوهم يبقى وهماً. وعندما يختفي الوهم تماماً، يصبح لديك القدرة على أن ترى من أنت بشكل حقيقي. هذا الإلهام يقودك إلى الذروة العليا من الفرح،السعادة، الاحتفال.

سؤال:

كيف يمكننا أن نفهم معنى النقوش والكتابات المكتوبة على المعابد الإغريقية في ديلفي والتي تقول:

"اعرَف نفسك" وليس "أحبّ نفسك"؟

العقل الإغريقي مهووس بالمعرفة. العقل الإغريقي يفكر بطريقة المعرفة: كيف نعرف؟ وهذا ما جعل الإغريق يبدعون أعظم تراث في الفلسفة، من المفكرين، المنطقيين، أعظم تراث فكري. إن الشغف هو أن تعرف.

في العالم، وكما أراه، هناك نوعان من العقل: العقل الهندوسي والعقل الإغريقي. العقل الإغريقي لديه الشغف للمعرفة والعقل الهندوسي لديه الشغف ليكون. إن الشغف الهندوسي لا يركز كثيراً على المعرفة، لكنه يركز على الكينونة. إن (سات)[2] ، الكينونة هي عملية البحث تحديداً (من أكون أنا؟). ولا يعني ذلك أن تعرف الإجابة بطريقة منطقية، لكن أن ينجرف الإنسان في وجوده بحيث يستطيع أن يشعر بذاته، وبذلك يستطيع الإنسان أن يكون ذاته، لأنه ما من طريقة أخرى لمعرفة ذلك، بشكل حقيقي. إن سألت هندوسياً فسوف يجيب بأنه لا يوجد طريقة للمعرفة أفضل من أن تكون ذاتك. كيف بإمكانك أن تعرف الحب؟ الطريقة الوحيدة هي أن تصبح عاشقاً. كن عاشقاً وسوف تعرف ما هو الحب. أما إن حاولت الوقوف على حافة الحياة لتكون مجرد مراقب، عندها ربما تستطيع أن تعرف شيئاً عن الحب، لكنك لن تعرف الحب أبداً.

لقد أنتج العقل الإغريقي كل ما يتعلق بالتطور العلمي. العلوم الحديثة هي نتاج العقل الإغريقي. إن العلم الحديث يلحّ على أن تكون غير عاطفي، يلحّ على الوقوف على الحافة والمشاهدة والمجاملة. أن تكون موضوعياً، أن تكون لا شخصياً، تلك هي المتطلبات الأساسية لتكون عالماً. كن لا شخصياً ولا تدع

---

[2]. سات: كلمة هندية تعني طبيعة حالة الشيء، وتعني أن الوضع الطبيعي للعقل الذي يركز على الكينونة هو البحث لكي يستطيع إدراك نفسه. م.

عواطفك تتدخل بأي شيء، كن غير عاطفي، أو بأقصى درجة غير مهتم بأي جدال وبأي شكل كان. راقب الحقائق فقط ولا تتورط بها. ابق خارجاً ولا تكن مشاركاً. هذا هو الشغف الإغريقي. إن غير الانفعالي أو غير العاطفي يبحث عن المعرفة.

إن هذا يساعد، لكنه يساعد في اتجاه واحد فقط، بالاتجاه المادي، إنها الطريقة التي تتعرف فيها على الأمور المادية. ليس باستطاعتك أن تتعرف على العقل بتلك الطريقة، فقط الماديات. ليس باستطاعتك أن تتعرف على الإدراك أو الشعور بتلك الطريقة. يمكنك أن تفهم القشور، ليس باستطاعتك فهم الداخل العميق، لأنك من الداخل أنت متورط سلفاً. وليس هناك من طريقة لتقف على الجانب منه، أنت سلفاً موجود هناك.

إن ما بداخلك هو حقيقتك، فكيف يمكنك أن تخرج منه؟ باستطاعتي أن أراقب حجراً أو صخرة أو نهراً بدون عواطف أو انفعال لأني مفصول عنها. كيف يمكنني أن أراقب نفسي بدون انفعال عاطفي؟ أنا متورط بهذا وليس باستطاعتي الوقوف خارجها. لا أستطيع أن أحط من نفسي حتى تصبح شيئاً مادياً. أنا سأبقى الموضوع، أنا سأبقى الموضوع ـ مهما فعلت، أنا العارف ولست المعروف.

لهذا فإن العقل الإغريقي انتقل شيئاً فشيئاً باتجاه المادية. إن الشعار المنقوش في معبد دلفي والذي يقول: "اعرف نفسك" أصبح مصدراً لجميع أنواع التقدم العلمي. لكن شيئاً فشيئاً قادت فكرة المعرفة غير المتعلقة بالشعور تحديداً، قادت العقل الغربي بعيداً عن كيْنونته الأصلية.

للعقل الهندوسي، النوع الآخر من العقول في العالم، اتجاه آخر وهذا الاتجاه هو اتجاه الكينونة. في (الأبانيشادا)[3] ، يقول المعلم العظيم (أودللاك) لابنه وتلميذه (سويتكيتو):

---

[3]. الأبانيشادا: فصل من كتاب (الفيدا) الهندوسي المقدس، وهو مكتوب باللغة السنسكريتية ويشرح فلسفة الفيدا. م.

"that art thou" – Tatwamasi، swetketu"

أي: ذاك هو أنت يا (سويتكيتو).

في العبارة السابقة ليس هناك من تمييز ما بين that و thou، أي ما بين ذاك وأنت. إن كلمة that هي حقيقتك، وكلمة thou هي الحقيقة ـ وليس هناك من تمييز بينهما. ليس هناك من إمكانية لتدركها كما تدرك صخرة. أو كما تدرك أشياء أخرى، يمكنك أن تكونها وحسب.

في معبد دلفي مكتوب طبعاً عبارة (اعرف نفسك). إنه تعبير عن العقل الإغريقي. لأن المعبد موجود في اليونان والنقش هو يوناني. لو كان هذا المعبد في الهند لكان يفترض أن يكون الشعار هو: (كن ذاتك، كن نفسك، كن كما أنت).

إن العقل الهندوسي يميل أكثر فأكثر نحو كينونة الإنسان، ولهذا أصبح عقلاً غير علمي. لقد أصبح عقلاً متديناً لكنه ليس علمياً. أصبح عقلاً انطوائياً لكنه فقد في ما بعد كل مراسيه في العالم الخارجي. إن العقل الهندوسي أصبح غنياً جداً من الداخل، لكنه من الخارج أصبح بسيطاً جداً.

المطلوب هو تركيبة عظيمة، تركيبة عظيمة مؤلفة من كلا العقلين الهندوسي والإغريقي. ومن الممكن أن يصبح أكبر سعادة للأرض.

حتى الآن يبدو أن هذا الأمر غير ممكن، لكن الآن لدينا المتطلبات الأساسية، والتركيب ممكن. إن الشرق والغرب يلتقيان بطريقة دقيقة. الناس الشرقيون يذهبون إلى الغرب ليحصلوا على التطور العلمي، ليصبحوا علماء، بينما الغربيون يرغبون بالتوجه باتجاه الشرق ليتعلموا ما هي الأديان. إن التركيبات العظيمة والاندماج يحدثان.

في المستقبل لن يكون الشرق شرقاً والغرب لن يكون غرباً. الأرض ستتحول لتكون قرية كونية، مكان صغير تختفي فيه كل الفوارق. عندها وللمرة الأولى سيظهر الاندماج العظيم، الأعظم على الإطلاق، الذي لن تفكر فيه بالتطرف ولن تفكر إن كنت قد ذهبت خارجاً. إذا كنت تبحث عما بعد المعرفة فسوف تفقد

جذورك من حيث ارتباطك بالكينونة، أو إن كنت تبحث في كينونتك فسوف تفقد ارتباطك مع العالم في مملكة العلم. يمكن للاثنين أن يكونا معاً، وأينما حدث هذا امتلك الإنسان جناحين وأصبح بإمكانه التحليق إلى أعلى سماء ممكنة، وإلا لن يكون لديه سوى جناح واحد.

من وجهة نظري فإن الهندوسية انحرفت بالمقدار نفسه الذي انحرف فيه العقل الإغريقي. كل منهما يشكل نصف الحقيقة. الدين هو النصف والعلم نصف. شيء ما سوف يحدث لكي يجمع الدين والعلم معاً في عظمة كلية بحيث لا يستطيع العلم أن ينكر الدين ولا يستطيع الدين أن يُدينَ العلم.

"كيف للنقش الموجود على معبد دلفي الإغريقي أن يقول (اعرف نفسك وليس أحبب نفسك)؟". أن تحب نفسك، هو أمر ممكن فقط إذا أصبحت ذاتك، إذا كنت ذاتك، وإلا فهذا ليس ممكناً. وإلا فالإمكانية الوحيدة هي أن تتابع محاولاتك لمعرفة من أنت، وهذا أيضاً سيكون من الخارج، تراقب من تكون من الخارج، وسيكون ذلك أيضاً بشكل مادي وليس بطريقة حدثية.

لقد طوّر العقل الإغريقي سعة استيعاب منطقية مرعبة. لقد أصبح أرسطو أباً للمنطق وأباً لكل الفلاسفة. إن العقل الشرقي يبدو وكأنه غير منطقي - إنه كذلك. إن الإصرار على التأمل فقط هو غير منطقي لأن التأمل يقول إن باستطاعتك أن تعرف فقط عند إسقاط عمل العقل. عندما يسقط التفكير وتدمج نفسك في كيانك بشكل كامل، بشكل لا يكون فيه ولا فكرة بسيطة موجودة، بشكل تقوم به بمقاطعة حالة التأمل لديك، عندها فقط يمكنك أن تعرف. والعقل الإغريقي يقول إن بإمكانك أن تعرف عندما يكون التفكير نقياً، منطقياً، معقولاً ومنظماً. بينما العقل الهندوسي يقول: عندما يختفي التفكير بشكل تام فإنه في تلك اللحظة توجد إمكانية للمعرفة. إنهما مختلفان بشكل كامل ويسيران بطريقين متعاكسين تماماً، ولكن هناك إمكانية لجمعهما معاً.

يستطيع الإنسان أن يستخدم عقله عندما يعمل على مسألة مادية، عندها يكون المنطق وسيلة عظيمة. ويستطيع الشخص نفسه أن يضع عقله جانباً عندما يدخل في صومعة تأمله ويتحرك فيها بدون عقل. لأن العقل ليس أنت ـ إنه جزء أو أداة تشبه تماماً يدي أو أقدامي. إن كنت أرغب بالمسير فسوف أستخدم قدمي، وإن كنت لا أرغب بالمسير فلن أفعل. تماماً بنفس الطريقة يمكنك استخدام العقل بشكل منطقي إن أردت أن تعرف شيئاً عن مسألة مادية. إن ذلك صحيح تماماً، الأمر مناسب بهذا الشكل. عندما تتحرك باتجاه أمر باطني ضع العقل جانباً. أنت الآن لا تحتاج إلى قدميك ولا تحتاج إلى التفكير. الآن أنت تحتاج إلى حالة من الصمت العميق، حالة من اللا تفكير.

وكلتا هاتين الحالتين يمكن أن تحدثا لشخص واحد. وعندما أقول ذلك فأنا أقوله من خلال خبرتي الخاصة بالحياة. عليّ أن أقوم بالأمرين. عندما يحتاج الأمر أستطيع أن أكون منطقياً كما الإغريق وعندما لا يكون هناك حاجة فباستطاعتي أن أكون غير منطقي مثل أي هندوسي. لذلك عندما أقول هذا فأنا أعني ذلك وهذا ليس افتراضياً. لقد اختبرت الأمر بتلك الطريقة.

يمكن استخدام العقل كما يمكن وضعه جانباً. إنه وسيلة، وسيلة جميلة جداً، لكن ليس من الضروري أن نكون مهووسين بها، أو نتحول إلى مستحوَذ علينا من قبله. ليس من الضروري أن نكون منسجمين تماماً معه، عندها تصبح الحالة مرضية. فكر قليلاً برجل يريد أن يجلس لكنه لا يستطيع لأنه يقول: "إن لي قدمين، فكيف سأجلس؟" أو تخيلْ رجلاً يريد أن يبقى هادئاً وصامتاً لكنه يقول: "لدي عقل." هذه الحالة تشبه تلك.

على الإنسان أن يكون قادراً لدرجة يضع فيها جانباً حتى أقرب أداة بالنسبة إليه، ألا وهي العقل، يمكن لهذا أن يحدث وقد حدث، لكن يجب ألاّ يحدث بمستوى عال. ومع التقدم شيئاً فشيئاً يمكن أن يحدث بمستوى عال أيضاً ـ وهذا تماماً ما أحاول أن أقوم به هنا معك. أنا أتحدث معك، أناقش المشاكل معك ـ

وهذا منطقي، هذا استخدام للعقل. وبعدها أقول لك: " الق بعقلك جانباً وتحرك باتجاه التأمل العميق. إن كنت ترقص فارقص بكل جوارحك وبحيث لا يكون هناك أي تفكير بأي شيء مهما كان بسيطاً. حوّل كل طاقتك إلى رقص. أو غنِّ، غنِّ فقط، أو اجلس، اجلس فقط ـ كن في (الزازن)[4] ، لا تفعل أي شيء آخر. لا تسمح لمجرد فكرة بسيطة أن تمر. كن هادئاً، هادئاً تماماً." هناك أشياء متعارضة تماماً.

في كل صباح يمكن أن تمارس التأمل، وفي كل صباح يمكن أن تستمع إلي. ولكن لا يستقيم في كل صباح أن تستمع إلي، ثم تمارس التأمل يكون هناك تعارضٌ. إن كنت فقط إغريقياً سوف أتحدث معك، سوف أقوم بتواصل منطقي معك، لكن فيما بعد لن أطلب منك أن تمارس التأمل. هذا غباء. إن كنت فقط هندوسياً فلن يكون هناك حاجة للحديث معك، يمكنني القول: " فقط اذهب وتأمل، ما هو الهدف من الحديث؟ على الشخص أن يكون صامتاً." أنا الاثنان معاً وذلك هو مرادي، وعليك أنت أن تصبح الاثنين معاً، فعندئذٍ تكون الحياة ثرية جداً، ثرية بإفراط. عندها لن تفقد أي شيء، بل سوف تنغمس بكل شيء، وتتحول إلى أوركسترا عظيمة. عندها تلتقي جميع الأقطاب في داخلك.

إن فكرة ـ "أحبَّ نفسك" بحد ذاتها بالنسبة للإغريق، تستحوذ عليك. لأنهم سيقولون ـ وسيتكلمون بمنطق ـ إن هذا الحب ممكنٌ بين شخصين فقط، يمكنك أن تحب شخصاً ما آخر، تستطيع أيضاً أن تحب عدوك، لكن كيف لك أن تحب نفسك؟ أنت فقط هناك، لوحدك. يمكن للحب أن يتواجد بين قطبين، كيف يمكن لك أن تحب ذاتك؟ في العقل الإغريقي تبدو فكرة حب الذات تحديداً فكرة غبية، لأنه من أجل الحب لا بد من وجود الآخر.

---

[4]. الزازان: وهي حالة الزن البوذية وتعتبر حالة من حالات التأمل. م.

بالنسبة للعقل الهندوسي، في الأبانيشادا يقولون: أنت تحب زوجتك ليس من أجل تحقيق رغبات زوجتك، بل أنت تحب زوجتك من أجل غاياتك الشخصية، أنت تحب نفسك من خلالها لأنها تعطيك السعادة. من أجل ذلك أنت تحبها، لكن في أعماقك، أنت تحب سعادتك الشخصية. إنك تحب طفلك، تحب أصدقاءك، ليس من أجل أي منهم بل من أجلك أنت. وعميقاً بداخلك، فإن ابنك يجعلك سعيداً، صديقك يعطيك العزاء والسلوان وهذا ما تتوق له. لذلك فإن (الأبانيشادا) تقول إنك تحب نفسك في الواقع. حتى وإن قلت إنك تحب الآخرين، هذا مجرد وسيط لتحب نفسك، طريق طويل و ملتو لتحب نفسك.

الهندوس يقولون: ما من إمكانية أخرى، بإمكانك فقط أن تحب نفسك. والإغريق يقولون ما من إمكانية لتحب ذاتك، لأنه من أجل علاقة حب نحتاج إلى طرفين.

إن كنت تسألني فأنا كلاهما، الهندوسي والإغريقي. إن كنت تسألني فعليّ أن أقول إن الحب متناقض. إنه من أكثر الظواهر تناقضاً. لا تحاول أن تقلصه إلى قطب واحد، أنت تحتاج إلى قطبين. تحتاج إلى الآخر، لكن في الحب العميق يتلاشى الآخر. لو راقبت عاشقين لرأيت أنهما اثنان وواحد في آن معاً. إن هذا هو التناقض في الحب وهذا هو الجمال فيه - إنهما اثنان، نعم إنهما اثنان، وحتى الآن هما ليسا اثنين، إنهما واحد. إن لم تحدث الأحادية فإن الحب لن يكون ممكناً بينهما. ربما كانا يقومان بشيء آخر باسم الحب. إن كانا لا يزالان اثنين، وليسا واحداً أيضاً،عندها نستطيع القول إن الحب لم يحدث. وإن كنت فقط واحداً وليس هناك شخص آخر، عندها أيضاً يكون الحب غير ممكن.

الحب هو ظاهرة متناقضة. تحتاج إلى شخصين في البداية، وفي النهاية تحتاج إلى أن يتواجد الشخصان في كيان واحد. إنها حالة غموض كبير، إنها أعظم لغز.

سؤال:

كيف بإمكاني أن أحب بشكل أفضل؟

الحب مكتفٍ بنفسه ولا يحتاج لأي تفضيل. إنه رائع كما هو ولا يحتاج، بطريقة أو بأخرى، ليكون أفضل. إن تلك الرغبة بحد ذاتها تظهر شيئاً من عدم الفهم للحب وطبيعته. هل يمكنك أن تحصل على دائرة متقنة؟ إن كل الدوائر متقنة، وإن لم تكن أي منها متقنة فهي ليست دائرة. إن الكمال هو الأمر الطبيعي بالنسبة للدائرة، ونفس المثال ينطبق على قانون الحب. إنك لا تستطيع أن تحب أقل، ولا تستطيع أن تحب أكثر لأن الموضوع لا يتعلق بالعدد. إنه يتعلق بالنوعية التي تكون غير قابلة للقياس.

إن سؤالك بالتحديد يظهر بأنك لم تتذوق طعم الحب، وأنك تحاول أن تخفي حالة انعدام الحب لديك تحت رغبة المعرفة "كيف لي أن أحب أكثر؟ لا أحد ممن اختبروا الحب يسأل هذا السؤال.

علينا أن نفهم الحب ليس كإعجاب بيولوجي - تلك هي الشهوة. ذلك موجود في جميع الحيوانات وليس هناك شيءٌ خاصّ حول هذا الموضوع. هو موجود أيضاً في الأشجار، إنها طريقة الطبيعة في التكاثر، وما من شيء روحي فيه، ولا شيء خاص بالإنسان. لذلك فإن أول شيء علينا القيام به هو تمييز واضح وقطعي مابين الشهوة والحب. الشهوة هي انفعال أعمى بينما الحب هو العطر الناتج عن الصمت، عن الطمأنينة، عن القلب التأملي. لا علاقة للحب بأي من القضايا الكيميائية، البيولوجية أو الهرمونية.

الحب هو تحليق الإدراك لديك إلى أعلى دنيا، إلى ماوراء المادة وماوراء الجسد. في اللحظة التي تفهم فيها الحب كشيء فائق أو شيء يتجاوز الحد الطبيعي، عندها لن يعود الحب سؤالاً أساسياً. إن السؤال الأساسي هو كيف تتجاوز الجسد، كيف تعرف شيئاً يعيش فيك وهو يتجاوز كل شيء، يتجاوز كل

المقاييس. هذا هو معنى كلمة (المادة) (matter) وهذه الكلمة أتت من الجذر السنسكريتي (matra) والتي تعني القياس، إنها تعني أي شيء يمكن قياسه. كما أن كلمة (متر) (meter) أتت من الجذر نفسه. السؤال الأساسي هو كيف تتجاوز ما هو قابل للقياس وتدخل فيما هو غير القابل للقياس. بكلمات أخرى، كيف تذهب خلف المادة وتفتح عينيك على المزيد من الإدراك والوعي؟

وكذلك، ليس هناك من حدود للإدراك، فبقدر ما تكون واعياً بقدر ما تعي كم تستطيع أن تتقدم أكثر. كأنك تصل إلى قمة ما فترتفع أمامك قمة أخرى. إنه رحلة حج أبدية لا تنتهي.

الحب هو نتيجة فرعية لرفع مستوى الوعي. إنه مشابه لعطر الأزهار، لا تحاول البحث عنه في الجذور فهو ليس هناك. إن بيولوجيتك هي جذورك بينما وعيك هو إثمارك. عندما يزداد إدراكك أكثر فأكثر وتصبح كزهرة لوتس متفتحة سوف تتفاجأ بالتجربة المرعبة التي نستطيع تسميتها فقط باسم الحب. إنك تمتلئ بالسعادة، بالفرح، كل جزء من كينونتك يرقص في نشوة. إنك تشبه الغيمة الماطرة التي تريد فقط أن تمطر وترش الماء.

في الوقت الذي تفيض فيه بالسعادة، ترتفع لديك رغبة عارمة في أن تتشارك تلك السعادة مع أحد ما. وتلك المشاركة هي ما يسمى الحب.

الحب ليس شيئاً يمكنك الحصول عليه من إنسان لم يصل إلى السعادة ـ وتلك هي كارثة العالم كله. كل إنسان يريد أن يكون محبوباً ويتصنع الحب. أنت لا تستطيع أن تحب لأنك لا تعرف ماذا يعني الإدراك. أنت لا تعرف معنى (satyam) و(shivam)، (sundram)[5] ، أنت لا تعرف الحقيقة، لا تعرف تجربة اللاهوت، لا تعرف رائحة الجمال. ماذا تريد أن تعطي؟ أنت فارغ تماماً،

---

[5]. (sundram، shivam، satyam):

كلمات هندية تعني الفرح والسعادة والبهجة. م.

إنك عبارة عن ثقب أو حفرة..لا شيء ينمو في كينونتك، لا شيء يتمتع بالحياة. ليس هناك من أزهار، إن ربيعك لم يزهر بعد.

الحب هو ناتج فرعي. عندما يأتي الربيع وتبدأ فجأة بالإزهار، بالتفتح، عندما تحرر الطاقة الكامنة فيك كأنك تنشر العطر، عندها فإن مشاركة ذلك العطر، مشاركة تلك النعمة، مشاركة ذلك الجمال هو الحب.

ليس لدي رغبة بأن أؤذيك، لكني لن أكون مساعداً بدون ذلك، علي أن أقول الحقيقة لك: أنت لا تعرف ماذا يعني الحب. لا يمكنك أن تعرف لأنك حتى الآن لم تتعمق كثيراً في وعيك وإدراكك. أنت لم تختبر ذاتك، لا تعرف شيئاً عن ذاتك. في هذا العماء وهذا الجهل، في هذا المستوى من اللاوعي، لن ينمو الحب. إنها صحراء تلك التي تعيش فيها، وفي تلك العتمة، في تلك الصحراء، ليس هناك من إمكانية للإزهار والتبرعم.

بدايةً عليك أن تكون ممتلئاً بالضياء، ممتلئاً بالبهجة، ممتلئاً لدرجة تبدأ فيها بالتدفق. ذلك التدفق للطاقة هو الحب. عندها يعرف الحب بأنه الكمال الأعظم في العالم. لا أقل ولا أكثر.

لكن تربيتنا بالتحديد هي تربية عصابية، والمرض النفسي يدمر كل إمكانية للإزهار في داخلنا. لقد تم تلقينك منذ ولادتك على أن تكون متميزاً، ومن ثم وبشكل طبيعي تابعت تطبيق أفكارك في الكمال على كل شيء حتى على الحب.

منذ يوم أو يومين قرأت العبارة التالية: الشخص الذي يطلب الكمال هو شخص يتلقى آلاماً كبيرة ويسبب آلاماً أعظم للآخرين. وينتج عن كل هذا عالم كارثي تعيس!

كل شخص يحاول أن يكون كاملاً. وفي اللحظة التي يبدأ فيها بالعمل على الكمال سيبدأ بتوقع أن كل شخص آخر هو شخص كامل، وهنا يبدأ بإدانة الناس، يذلهم. هذا ما يقوم بفعله، ثم يسميهم بالقديسين على مر العصور، هذا ما يفعله المتدينون بك، يسممون كينونتك بأفكار عن الكمال.

لأنك لا تستطيع أن تكون كاملاً يبدأ لديك شعورٌ بالذنب، تخسر احترامك لنفسك. والشخص الذي يخسر احترامه لنفسه يخسر كل تقدير لكينونته. يتحطم كبرياؤك، تتدمر إنسانيتك بسبب كلمة جميلة ككلمة الكمال.

لا يستطيع الإنسان أن يكون كاملاً. نعم، هناك شيءٌ ما يستطيع الإنسان أن يختبره، ذلك الشيء الذي يتجاوز الإدراك الطبيعي للإنسان. ما لم يستطع الإنسان تجربة شيء ما عن الغيبيات، فإنه لن يستطيع أن يعرف الكمال.

الكمال ليس شيئاً مشابهاً للتهذيب، إنه ليس شيئاً يمكنك أن تمارسه، ليس شيئاً يمكنك أن تدخله وتدرب عليه. إنه ما تم تعليمه لكل شخص، والنتيجة هي عالم مليء بالنفاق. من هو الذي يعرف تماماً أنه مثل حفرة فارغة، لكنه مستمر بالتظاهر بكل الميزات التي ما هي إلا كلمات فارغة.

عندما تقول لشخص ما، "أنا أحبك." هل فكرت يوماً بما تعنيه؟ هل هي عبارة عن افتتان بيولوجي بين جنسين؟ وبعدها وبعد أن تشبع شهية حيوانك، فإن كل ما كان يسمى حباً سوف يختفي. لقد كان عبارة عن جوع وقد قمت بإشباعه وانتهيت. مع نفس المرأة التي كانت تبدو وكأنها المرأة الأجمل في العالم، نفس الرجل الذي كان يشبه الإسكندر الكبير، تبدأ بالتفكير بعدها، كيف ستتخلص من هذا الزميل!

سيكون من المفيد جداً أن نفهم هذه الرسالة التي كُتِبَت من قبل (بادي) إلى محبوبته (مورين):

عزيزتي مورين،

سأتسلق أعلى الجبال من أجلك، وسأسبح في البحار الموحشة، سأتحمل كل الصعوبات من أجل أن أمضي دقيقية بجانبك.

الذي يحبك دائماً ـ بادي

سوف أكون متشوقاً لرؤيتك يوم الجمعة مساءً إن لم يكن الطقس ماطراً.

في اللحظة التي تقول فيها لشخص ما "أنا أحبك،" أنت لا تعرف ماتقوله. أنت لا تعرف أنها مجرد رغبة مختبئة خلف كلمة جميلة هي الحب وسوف تختفي. إنها آنية جداً.

الحب شيء خالد. إنها خبرة بوذا، وليست ما يقع فيه جميع الناس حول العالم والذين لم يصلوا إلى أي مستوى من الإدراك. ثمة عدد قليل من الناس فقط يعرفون ما هو الحب، وهؤلاء هم أنفسهم الأشخاص الأكثر وعياً، الأكثر تنوراً، الواصلون إلى أعلى قمة من الخط البياني الممثل للإدراك.

إن كنت بالفعل تريد أن تعرف الحب، انس الحب وتذكر التأمل. إن كنت تريد أن تجلب الأزهار إلى حديقتك، انس الأزهار واعتنِ بشجيرة الأزهار. قم بتغذيتها، اسقها بالماء، اعتنِ بها بحيث تحصل على النسبة الصحيحة من نور الشمس، من الماء. إن اعتنيت بكل شيء، فإن الأزهار سوف تظهر في الوقت المناسب. لن يكون باستطاعتك أن تحصل على الأزهار قبل موعدها، لن تستطيع إرغامها على الإزهار مبكراً. ولن تستطيع أن تطلب من الزهرة أن تكون أكثر كمالاً.

هل رأيت يوماً زهرة ليست كاملة؟ ماذا تريد أكثر من ذلك؟ كل زهرة تكون كاملة بتميزها. الرقص في الهواء، تحت المطر، تحت أشعة الشمس.... ألا يمكنك أن ترى هذا الجمال الباذخ؟ هذا الفرح الكامل؟ إن زهرة عادية تستطيع أن تعكس الأبهة المخفية للوجود.

الحب هو زهرة في كينونتك. لكن قم بترتيب حياتك، أبعد العتمة واللاوعي، كن أكثر فهماً وأكثر إدراكاً، عندئذٍ سوف يأتي الحب في أوانه. لا داعي للقلق حيال ذلك. وحين يأتي سيكون دائماً كاملاً.

الحب تجربة روحية لا علاقة له بالأجناس ولا بالأجساد، لكن له علاقة فقط بالكينونة العظيمة. لكنك لم تدخل أبداً إلى معبدك الشخصي الداخلي، أنت لا تعرف أبداً من أنت، كما أنك تحاول أن تكتشف كيف تحب أكثر. أولاً كن ذاتك

وبعدها سوف يأتي الحب كمكافأة. إنها مكافأة من الماورائيات. إنها تنهمر عليك، كأنها الورود تملأ حياتك ثم تتابع الانهمار عليك وتجلب معها الاشتياق العظيم لنتشارك به.

تلك المشاركة ـ في لغة البشر ـ لا يمكن الإشارة إليها إلا بكلمة واحدة هي الحب. إنها لا تقول الكثير، ولكن تشير إلى الاتجاه الصحيح.

الحب هو ظلال الوعي، ظلال الإدراك. كن أكثر إدراكاً، والحب سوف يأتي مع ازدياد إدراكك. إنه كالضيف بزيارته، إن ذلك أمر حتمي لأولئك الجاهزين والمتحضرين لاستقباله. أنت لم تصبح جاهزاً حتى لتمييزه!! فإن أتى الحب إلى بابك فأنت لن تدرك ذلك. إنْ طَرَقَ الحب بابك فلربما وجدت له آلاف الأعذار، لربما اعتقدت أن هناك رياحاً قوية أو أي عذر آخر، أنت لن تفتح الأبواب. وحتى لو فتحت الأبواب فأنت لن تدرك أنه الحب لأنك لم تتعرف عليه سابقاً، كيف لك أن تعرفه عندما تراه؟

تستطيع أن تدرك الشيء الذي تعرفه فقط. عندما يأتي الحب أول مرة ويملأ كيانك فإنك سوف تُغمَرُ وترتبك، سوف لن تعرف ما الذي يحدث. أنت تعرف أن قلبك يرقص، تعرف أنك محاط بموسيقا سماوية، تتعرف على الشذى الذي لم تتعرف عليه قبل ذلك. لكن ستحتاج بعض الوقت لتضع كل تلك التجارب معاً وتتذكر أنه ربما كان هذا هو الحب. قليلاً قليلاً، تغوص في كيانك.

المتصوفون فقط يعرفون الحب. ومن غير المتصوفين لا يوجد فئة من الناس اختبرت الحب. الحب هو حكر على المتصوفين بشكل كامل. إن كنت تريد أن تعرف الحب فعليك الدخول في عالم المتصوفين.

يقول المسيح: "الله هو المحبة". لقد كان عضواً في طائفة سرية، فالأسينيون[6]، طائفة صوفية قديمة. لكنه ربما لم يتخرج من المدرسة الصوفية لأن ما يقوله هو ببساطة غير صحيح. هل الله هو الحب أم الحب هو الله؟ الفرق كبير جداً، إنه ليس عبارة عن تغيير في الكلمات. في اللحظة التي تقول فيها إن الله هو الحب فأنت ببساطة تقول إن الحب مخصوص فقط بالله. لكنه أيضاً هو الحكمة، هو الرحمة، هو التسامح، باستطاعته أن يكون ملايين الأشياء بالإضافة إلى الحب، الحب هو فقط خصوصية من خصوصيات الله.

ولكن، أن تجعل الحب إحدى صفات الله أو خاصياته، فذلك قضية غير مقبولة وغير منطقية، لأنه إن كان الله هو الحب فمن غير الممكن أن نضع كلمة (فقط)، إن كان الله هو الحب فمن غير المقبول أن يكون قاسياً لدرجة يلقي بها بالمذنبين في جهنم. هناك واحد من أتباع الصوفية الباطنية وهو(عمر الخيام) أظهر فهماً أكثر من المسيح عندما قال: "أنا سأتابع طريقي فقط لأكون ذاتي" ولن أضع أي ملاحظة على المبشرين والقديسين لأني أثق بأن محبة الله كافية تماماً، ليس باستطاعتي اقتراف إثم يكون أكبر من الحب الذي عنده. لماذا أقلق إذاً؟ إن أيدينا قصيرة وذنوبنا بسيطة. إن ما نستطيع القيام به قليل، كيف لنا أن نقترف آثاماً لا يسامح الله بها؟ إن كان الله هو الحب فليس عليه أن يكون موجوداً في اليوم الآخر ليقوم بفرز القديسين ومن ثم يلقي بباقي ملايين الملايين من الناس في الجحيم الأبدي"

إن تعاليم مدرسة (الأسينيين) كانت عكس ذلك تماماً، فهل قيَّمَ المسيح الأمور بشكل خاطئ؟ ربما لم يكن متجذراً بشكل عميق في تعاليمهم. إن تعاليمهم كانت: "الحب هو الله". إنه الفرق كبير جداًبين ذلك وبين أن يكون الله خاصية

---

[6]. الأسينيّون: تعود تسميتها إلى أحد الأعضاء الزاهدين في الديانة اليهودية، كان يقطن في منطقة البحر الميت ما بين سنة 100 قبل الميلاد و200 بعد الميلاد. م.

من خصائص تجربة الحب العظيمة، الآن لم يعد الله شخصاً بل مجرد تجربة لأولئك الذين يعرفون الحب. وقد قلت لك، (essences) كانت على حق. الحب هو القيمة النهائية، الإثمار الأخير. لا شيء يأتي وراءه، لذلك لن تستطيع جعله كاملا.

قبل أن تدرك الحب عليك أن تتلاشى. عندما يصبح الحب موجوداً، لن تكون أنت موجوداً.

لأحد الصوفيين الباطنيين العظام واسمه (كبير) مقولة عظيمة، وهذه المقولة لا يمكن أن يقولها إلا شخص لديه خبرة كبيرة ولديه إدراك، واصل إلى العمق المقدس للحقيقة الخالدة. والمقولة هي: "لقد بحثت عن الحقيقة، ولكن من الصعب أن أقول إنه بمقدار بحثي الطويل عنها، كانت غير موجودة. وعندما وجدت الحقيقة، نظرت حولي... لقد كنت غائباً. عندما تتواجد الحقيقة، فالباحث لن يكون، وعندما يتواجد الباحث، تكون الحقيقة في مكان ما."

إن الحقيقة والباحث عنها لا يتواجدان معاً. أنت والحب لا تتواجدان في نفس المكان. ليس هناك من تعايش ممكن، إما أنت أو الحب، يمكنك الاختيار. إن كنت جاهزاً للتلاشي فعليك أن تذوب وتندمج تاركاً فقط الإدراك الصرف خلفك، فالحب سوف يزهر. ليس بإمكانك أن تجعله كاملاً لأنك لن تكون حاضراً. وليس هناك من ضرورة للكمال في المقام الأول لأنه يأتي دائماً كاملاً.

الحب هو من الكلمات التي يستخدمها جميع الناس ولا يفهمها أحد. فالأهل يقولونها للأولاد، "نحن نحبكم"، وهم أنفسهم الناس الذين يدمرون أطفالهم. إنهم هم الذين يقدمون للأولاد كل أنواع الأحكام المسبقة، كل أنواع الخرافات الميتة. إنهم هم الذين يلقون على عاتق الأولاد كل ذلك الحمل من التفاهة، والتي ينقلونها بدورهم من جيل إلى جيل.

إن الجنون يستمرويستمر..... ليصبح هائلاً.

حتى الآن كل الأهالي يعتقدون أنهم يحبون أولادهم. إن كانوا فعلاً يحبونهم فهم لن يرغبوا بأن يجعلوهم يشبهونهم أو يجعلوهم على صورتهم لأن هذا مجرد تفاهة ولا شيء آخر. ما هي خبرتهم في الحياة؟ إنها البؤس الصرف، إنها المعاناة.... إن الحياة ليست مباركة لهم، إنها تعاسة. ولا يزالون يريدون من أولادهم أن يكونوا فقط على شاكلتهم.

كنت ضيفاً على عائلة، كنت أجلس في الحديقة بعد الظهر والشمس كانت تغرب، كان هناك صمتٌ جميل. الطيور تعود إلى الأشجار وطفل صغير من العائلة يجلس إلى جانبي. سألت الطفل: "هل تعرف من أنت؟" إن الأطفال أكثر وضوحاً وأكثر إدراكاً من الراشدين لأن الراشدين معطوبون، عقولهم ملوثة بكل أنواع الإيديولوجيات، الأديان. ذلك الطفل الصغير نظر إلي وقال: "إنك تسألني سؤالاً صعباً جداً."

قلت للطفل: "أين الصعوبة في السؤال؟"

أجاب: "الصعوبة تكمن في أني الطفل الوحيد لوالدي، وبقدر ما أستطيع أن أتذكر فكلما أتى بعض الضيوف إلينا فإن أحداً منهم يقول إن عينيَّ تشبه عينيَّ والدي، وآخر يقول إن أنفي يشبه أنف والدتي، وآخر يقول إن وجهي يشبه وجه خالي. لذلك أنا لا أعرف من، أنا لأنه ما من أحد قال شيئاً يشبهني."

لكن هذا ما يحدث لكل طفل. أنت لا تدع الطفل وحده يكتشف نفسه، كما أنك لا تترك الطفل ليكون ذاته. أنت تتابع تحميل الطفل طموحاتك غير المنجزة. كل أهل يريدون أن يكون الولد على شاكلتهم.

لكن للولد قدره الخاص، إن هو أصبح على صورتك فلن يكون ذاته أبداً. وبدون أن يصبح مثلك فإنك لن تشعر بالرضا، لن تشعر بسعة هذا الوجود. سوف تكون كأنك تفقد شيئاً.

أهلك يحبونك، وهم أيضاً يقولون لك إن عليك أن تحبهم لأنهم أبوك وأمك. إنها ظاهرة غريبة ولا يبدو أن أحداً مدركٌ لها.

كونكِ أنتِ أماً لطفل لا يعني أبداً أن عليه أن يحبك. عليك أن تكوني محبوبة وكونك أماً لا يكفي لتكوني كذلك. وأنتَ ربما كنتَ أباً لكن هذا لا يعني أنك محبوب بشكل أوتوماتيكي. فقط كونك أباً لا يخلق شعوراً عظيماً من الحب لدى الطفل. لكنه متوقع... والطفل البسيط لا يعرف ماذا عليه أن يفعل. إنه يبدأ بالتظاهر، تلك فقط هي الطريقة الممكنة. هو يبدأ بالابتسام عندما لا يكون هناك ابتسامة نابعة من قلبه، يبدأ بإظهار الحب، الاحترام، الامتنان ـ وكل ذلك مجرد ادّعاء. لقد أصبح ممثلاً، منافقاً منذ بدايته، أصبح سياسياً أو دبلوماسياً.

نحن نعيش في هذا العالم حيث الأهل، المعلمون، رجال الدين، كل شخص يغويك، يزيحك من مكانك، يأخذك بعيداً عن نفسك. وجهودي هي في إعادتك إلى المركز، إلى ذاتك. وأنا أسمي هذا التمركز "التأمل". أنا أريدك ببساطة أن تكون ذاتك، مع احترامك لذاتك، مع تبجيلك لمعرفتك بأن الوجود يحتاجك، عندها يمكنك البدء بالبحث عن نفسك. أولاً عد إلى المركز ومن ثم ابدأ البحث عن نفسك.

إن معرفة الإنسان لوجهه الحقيقي هي بداية الحياة بالحب، بداية الحياة بالتأمل. ستكون قادراً على إعطاء الكثير من الحب لأنه ليس بالشيء المرهق. إنه غير محدود، لا يمكن أن يكون متعباً. وكلما أعطيت أكثر كلما كان بإمكانك إعطاء المزيد.

إن أعظم خبرة في الحياة هي ببساطة أن تعطي بدون شروط، بدون توقعات حتى لقليل من الشكر. بل على العكس، فإن الحب الحقيقي الموثوق يعطي شعوراً بالالتزام تجاه الشخص الذي قَبِلَ به. هو يستطيع رفضه.

عندما تبدأ بمنح الحب مع شعور عميق بالامتنان لأولئك الذين قبلوه سوف تتفاجأ بأنك أصبحت إمبراطوراً، لم تعد تستجدي الحب كالمتسول الذي يطرق الأبواب. والأشخاص الذين تطرق أبوابهم لن يستطيعوا منحك الحب لأنهم شحاذون أيضاً. إن الشحاذين يسألون بعضهم عن الحب ثم يشعرون بالإحباط

والغضب لأن الحب لا يأتي. لكن هذا ما يرغبون بحدوثه. إن الحب تابع لعالم الأباطرة وليس لعالم المتسولين. والإنسان يكون إمبراطوراً عندما يشعر بالحب الذي يستطيع أن يمنحه دون أي شروط.

بعدها نأتي إلى مفاجأة أعظم. عندما تبدأ بإعطاء حبك لأي شخص، حتى للغرباء، فالسؤال هو ليس لمن تمنح الحب. إن متعة العطاء بحد ذاتها كبيرة جداً وهو يقع أخيراً على من يهتم بغيره. عندما يصل هذا القدر من الاستيعاب إلى داخلك فإنك تتابع منح الحب إلى كل شخص، وليس فقط إلى البشر، بل للحيوانات أيضاً والأشجار، إلى النجوم البعيدة، لأن الحب هو شيء يمكنه أن ينتقل حتى إلى أبعد نجم من خلال نظرتك المحبة فقط. فقط عبر لمستك يمكن للحب أن ينتقل إلى الأشجار بدون أن تقول كلمة واحدة. يمكنه أن ينتقل بالصمت المطبق. لا يحتاج لأن يقال، إنه يتضح من ذاته. إن له طُرُقَهُ الخاصة بالوصول إلى كل الأعماق. إلى داخلك.

عليك أولاً الامتلاء من الحب وبعدها تحدث المشاركة. بعدها تحدث المفاجأة العظيمة، وهي أنه كما أنك تعطي تبدأ بتلقي الحب من مصادر غير معروفة، من زوايا غير معروفة، من أشخاص غير معروفين، من الأشجار، الأنهار، الجبال، من كل ركن وزاوية في الوجود ينهمر الحب عليك. وبقدر ما تعطي بقدر ما تتلقى. هكذا تصبح الحياة عبارة عن رقصة كاملة من الحب.

القسم الثاني

من العلاقة إلى التعلّق

حين تشعر أنك لم تعد تعتمد على أي شخص، يترسخ هدوء عميق وصمت كامل في داخلك. هذا لا يعني أنك قد توقفت عن الحب، على العكس تماماً، إنك ولأول مرة تعرف نوعية جديدة من الحب، أبعاداً جديدة للحب. هذا الحب الذي لم يعد حباً بيولوجياً، الحب الأقرب إلى الصداقة أو الحميمية منه إلى العلاقة. وهذا ما منعني من استخدام كلمة علاقة الصداقة بدلاً من كلمة الصداقة، لأن كلمة علاقة قد أغرقت الكثير من الناس.

الفصل الخامس

شهر العسل الذي لا ينتهي

الحب ليس عبارة عن علاقة، الحب يتواصل، لكنه ليس علاقة. العلاقة هي شيء منته، العلاقة هي اسم (noun)، نقطة النهاية قادمة، فقد انتهى شهر العسل ولم يعد هناك فرح، لم يعد هناك حماس، كل هذا قد انتهى الآن. يمكنك أن تستمر فقط من أجل المحافظة على وعودك أو لأن ذلك مريحٌ أو مناسبٌ لك. يمكنك أن تستمر به لأنه ليس هناك من شيء لتفعله، تستمر به لأنه إن أوقفت تلك العلاقة فسوف تخلق لك الكثير من المشاكل. العلاقة تعني شيئاً منجزاً منتهياً. شيئاً مغلقاً.

الحب ليس علاقة على الإطلاق، إنه تواصل. شيء متدفق كالنهر، متدفق بلا نهاية. الحب لا يعرف نقطة توقف، فشهر العسل يبدأ فيه ولا ينتهي، إنه ليس رواية تبدأ بنقطة معينة وتنتهي عند نقطة أخرى، إنه ظاهرة مستمرة. الأحباء ينتهون ويستمر الحب. إنه استمرار، إنه فعلٌ وليس اسماً.

لِمَ نقللُ من جمال التواصل لنحده بعلاقة؟ لماذا نحن في عجلة من أمرنا؟ لأن التواصل غير آمن والعلاقة هي الأمان وفيها أمر مؤكد. التواصل هو مجرد لقاء بين غريبين، ربما كان عيش ليلة واحدة وفي الصباح نقول وداعاً. من يعرف مالذي سيحصل غداً؟؟ إننا خائفون جداً لذلك نريد أن نجعله مؤكداً، نريد جعله أمراً يمكن توقعه، نريد من الغد أن يكون متناسباً مع أفكارنا، نحن لن ندعه يتمتع بالحرية ليقول كلمته، نحن وبشكل سريع نُقَلِصُ كل فعلٍ إلى اسم.

عندما تُغرَمُ بامرأة أو تُغرَمينَ برجل يبدأ التفكير فوراً بالزواج، أي أن تجعله عقداً قانونياً. لماذا؟ كيف للقانون أن يدخل في الحب؟؟ إن القانون يدخل في الحب لأن الحب غير موجود أساساً، إنه عبارة عن وهم وأنت تعرف أن الوهم سينتهي. عليك تثبيته قانونياً قبل أن ينتهي، عليك أن تفعل شيئاً ليصبح من غير الممكن انفصالكما.

في عالمٍ أفضل، مع أشخاص يمارسون التأمل أكثر، ومع انتشار القليل من التبصر في هذا العالم، فإن الناس سوف يحبون. سوف يحبون بشكل كبير، لكن حبهم سوف يبقى تواصلاً وليس علاقة. وأنا لا أقول إن حبهم سيكون فقط حباً لحظياً، هناك كل الإمكانيات لأن يكون حبهم أعمق من حبك، ربما كان فيه نوعية أعلى من الحميمية، ربما كان فيه شيء أفضل من الشعر ومن الألوهية. هناك إمكانية كبيرة ليدوم حبهما أكثر مما ستدوم علاقتك المزعومة، لن يكون مضموناً بالقانون أو عبر المحكمة أو عبر رجال الشرطة، بل ستكون الضمانات محتواة فيه، ستكون التزاماً من القلب، ستكون اتحاداً صامتاً.

إن كنت تستمتع بكونك مع شخص ما فسوف ترغب بالاستمتاع معه أكثر فأكثر، إن كنت تستمتع بالحميمية فسوف ترغب باستكشاف الحميمية أكثر فأكثر، هناك بعض ورود الحب التي لا تزهر إلا بعد حميمية طويلة، وهناك ورود موسمية أيضاً تتواجد لعدة أسابيع فقط، تتواجد في الشمس فقط وبعدها

تذوي إلى الأبد. هناك أزهار تحتاج لسنوات من أجل أن تظهر. كلما احتاجت وقتاً أطول كلما كانت أعمق، لكن يفترض أن يكون التزاماً من القلب إلى القلب.

ليس عليك التعبير عن الحب حتى لفظياً لأن التعبير عنه لفظياً تدنيس له. لا بد أن يكون التزاماً صامتاً، عيناً لعين، قلباً لقلب و كياناً لكيان. يجب أن يكون مفهوماً وليس مقالاً.

انس العلاقة وتعلم كيف تتواصل.

حالما تدخل في علاقة مع شخص يعتبر كلٌ منكما وجود الآخر أمراً مُسلَماً به، وهذا ما يدمر كل علاقات الحب. المرأة تعتقد أنها تعرف الرجل والرجل يظن أنه يعرف المرأة. لا أحد منكما يعرف!! من المستحيل أن يعرف أحدكما الآخر لأن الآخر يبقى لغزاً، كما أن اعتبار الآخر كأمر مُسلَم به فيه شيء من الإهانة وعدم الاحترام.

إن مجرد تفكيرك بأنك تعرف زوجتك أمر فيه إجحاف. كيف لك أن تعرف المرأة؟ كيف لك أن تعرفي الرجل؟ إنكما عملية تفاعلية ولستما أشياء ثابتة. المرأة التي عرفتها البارحة ليست هي نفسها اليوم. لقد انصب الكثير من الماء في نهر الغانج، أصبحت شخصاً آخر، شخصاً مختلفاً كلياً. عليك أن تتواصل من جديد وتبدأ من جديد، لكن لا تأخذ الأمر كمُسلَمات.

بالنسبة للرجل الذي كنت تنامين معه في الفراش في الليلة الماضية، انظري مجدداً إلى وجهه في الصباح، لم يعد الشخص نفسه، لقد تغير الكثير فيه، ما تغير فيه لا يُحصى. هذا هو الفرق ما بين الإنسان والأشياء. إن أثاث الغرفة بقي كما هو لكن الأشخاص لم يبقوا على حالهم. اكتشِفْ من جديد وابدأ من جديد. هذا ما أعنيه بكلمة تواصل.

التواصل يعني أن تبدأ من جديد دائماً، هو محاولاتك المستمرة لتكون أكثر اطلاعاً. مرة بعد مرة يعيد كلٌ منكما تقديم نفسه للآخر، محاولات مستمرة لرؤية العديد من الجوانب الأخرى المختلفة في شخصية الآخر، محاولات الدخول

أعمق فأعمق في دائرة الشعور الداخلية وفي الفجوات العميقة لكيانه. أنت تحاول حل الألغاز التي لا يمكن حلها، تلك هي متعة الحب، إنه اكتشاف الإدراك.

إن كنت تتواصل ولم تُقلِّل من شأن التواصل إلى مستوى العلاقة فإن الآخرين سوف يصبحون مرآة لك. سوف تكتشفهم بدون أن تعي أنك تكتشف نفسك أيضاً. إن التعمق في النظر إلى الآخر هو معرفتك لشعوره، لتفكيره، لمُحفِزاته العميقة، ومن خلالها سوف تعرف مُحفِزاتك الأعمق أيضاً. يصبح كل من العاشقين مرآة للآخر وبعدها يصبح الحب نوعاً من التأمل.

العلاقة بشعة والتواصل جميل.

في نمط العلاقة يصبح كل شخص أعمى عن رؤية الآخر. فكّر فقط، منذ متى كانت آخر مرة نظرت فيها في عيني زوجتك؟ منذ متى كانت آخر مرة نظرتِ فيها في عيني الزوج؟ ربما منذ سنوات. من هو الذي ينظر في عيون زوجته؟ لقد أصبحت معرفتها أمراً مسلماً به وليس هناك المزيد لتبحث عنه، أنت تهتم بالغرباء أكثر مما تهتم بالذين تعرفهم ـ من تعرفهم، تعرف تماماً شكل أجسادهم، تعرف كيف يستجيبون، تعرف أن كل ما حدث سوف يحدث مراراً وتكراراً، إنها دائرة مكررة.

لكن الحقيقة ليست كذلك، لا شيء يتكرر أبداً، إن كل شيء يصبح جديداً في مطلع كل يوم جديد. ما أصبح قديماً هو عيناك، هو مجموعة افتراضاتك، لقد تجمع الغبار على مرآتك ولم تعد قادرة على عكس صورة الآخر.

لذلك قلت لك أن تتواصل. وأقصد بهذه الكلمة أن نبقى مستمرين كما كنا في شهر العسل. أن يتابع كل منكما البحث عن الآخر، إيجاد طرقٍ جديدةٍ ليحب كل منا الآخر، طرقٍ جديدةٍ ليكون كل منا مع الآخر.

إن كلاً منا هو لغز كامل لا ينضب ولا يسبر غوره لدرجة يبدو أنه من غير الممكن أن تقول: "أنا قد عرفتها،" أو "أنا قد عرفته،" إن أكثر ما يمكنك قوله: "لقد فعلت ما بوسعي لكن اللغز يبقى لغزاً."

في الواقع كلما عرفتَ أكثر كلما ازداد غموض الأشخاص أكثر، ويبقى الحب هو المغامرة المستمرة.

الفصل السادس

من الشهوة إلى الحب إلى حالة الحب

الحب شيء أقرب إلى المستحيل إن تم التعامل معه في التركيبة الذهنية البشرية العادية. لن يكون الحب ممكناً إلا عندما يحقق الإنسان ذاته وليس قبل ذلك. قبل ذلك يكون هناك شيء آخر، إننا مستمرون بتسميته حباً، ولكن أحياناً يكون من الغباء تقريباً أن نسميه حباً.

يقع الرجل في حب امرأة لأنه يحب طريقتها في المشي أو يحب صوتها، يحب طريقة كلامها أو يحب عينيها. قبل يوم أو يومين كنت أقرأ أن امرأة قالت عن رجلٍ أن "لديه أجمل حاجبين في العالم." لا شيء خاطئ في هذا - يمكن للحاجبين أن يكونا جميلين - لكن إن وقعتِ في حب حاجبين فسيخيب أملك عاجلاً أم آجلاً، لأن الحاجبين هما من الأشياء الأقل أهمية لدى الشخص.

من أجل هذه الأشياء غير الأساسية يقع الناس في الحب! الشكل، العينين... وما إلى ذلك. أنت تعيش مع شخص وليس مع أجزاء من جسد، أنت لا تعيش

مع حاجبين أو مع لون الشعر. أنت تعيش مع شخص والشخص شاسع جداً... شاسع لدرجة لا يمكن لا يمكن تحديده.

وهذه الأشياء الصغيرة السطحية الخارجية ـ عاجلاً أم آجلاً ـ سوف لن تعني شيئاً. ولاحقاً وبشكل مفاجئ يصرخ أحدهم قائلاً: ماذا علي أن أفعل الآن؟؟

كل حب يبدأ بطريقة رومانسية ومع انتهاء شهر العسل فإن كل الأشياء تنتهي، لأن الإنسان لا يستطيع العيش في الرومانسية، على الإنسان أن يعيش في الواقع، والواقع مختلف تماماً. عندما ترى شخصاً، فإنك لا ترى كلية هذا الشخص، إنك ترى فقط السطح. هذا يشابه تماماً وقوعك في حب سيارة لأن لونها جميل، أنت لم تقم حتى بفتح غطاء المحرك، ربما ليس هناك من محرك على الإطلاق، ربما كان بها عيب ما أو نقص ما. في النهاية لن يساعد لون السيارة في تحديد أي شيء.

عندما يصبح الشخصان معاً فإن حقيقتيهما الداخليتين تتصادمان، وخصائصهما الخارجية تصبح بلا معنى. ماذا ستفعل بالحاجبين؟ ماذا ستفعل بالشعر وموديل الشعر؟ ستنساهما على الأغلب. لم تعد هذه الأشياء مثيرة بالنسبة لك لأنها أصبحت لديك. وكلما عرفت الشخص أكثر كلما ازداد خوفك لأنك ستعرف جنون ذلك الشخص وسيعرف الآخر جنونك. سيشعر الاثنان بأنهما قد خُدِعا وسيصبحان غاضبين. كلٍ منهما يبدأ بالانتقام من الآخر، وكأن الآخر قام بفعل التضليل أو الغش.

لا أحد يخدع أحداً رغم أن الجميع مخدوعون.

إن واحدة من أهم الأساسيات التي يجب أن تدركها هي أنه عندما تحب شخصاً ما فإنك تحب لأن الشخص غير موجود. والآن بعد أن أصبح الشخص موجوداً، كيف يمكن للحب أن يكون موجوداً؟

أنت ترغب بأن تكون غنياً لأنك كنت فقيراً ـ كل رغبتك بأن تكون غنياً هي بسبب فقرك. أما الآن وقد أصبحت غنياً فأنت لا تهتم. أو فكر بهذا بطريقة

أخرى. إنك جائع، وبالتالي أنت مهووس بالطعام. لكن عندما تشعر بأنك أفضل وأن معدتك أصبحت ملأى، من سيهتم؟ من سيفكر بالطعام؟

الشيء نفسه يحدث مع ما تسميه حباً. أنت تطارد امرأة والمرأة تستمر بانسحابها وتتهرب منك. هنا تصبح أنت مندفعاً بشكل أكبر وتطاردها بشكل أكبر. إن هذا جزء من اللعبة حيث تستمر المطاردة. إن كل إمرأة تعرف غريزياً أن عليها أن تهرب بحيث تستمر المطاردة، طبعاً لن تقوم بالانسحاب بالقدر الذي يجعلك تنسى كل شيء عنها. هي تقوم بتذكيرك بنفسها عبر نظرة ما، حركة إغواء، اتصال ما، ثم تهرب.

في البداية يطارد الرجل المرأة وتحاول المرأة الهروب. ما إن يمسك الرجل بالمرأة حتى تنقلب الأدوار. بعدها يبدأ الرجل بالهروب وتبدأ المرأة بالمطاردة: "إلى أين تذهب؟ مع من كنت تتكلم؟ لماذا أتيت متأخراً؟ مع من كنت؟"

إن المشكلة برمتها تقوم على أن كلاً منهما كان متعلقاً بالآخر لأنه لم يكن معروفاً بالنسبة له. إن عدم المعرفة كان سبباً للإعجاب كما أن عدم الإلفة كان سبباً للإعجاب أيضاً. الآن وقد أصبح كل منهما يعرف الآخر بشكل جيد، وقد مارسا الحب كثيراً من المرات صار الأمر على الأغلب نوعاً من التكرار، وفي أحسن الحالات نوعاً من العادة، أو رغبة في الاسترخاء، لكن الرومانسية تختفي منه. بعدها يشعران بالملل. يصبح الرجل عادة والمرأة تصبح عادة أيضاً. ليس باستطاعتهما العيش منفصلين بسبب الاعتياد، ولن يستطيعا العيش معاً بسبب عدم وجود الرومانسية.

تلك هي النقطة الأساسية عندما يريد شخص ما أن يفهم فيما إذا كان يحيا حباً أم لا. وعلى المرء ألا يخدع نفسه، على المرء أن يكون واضحاً. إن كان يحيا حباً أو كان حتى جزءاً مما كان حباً فإنّ هذه الأشياء سوف تمر. كما أن على الشخص أن يفهم أن هذه هي طبيعة الأشياء وليس علينا أن نغضب، فأنت لا

زلت تحب الشخص. حتى ولو كنت تعرف هذا الشخص، أنت لازلت تحبه أو تحبها.

في الحقيقية إن كان هناك حب فأنت تحب الشخص أكثر لأنك تعرفه. إن كان هناك حب فإنه سيستمر. وإن لم يكن هناك فسوف يختفي. كلتا الحالتين تكون جيدة.

بالنسبة لشخص يفكر بالذهنية المعتادة، فإن ما أدعوه حباً أمر غير ممكن. هو يحدث فقط عندما يكون لديك كيان متآلف جداً. إن الحب من مميزات الكيان المتآلف. إنه ليس حالة رومانسية، ليس له علاقة بتلك الأشياء التافهة. إنه يتجه فوراً إلى الشخص وينظر في الروح. الحب هو نوع من التآلف أو الترابط مع الكيان العميق للشخص الآخر، لكن لاحقاً يصبح الأمر مختلفاً. فكل حب يمكنه أن ينمو فيه يجب أن ينمو فيه، لكن تسعاً وتسعين بالمئة من الحب لا ينمو إلى هذا الحد. الاضطراب والمشاكل كبيرة جداً لدرجة يكون باستطاعتهما تدمير كل شيء.

أنا لم أقل إن على الشخص أن يتعلق. على الشخص أن يكون واعياً ومدركاً. فإن كان حبك مبنياً فقط على تلك الأشياء الغبية فسوف ينتهي ولا يستحق أن تنزعج لأجله. لكن إن كان حقيقياً فسينجو رغم كل الاضطرابات. عليك فقط أن تراقب....

الحب ليس هو القضية، الوعي والإدراك هما القضية. ربما كان ذلك مجرد حالة من حالات إدراكك الذي سينمو ويتطور، ستصبح أكثر وعياً بما يخص ذاتك. ربما يختفي هذا الحب لكن الحب القادم سيكون أفضل و سوف تختار بوعي أفضل. أو ربما هذا الحب الذي حدث بوعي أفضل سيغير نوعيته. على الإنسان أن يبقى منفتحاً أياً كان ما يحدث.

للحب ثلاثة أبعاد. الأول حيواني وهو غريزة الشهوة الجنسية، ومجرد ظاهرة فيزيولوجية. والثاني إنساني، وهو أعلى مرتبة من الشهوة ومن الجنس والشهوانية،

وهو ليس استخداماً للآخر كأداة. الأول هو مجرد استخدام، حيث يُستَخدَمُ الآخر كأداة. في الثاني لا يستخدم الآخر كأداة فالآخر مساوٍ لك، الآخر طرف بحد ذاته مثلك. الحب ليس استخداماً بل مشاركة تبادلية لكل كيانك هو سعادتك وموسيقاك وشاعريتك بالحياة. إنه مشاركة وتبادل.

الأول تملّكي، والثاني ليس تملكياً. الأول يخلق العبودية والثاني يعطي الحرية. أما البعد الثالث للحب فهو إلهي. عندما لا يكون هناك غرض للحب، عندما لا يكون الحب علاقة على الإطلاق، عندما يصبح الحب حالة من كيانك. أنت ببساطة تحب ـ لست بحالة حب مع شخص ما بعينه، لكن ببساطة هي حالة حب، وهنا مهما يكن ما تفعله فأنت تفعله بحب، أياً كان من تقابله فأنت تقابله بحب. حتى إن لمست صخرة فأنت تلمس الصخرة وكأنك تلمس من تحب، حتى لو نظرت إلى الأشجار فإن عينيك مليئتان بالحب.

في الأول يتم استخدام الآخر كأداة، في الثاني لم يعد الآخر أداة. أما في الثالث فيختفي الآخر تماماً. الأول يخلق العبودية والثاني يعطي الحرية. أما الثالث فيتجاوز الاثنين، إنه سموّ عن كل الثنائيات، ليس هناك من عاشق ولا معشوق، هناك فقط الحب.

تلك هي الحالة النهائية من الحب وذلك هو هدف الحياة الذي يجب تحقيقه. إن القسم الأكبر من الناس يبقون مقتصرين على البعد الأول، وهناك قلة فقط من الناس يدخلون البعد الثاني، أما الأكثر ندرة فهم الظاهرة التي أسميها الثالث ولا تحوي إلا بوذا، المسيح... والقليل من الأشخاص هنا وهناك الذين يمكن أن نعدّهم على أصابع اليد وقد وصلوا البعد الثالث للحب. لكن إن تابعت النظر إلى النجم البعيد يصبح ممكناً، وعندما يصبح ممكناً فسوف تحقق إنجازاً. عندها لن تفتقر الحياة إلى أي شيء. عند تحقيق ذلك الإنجاز سيتواجد فرح، فرح داخلي. حتى الموت لن يستطيع تدميره.

الفصل السابع

اتركا بعض فسحات لترقص فيها رياح السموات

في كتاب النبي لجبران خليل جبران: يقول النبي:

إنما اتركا بينكما بعض فسحات. لترقص فيها رياح السموات.

أحبوا بعضكم بعضاً ولكن لا تقيدوا المحبة بالقيود بل لتكن المحبة بحراً متموجاً بين شواطئ نفوسكم.

إن لم يكن تواجدكما معاً ناتجاً عن الشهوة فإن حبكما سيتعمق يوماً بعد يوم. إن الشهوة تقلل كل شيء لأن البيولوجيا لا تكترث لكونكما بقيتما معاً أم لا، إنها تهتم بالتكاثر وليس هناك من حاجة للحب لتحقيق ذلك. يمكنك المضي قدماً باتجاه إنجاب الأولاد بدون أي حب.

لقد راقبت جميع أنواع الحيوانات. عشت في الغابات وفي الجبال. كنتُ أُذهَلُ دائماً لرؤيتي أن الحيوانات تبدو حزينة جداً عندما تمارس الجنس. أنا لم أر حيواناً واحداً يمارس الجنس بسعادة، يبدو وكأن هناك قوة غير معروفة تضغط عليهما

لفعل ذلك. إن العملية ليست ناتجة عن خيارهما الشخصي، إنها ليست حريتهما بل نوعاً من العبودية أو الخضوع. وهذا ما يجعلهما بحالة حزن.

أجريت نفس المراقبة على الإنسان. هل رأيت رجلاً وزوجته يسيران في طريق ما؟ ربما أنت لا تعرف فيما إذا كانا زوجاً وزوجة، لكن إن كانا حزيني الوجه فعندها تستطيع أن تتأكد من أنهما زوج وزوجة.

كنت مسافراً من دلهي إلى سريناجار في مقصورتي المكيفة وكان هناك مقعدان فقط، وواحدٌ منهما كان محجوزاً لي. جاء شخصان، امرأة جميلة وشاب وسيم ولم يكن باستطاعة الاثنان أن يجلسا في المقصورة الصغيرة معي لذلك ترك الشاب المرأة في مقصورتي وجلس في مقصورة أخرى. لكنه كان يأتي في كل محطة ليجلب بعض الحلويات، الفواكه أو الأزهار.

كنت أراقب المشهد كاملاً. سألت المرأة: "منذ متى وأنتما متزوجان؟"

أجابت: "منذ سبع سنوات"

قلت لها: "لا تكذبي علي! يمكنك أن تخدعي أي شخص آخر لكن ليس باستطاعتك أن تخدعيني. أنتما لستما متزوجين."

أصيبت بالصدمة. لأن هذا الكلام صدر عن غريب لم يكن يتكلم، وكان ببساطة مكتفياً بالمشاهدة. قالت: "كيف كان لك أن تعرف؟"

قلت لها: "ليس هناك شيء غريب. الأمر بسيط. لو كان زوجك، ثم تركك واختفى، فلو عاد إليك عند المحطة التي ستنزلان بها فستكونين محظوظة!!"

قالت: "أنت لا تعرفني،وأنا لا أعرفك لكن ما تقوله صحيح. إنه حبيبي، إنه صديق زوجي.

قلت لها: "الآن كل شيء أصبح مفهوماً.."

ما الخطأ الذي يحدث بين الأزواج والزوجات؟ إنه ليس الحب، إن كل إنسان قد قَبِلَ بهذا وكأنه يعرف ما هو الحب. إنها شهوة صرفة ولاحقاً سيكتفي كل منكما من الآخر. إن البيولوجيا قد خدعتكما من أجل التكاثر ولاحقاً لن يكون

هناك أي جديد. الوجه نفسه والتضاريس نفسها، الطبوغرافيا نفسها. كم مرة حاولت اكتشافها؟ إن كل العالم حزين بسبب الزواج، والعالم يبقى حتى الآن غير مدرك للسبب.

إن الحب من أكبر الظواهر الغامضة. وليس بإمكانك أن تمَلّ من ذلك الحب الذي تحدث عنه (نبّي جبران) لأنه ليس شهوة. فنبي جبران يقول: اتركا بينكما بعض الفسحات.

كونا معاً لكن لا تحاولا أن يسيطر أحدكما على الآخر. لا تحاول امتلاك الآخر كما لا تحاول تدمير تفرّد الآخر.

عندما تسكنان معاً، اتركا بينكما بعض الفسحات... إذا أتى الزوج متأخراً ليس هناك من ضرورة لتتحرى الزوجة عن المكان الذي كان فيه ولماذا تأخر. إن لديه مساحته الخاصة وهو شخصية مستقلة. شخصيتان مستقلتان تعيشان معاً ولا أحد ينتهك مكان الآخر، إن أتت الزوجة متأخرة فليس من الضروري أن تسألها "أين كنتِ؟" من أنت لتسألها؟ إن لها مساحتها الخاصة وحريتها الخاصة.

لكن هذا يحصل كل يوم وفي كل بيت. على أصغر المسائل يتشاجران، لكن في الأعماق فإن النقطة الرئيسية هي أن أحدهما ليس مستعداً للسماح للآخر بأن يكون له مساحته الخاصة.

الأشياء التي تحبانها مختلفة، ربما كان الزوج يحب شيئاً أنت لا تحبينه. هذا لا يعني أنها بداية لخلاف بينكما، إن كنتما زوجاً وزوجة فهذا لا يعني أن الأشياء التي تحبانها متشابهة. وكل تلك الأسئلة.... كل زوج يعود إلى البيت يجول في عقله ما يلي: "ما الذي ستسألني عنه؟ ماذا علي أن أجيب؟" المرأة تعرف تماماً ماذا ستسأل وماذا سيجيبها هو، وتعرف كل تلك الأجوبة مزيفة، متخيلة، إنه يخدعها.

ما نوع هذا الحب الذي يحتوي دائماً على الشكوك وفيه خوف من الغيرة؟ لو رأتك الزوجة مع امرأة أخرى ـ تضحك وتتحدث معها فقط ـ فهذا كافٍ لتدمير

كل ليلتكما، سوف تتوب، إنه لثمنٌ فادح كنتيجة لبعض الضحك. وإن رأى الزوج زوجته مع رجل آخر وبدت أنها مستمتعة أو أكثر سعادة، فذلك كاف لخلق حالة من الاضطراب.

إن الناس غير مدركين لفكرة أنهم لا يعرفون معنى الحب. الحب ليس فيه شك، ليس فيه غيرة، ليس فيه تدخل في حرية الآخر ولا يتم فرضه على الآخر. الحب يعطي الحرية، والحرية ممكنة فقط إن كان هناك فسحة في وجودكما معاً.

هذه روعة جبران خليل جبران.... البصيرة الثاقبة. في الحب يفرح الرجل لرؤية امرأته سعيدة مع شخص ما لأن الحب يريد للمرأة أن تكون سعيدة. الحب يريد من الزوج أن يكون سعيداً. يجب أن تكون الزوجة سعيدة لرؤية زوجها يتحدث إلى امرأة ما ويشعر بالسعادة، ليس الخلاف وارداً. إنهما معاً ليجعلا من حياتهما أكثر سعادة لكن العكس هو ما يحدث. يبدو وكأن الزوجات والأزواج يريد كل أن يحول حياة الآخر إلى تعاسة، إلى دمار. والسبب في ذلك أن الشخص لم يفهم حتى معنى الحب.

لكن (اتركا بينكما بعض فسحات في اجتماعكما......) إنه ليس تناقضاً. كلما أعطيت المزيد من المساحة للشخص للآخر كلما ازداد اقترابك منه. كلما سمحت بالمزيد من الحرية للآخر كلما كان هناك حميمية أكثر. ليست حميمية الأعداء بل حميمية الأصدقاء.

اتركا بينكما بعض فسحات لترقص فيها رياح السموات.

إنه قانون أساسي للوجود. إن وجودكما معاً لزمن طويل دون أن تتركا فسحة للحرية يدمر أزهار الحب. أنت تحطمه لأنك لم تسمح لفسحة الحرية أن تنمو وتنضج.

اكتشف العلماء أن الحيوانات تشعر بضرورة تحديد مناطقها. لابد وأنك رأيت كلاباً تتبول على هذا العمود أو ذاك، ربما تظن أن التبول على تلك الدعامة

أمرٌ غير ذي أهمية. لا، أبداً. إنها ترسم حدود مناطقها، "إنها منطقتي". إن الرائحة الناتجة عن بولها سوف تمنع الكلاب الأخرى من دخول المنطقة. إن حدث واقترب كلب آخر من المنطقة فإن الكلب الذي له ملكية المنطقة لن يقدم أي تنبيهات. خطوة أخرى فقط وسيكون هناك معركة.

كل الحيوانات في البراري تقوم بالعمل نفسه. حتى الأسود، إن أنت لم تتجاوز حدود مناطقها فلن تهاجمك - ستبقى سيداً محترماً. لكن إن أنت تجاوزت حدودها فسوف تموت كائناً من تكون.

لا زلنا في طور اكتشاف الحدود الإقليمية للبشر، لا بد أنك شعرت بذلك. لكن حتى الآن لم يتم التأكد علمياً من الأمر. من خلال السفر في القطار المحلي في مدينة مثل بومباي يكون القطار مزدحماً بشكل ضخم، وجميع الناس واقفون، والقليل منهم قد وجدوا مقاعد. لكن راقب الناس الواقفين - هم أيضاً متقاربون جداً، إنهم يحاولون بكل الطرق ألاّ يلمس بعضهم بعضاً.

لكون العالم يصبح أكثر ازدحاماً فإن الكثير من الناس يتجهون نحو الجنون، ينتحرون، يصبحون مجرمين، وذلك لسبب بسيط جداً وهو أنهم لا يملكون أي مساحة خاصة بهم. على الأقل يجب أن يكون للعاشقين إحساس مرهف، ويتضمن ذلك معرفة أن الزوجة تحتاج إلى مساحتها الخاص بالطريقة نفسها التي تحتاج فيها أنت إلى مساحتك الخاصة.

واحد من أكثر الكتب المحببة بالنسبة لي هو كتاب "القصيدة الأخيرة"(*) لمؤلفها (رابيندارانث طاغور) إنه ليس كتاباً في الشعر، إنه رواية، لكنه رواية غريبة جداً تحتوي الكثير من التبصر.

امرأة شابة ورجل وقعا في الحب. وكما يحدث عادة، أرادا الزواج فوراً. تقول المرأة: "هناك شرط واحد...." إنها امرأة مثقفة وغنية جداً.

(*). صدرت هذه الرواية عن دار الحوار بترجمة ثائر زين الدين وفريد الشحف.

يجيب الرجل: "أنا أقبل أي شرط لك لكني لا أستطيع العيش بدونك."

قالت: "أولاً استمع إلى الشرط وبعدها راجع نفسك. إنه ليس بالشرط العادي، إن الشرط هو أننا لن نعيش بالبيت نفسه. لدي متسع من الأرض وبحيرة جميلة محاطة بالأشجار والحدائق والخضرة، وسوف أبني لك بيتاً على الجانب المقابل للمكان الذي أعيش فيه."

قال لها: "وما جدوى الزواج إذن؟"

قالت له: "الزواج لا يعني أن يدمر كل منا الآخر. أنا أعطيك مكانك الخاص ولدي مكاني الخاص. أحياناً نلتقي أثناء السير في الحديقة، من الممكن أن نلتقي صدفة أثناء سيرنا بالقارب، وبإمكاني أحياناً أن أدعوك لتشرب الشاي معي أو يمكنك أنت أن تدعوني."

قال الرجل: "إنها فكرة سخيفة بكل بساطة."

قالت المرأة: "إذاً انس كل شيء بخصوص الزواج. تلك هي الطريقة الوحيدة الصحيحة التي يمكن بها لحبنا أن يستمر بالنضج لأننا نبقى دائماً في حالة تجدد وتنشيط، لكي لا نتعامل مع بعضنا كمسلمات. لدي كل الحق أن أرفض دعوتك كما يكون لديك الحق برفض دعوتي، ولن يكون هناك من طريقة تصبح فيها حريتنا معاقة. وما بين هاتين الحريتين تنمو ظاهرة جميلة اسمها الحب."

بالطبع لم يستطع الرجل أن يفهم وأهمل الفكرة. لكن طاغور كان لديه البصيرة نفسها التي كانت لدى جبران خليل جبران.... وهمَا قد كتبا على الأغلب بالفترة نفسها.

إن كان ذلك ممكناً ـ أن يكون لديكما بعض فسحات ـ عندها سترقص بينكما رياح السموات.

أحبوا بعضكم بعضاً ولكن لا تقيدوا المحبة بالقيود. يجب أن يكون الحب هدية مجانية تُمنَحُ أو تُؤخَذ لكن لا يجب أن يكون هناك متطلبات. وإلا، قريباً

جداً ستكونان معاً لكنكما ستكونان متباعدين كما النجوم البعيدة. ليس هناك من جسور تفاهم، أنتما لم تتركا فسحة حتى لإقامة الجسر.

لتكن المحبة بحراً متموجاً بين شواطئ نفوسكم.

لا تجعل ذلك شيئاً ثابتاً، لا تحول ذلك إلى روتين، لتكن المحبة بحراً متموجاً بين شواطئ نفوسكم.

إن استطعت الحصول على الحب والحرية معاً فأنت لا تحتاج إلى أي شيء آخر. لقد حصلت على مبتغاك ومن أجل هذا مُنِحَت الحياة لك.

الفصل الثامن

كوان العلاقة (أحجية العلاقة)

أفضل أحجية على الإطلاق هي الحب، هي العلاقة. هكذا تستخدم هنا. العلاقة لغز بدون وجود دليل على ذلك. كيفما حاولت إدارة الأمر لن تستطيع إدارته، ولا أحد غيرك أيضاً كان قادراً على إدارته. إنه مصوغ بتلك الطريقة التي تتركه بكل بساطة لغزاً. وكلما حاولت أن تحل هذا اللغز كلما ازداد غموضه. وكلما حاولت فهمه بشكل أكبر كلما أزداد تعقيده.

إنها أحجية أعظم من أية أحجية أخرى كان قد أعطاها معلمو(الزن) إلى تلاميذهم، لأن أحجيتهم تأملية ـ الشخص يكون وحده. عندما تعطى لك أحجية العلاقة تكون أكثر تعقيداً لأنكما اثنان مكونان بشكل مختلف وبظروف مختلفة، كقطبين متعاكسين يشدان باتجاهين مختلفين، تتلاعبان أحدكما بالآخر في محاولة للتملك والسيطرة وتنشأ ألف مشكلة ومشكلة.

خلال حالة التأمل تكون لديك مشكلة واحدة وهي كيف تكون صامتاً، كيف تستطيع أن تمنع نفسك عن التفكير. في العلاقة هناك الكثير من المشاكل. إن كنت صامتاً هناك مشكلة. حاول أن تجلس صامتاً بجانب زوجتك وسترى ـ سوف تقفز أمامك قائلة: "لماذا أنت صامت؟ ماذا تقصد بذلك؟". حاول أن تتكلم وسوف تكون في مشكلة ـ مهما قلت ستتعرض دائماً لسوء الفهم.

ما من علاقة على الإطلاق يمكن لها أن تصل إلى نقطة ليس فيها مشكلة. إن رأيت في بعض الأحيان علاقة وصلت إلى نقطة لم يعد فيها مشاكل فهذا يعني بكل بساطة أنه لم يعد هناك من علاقة أساساً. لقد اختفت العلاقة وأصبح المتشاجران تَعِبَين، لقد بدأا بتقبل الأشياء كما هي. إنهما يشعران بالملل ولا يريدان أن يتشاجرا على الإطلاق. لقد تقبلا الوضع ولا يريدان تطويره.

في الماضي حاول الناس أن يخلقوا نوعاً من التناغم القسري. من أجل هذا وعبر العصور تعرضت النساء للقمع، وكانت تلك إحدى طرق ترتيب الأمور أو حلها. فقط أجبرْ المرأة على اتباع الرجل وبعدها لن تكون هناك مشكلة. لكن هذه ليست علاقة أيضاً. عندما لم تعد المرأة شخصاً مستقلاً تختفي المشاكل، لكن المرأة تختفي أيضاً. عندها تكون هي عبارة فقط عن شيء يتم استخدامه، عندها لن يكون هناك سعادة وسيبدأ الرجل بالبحث عن امرأة أخرى.

إن حدث ومررت بزواج سعيد فلا تثق بما تراه على السطح. تعمق قليلاً في الداخل وسوف تتفاجأ. لقد سمعت عن زواج سعيد واحد.

مزارع ريفي قرر أن الوقت قد حان لكي يتزوج، لذلك أسرج دابته وسافر إلى المدينة ليجد زوجة. بعد فترة من الوقت قابل امرأة ومن ثم تزوجا وركب كلاهما على الدابة، وبدأا طريق العودة إلى المزرعة. بعد قليل حرنت الدابة ورفضت أن تتحرك. نزل المزارع ووجد عصا كبيرة وضرب بها الدابة حتى بدأت تتحرك مجدداً.

قال المزارع: "تلك هي المرة الأولى".

بعد مسافة ميل آخر حرنت الدابة وتكرر المشهد مرة أخرى، وبعد الضرب تحركت الدابة مجدداً فقال المزارع: "تلك هي المرة الثانية".

بعد عدة أميال أخرى حرنت الدابة من جديد. فنزل المزارع عن الدابة وأنزل زوجته ثم أخرج سلاحاً وأطلق على الدابة طلقة قاتلة في العين.

صرخت المرأة: "كان ذلك تصرفاً أحمق!". لقد كان حيواناً مفيداً وقد قمت بقتله لمجرد أنه أغضبك!! إن هذا تصرفٌ غبيٌ إجرامي..." وتابعت بالطريقة نفسها لبعض الوقت. بعد أن توقفت قليلاً لتتنفس قال لها المزارع: "تلك هي المرة الأولى."

ويقال إنهما عاشا حياة زوجية سعيدة إلى الأبد!!

تلك هي إحدى طرق حل المشاكل، هذا ما كان يحدث في الماضي وسيتم تجريب العكس في المستقبل على الزوج أن يتبع الزوجة. لكن الأمر هو نفسه في الحالتين.

إن العلاقة هي عبارة عن أحجية ومالم تحل الأمور الأكثر أساسية في نفسك فلن تستطيع حل هذه المشاكل. يمكنك حلّ مشكلة الحب فقط عندما تحل مشكلة التأمل وليس قبل ذلك. لأن هناك في الحقيقة شخصين غير متأملين هما اللذان يخلقان المشاكل. شخصان مرتبكان لا يعرفان نفسيهما ـ يضاعف كل منهما بشكل طبيعي إرباك الآخر، إنهما يضخمان المشاكل.

مالم تصل إلى حالة التأمل فإن الحب يبقى تعاسة. عندما تتعلم كيف تعيش وحيداً، عندما تتعلم كيف تستمتع بوجودك البسيط بدون أي مبررات على الإطلاق، عندها يكون هناك إمكانية لحل الأمر الثاني، أي مشكلة وجود شخصين يعيشان معاً. فقط شخصان يتأملان يمكنهما العيش في حب، وعندها لن يكون الحب أحجية. لكن عندها لن تكون هناك علاقة حتى ـ في المعنى الذي تفهمه عادة. سيكون ببساطة حالة حب وليس حالة علاقة.

إذاً أنا أفهم مشكلة العلاقة لكني أشجع الناس على المضي قدماً في تلك المشاكل، لأن هذه المشاكل ستجعلك تدرك المشكلة الأساسية، وهي أنك أنت في عمق كيانك عبارة عن لغز، والآخر ببساطة عبارة عن مرآة. من الصعب أن تفهم مشاكلك الشخصية بشكل مباشر ويكون من السهل جداً أن تفهمها من خلال العلاقة. عندما تصبح المرآة موجودة يصبح بإمكانك أن ترى وجهك في المرآة كما يستطيع الآخر أن يرى وجهه في مرآتك. كلاكما غاضب لأن كلاً منكما يرى وجهاً بشعاً، وبشكل طبيعي يصرخ كل شخص بالآخر لأن منطقهما الطبيعي على الشكل التالي: "أنت أيتها المرآة من يجعلني أبدو بشعاً. لولاك لكنت بدوت كشخص جميل."

تلك هي المشكلة التي يستمر العاشقان بمحاولة حلها ولا يستطيعان. إن ما يقولانه مرة بعد مرة هو كما يلي: "أنا شخص جميل، لكنك تجعلني أبدو كشخص بشع."

لا أحد يجعلك تبدو بشعاً ـ أنت بشع. عذراً، لكن هكذا هو الأمر. كن شاكراً للآخر، كن ممتناً للآخر لأنه جعلك ترى وجهك. لا تغضب وحاول أن تغوص بشكل أعمق في داخل نفسك، حاول أن تغوص عميقاً في تأملك.

لكن ما يحدث هو أنه متى وقع الشخص في الحب فإنه ينسى كل شيء حول التأمل. أنا مستمر بالنظر حولي ومتى رأيت بعض الأشخاص تائهين أعرف ما حدث لهم، إن الحب هو ما حدث لهم. الآن هم لا يعتقدون أن أحداً بحاجة لهم هنا. هم سيعودون فقط عندما يخلق الحب المزيد من المشاكل ويصبح مستحيلاً عليهم أن يحلوا المشكلة. بعدها سيأتون ويسألون، "أوشو، ماذا نفعل؟"

عندما تكون غارقاً في الحب لا تنس التأمل. فالحب لن يحل لك أي شيء، الحب يريك فقط حقيقة ذاتك، يريك أين تقف، مهمة الحب هي أن يريك حقيقة نفسك. ومن الجيد أن الحب يجعلك واعياً ـ واعياً لكل الإرباك وكل

الفوضى التي فيك. الآن هو وقت التأمل! إن سار كل من الحب والتأمل معاً، سيكون لك جناحان، سوف تكون متوازناً.

كما أن العكس يحدث. حينما يبدأ الإنسان بالغوص عميقاً في التأمل يبدأ بتجنب الحب، لأنه يعتقد أنه إن دخل في عالم الحب فسوف هناك إعاقة لتأمله وهذا أيضاً غير صحيح. التأمل لن يكون معوقاً، سيستفيد التأمل من الحب. لماذا سيستفيد؟ لأن الحب سيستمر بإنارة أماكن تواجد المشاكل العالقة. وبدون الحب فإنك لن تكون واعياً لمشاكلك. كما أن عدم إدراك المشكلة لا يعني حلها. إن لم يكن هناك مرآة فلا يعني أنه ليس لديك وجه.

على الحب والتأمل أن يسيرا معاً يداً بيد. إنها واحدة من الرسائل الأساسية التي أود أن أتشارك بها معك، الحب والتأمل يسيران معاً يداً بيد. الحب والتأمل، التأمل والحب، وقليلاً قليلاً سوف ترى تناغماً جديداً يرتقي في داخلك. ذلك التناغم فقط هو ما سيجعلك متوازناً.

أسئلة

سؤال:

ـ كيف لي أن أعرف فيما إذا كانت أمرأة ما واقعة في الحب فعلاً، أو أنها تلعب الألاعيب؟

إن هذا صعب! لا أحد على الإطلاق يقدر أن يعرف ذلك، لأن الحب هو لعبة. تلك هي حقيقة الحب! لذلك إن كنت تنتظر وتراقب وتفكر وتحلل فيما إذا كانت تلك المرأة الواقعة في حبك تلعب لعبة الحب أم أن حبها حقيقي، فأنت لن تكون قادراً على أن تحب أي امرأة ـ لأن الحب لعبة، لعبة خارقة.

ما من حاجة لأن تطالب بأن يكون الحب حقيقة. العب اللعبة، تلك هي حقيقته. وإن كنت ترغب كثيراً بالحقيقة فإن الحب ليس لك. إنه حلم، وهم، خيال، إنه رومانسية، شعر. وإن كنت تبحث عن الواقع ومهووساً به فالحب ليس لك. عندها تأملْ.

أنا أعرف أن من يسأل هذا السؤال ليس من هذا النوع ـ فليس هناك من تأمل ممكن بالنسبة له، على الأقل في هذه الحياة التي نعيشها!! إن لديه الكثير

من (الكارما)[1] لينجزها مع المرأة. لذلك هو يفكر باستمرار بموضوع التأمل ولا ينِي ينتقل للعيش مع هذه المرأة أو تلك. والآن النساء اللواتي يعيش معهن، يأتين ويسألنني: "هل هو حقيقة واقع في حبنا؟ ماذا علينا أن نفعل؟" وهنا هو أتى بالسؤال.

تلك المشكلة تحدث لكل شخص في وقت أو بآخر، لأنه ليس هناك من طريقة لمحاكمة الموضوع. إننا كالغرباء ـ إننا غرباء ولقاؤنا ليس أكثر من لقاء عابر. فجأة، على الطريق نلتقي معاً، لم نكن نعرف من نحن ولم نكن نعرف من هو الآخر. غريبان التقيا على الطريق ويشعران بالوحدة، أمسك كل منهما بيد الآخر ـ واعتقدَ كلٌّ منهما أنه واقعٌ في حب الآخر.

كل منهما بالتأكيد بحاجة للآخر، لكن كيف لك أن تكون متأكداً من أن هناك حباً؟

كنت قد قرأت نكتة جميلة، فاسمعني بعناية:

وصلت امرأة إلى بلدة صغيرة في الغرب الأوسط متأخرة ليلاً لتجد أنه ليس هناك من غرفة متوفرة في الفندق. قال لها موظف الاستقبال: "أنا آسف، لكن الغرفة الأخيرة التي لدينا تم حجزها للتو من قبل شخص إيطالي."

"ما هو رقم الغرفة؟" قالت المرأة في حالة من اليأس: "ربما كان بإمكاني حل المشكلة معه."

أعطاها الموظف رقم الغرفة فصعدت إليها وطرقت الباب ودعاها الإيطالي للدخول.

قالت له: "أيها السيد، أنا لا أعرفك وأنت لا تعرفني، لكن أحتاج بشكل يائس إلى مكان للنوم وأعدك بألا أسبب أي إزعاج إن تركتني أستخدم تلك الأريكة التي هناك."

---

[1]. الكارما: وتعني العاقبة الأخلاقية، إن قام الإنسان بما هو جيد فسوف يلقى ما هو جيد، وإن فعل ما هو سيء فسوف يلقى ما هو سيء، والفكرة الرئيسية من وراء ذلك هي أن أعمال الإنسان تحدد مصيره في كل حياة لاحقة. م.

فكر الإيطالي لدقيقة ومن ثم قال لها "حسناً".

تكورت المرأة على الأريكة وعاد الإيطالي إلى سريره. لكن الأريكة لم تكن مريحة وبعد بضع دقائق مشت المرأة على رؤوس أصابعها باتجاه الإيطالي ثم تكتكت على ذراع الرجل قائلة: " أيها السيد، أنا لا أعرفك وأنت لا تعرفني، لكنه من المستحيل النوم على الأريكة. هل باستطاعتي أن أنام هنا على حافة السرير؟"

"قال الإيطالي، حسناً استخدمي حافة السرير."

تمددت المرأة على السرير، لكن بعد بضع دقائق شعرت ببرد شديد. ومرة أخرى تكتكت على يد الرجل الإيطالي.

"أيها السيد، أنا لا أعرفك وأنت لا تعرفني، لكنني أشعر بالبرد هنا. هل أستطيع أن أكون معك تحت غطائك."

اندست المرأة تحت الغطاء لكن الاقتراب من جسد الذكر أثارها فأحست ببعض الشهوة. تكتكت مجدداً على ذراع الرجل الإيطالي.

قالت له: "أيها السيد، أنا لا أعرفك وأنت لا تعرفني، لكن ما رأيك بحفلة صغيرة؟

بغضب، انفلت الإيطالي في سريره صارخاً. "أيتها السيدة، أنا لا أعرفك وأنت لا تعرفينني. من سندعو إلى الحفلة ونحن في منتصف الليل؟"

لكن هكذا تجري الأمور: "أنت لا تعرفني وأنا لا أعرفك." إنها مجرد صدفة. الحاجات موجودة والناس تشعر بالوحدة، إنهم يحتاجون شخصاً ما ليملأ وحدتهم ويسمون هذا حباً. إنهم يُظهِرون الحب لأنها الطريقة الوحيدة ليتعلق بهم الشخص الآخر. والشخص الآخر أيضاً يسميها حباً لأنها الطريقة الوحيدة لتتعلق أنت به. لكن من يعرف فيما إذا كان هناك حب أم لا؟ إن الحب هو مجرد لعبة حقاً.

نعم، هناك إمكانية للحب الحقيقي، لكن ذلك يحدث فقط عندما لا تحتاج أي شخص، تلك هي الصعوبة. إنها نفس الطريقة التي يعمل بها البنك. إن

ذهبت إلى البنك وأنت تحتاج إلى المال فالبنك لن يعطيك شيئاً. إن كنت لست بحاجة للمال ولديك منه ما يكفي فإنهم سيأتون إليك بأنفسهم، وسيكونون دائماً على أتم الاستعداد لأن يعطوك شيئاً. عندما لا تحتاج يكونون جاهزين لإعطائك، عندما تحتاج لن يقدموا شيئاً.

عندما لا تحتاج للآخرعلى الإطلاق، عندما تكون مكتفياً بذاتك بشكل كامل، عندما يكون بإمكانك أن تكون وحدك وتكون سعيداً ومبتهجاً بشكل كبير، عندها فقط يكون الحب ممكناً. لكن عندها أيضاً لن يكون باستطاعتك أن تؤكد فيما إذا كان حب الآخر حقيقياً أم لا. يمكنك أن تكون متأكداً من شيء واحد، متأكداً فيما إذا كان حبك حقيقياً؟ كيف لك أن تتأكد من الآخر؟ لكن عندها لن يكون هناك حاجة للتأكد من الآخر.

إن القلق المتواصل حول ما إذا كان حب الآخر لنا حقيقياً أم لا يُظهِرُ ببساطة أمراً واحداً وهو أن حبك غير حقيقي. وإلا، لِمَ تزعج نفسك؟ لِمَ القلق حيال ذلك؟ استمتع بذلك حتى ينتهي، كونا معاً طالما باستطاعتكما أن تكونا معاً! إنه وهم، لكنك تحتاج إلى الوهم.

اعتاد نيتشه أن يقول أن الإنسان لا يمكنه العيش دون كذب. لا يمكنه العيش مع الحقيقة، الحقيقة ستكون أكبر من أن تُحتمَل. إنك بحاجة للكذب. الكذب بطريقة ماهرة يعمل كمُزيتٍ لنظامك[2]، إنها مُزَيِّتات. ـ عندما ترى امرأة وتقول: "ما أجملها! لم أر قبل ذلك امرأة بجمالها." إنها مجرد كذبة للتزييت، أنت تعرف ذلك! لقد قلت العبارة نفسها سابقاً مرات ومرات لنساء أخريات. وأنت تعرف أنك ستقول الشيء نفسه لنساء أخريات في المستقبل. والمرأة أيضاً تقول إنك الشخص الوحيد الذي استطاع أن يجذبها. تلك أيضاً كذبة.

---

(2). كمزيّت لنظامك: يتم تشبيه الكذب بزيت المحركات حيث يعمل الزيت على تسهيل عمل المحرك كما يعمل الكذب على تسهيل نظام العمل لدى الشخص.

خلف تلك الأكاذيب لا يوجد إلا الحاجة. أنت تريد من تلك المرأة أن تكون معك لتملأ فراغك الداخلي وأنت تريد أن تحشو ذلك الفراغ الداخلي بحضورها. وهي تريد ذلك أيضاً. كل منكما يحاول استخدام الآخر كأداة.

لذلك فإن العشاق أو العشاق المزعومين في حالة نزاع دوماً لأن أحداً لا يريد أن يتم استخدامه، لأنه عندما تستخدم شخصاً يتحول الشخص إلى شيء، إنك تقلل من شأنه إلى مستوى السلعة. كل امرأة تشعر بقليل من الحزن والإحباط والخداع بعد ممارسة الحب مع رجل، لأن الرجل ينكب نائماً بعد الانتهاء من ممارسة الحب ـ انتهى تعني انتهى!

العديد من النساء كنَّ قد قلن لي إنهن قد بكين بعد أن أنهى الرجل ممارسة الحب معهن، لأنه بعد ما أنهى ممارسة الحب لم يعد مهتماً. إن اهتمامه كان فقط من أجل حاجة واحدة، وبعد الانتهاء يغط في النوم. هو حتى لا يزعج نفسه بما يحدث للمرأة. الرجال أيضاً يشعرون بالخديعة. إنهم شيئاً فشيئاً، يبدؤون بالشك بأن المرأة تحبهم من أجل شيء آخر: السلطة، النفوذ، الأمان. ربما يكون اهتماماً اقتصادياً، لكنه ليس حباً.

هذا صحيح. تلك هي الطريقة الوحيدة! الطريقة التي تكون عليها، تعيش كما لو أنك نائم، تتحرك في غيبوبة، تسير خلال النوم، تلك هي الطريقة الوحيدة الممكنة. لكن لا تقلق حيال ذلك، سواء أحبتك المرأة بشكل حقيقي أم لا. وأنت نائم تحتاج إلى محبة شخص ما، حتى لو كان الحب زائفاً سوف تحتاجه. استمتع به! لا تصطنع القلق وحاول أن تكون يقظاً أكثر فأكثر.

يوماً ما عندما تصبح واعياً بشكل حقيقي ستكون قادراً على الحب، لكن عندها ستكون متأكداً من حبك فقط. وهذا كاف! لِمَ تزعج نفسك؟ لأنك الآن تريد أن تستخدم الآخرين، عندما تكون حقيقة مبتهجاً وحدك، فأنت لا تريد أن تستخدم أحداً. أنت ببساطة تريد المشاركة. لديك الكثير والكثير يفيض وأنت

تريد أن تشارك شخصاً ما. وسوف تشعر بالشكر الكبير لأن هناك شخصاً ما جاهز للتلقي وانتهى. تلك هي نهاية الأمر!

حالياً، أنت قلق جداً حول ما إذا كان الآخر يحبك بشكل حقيقي أم لا، لأنك لست متأكداً من حبك. هذا واحد من الأسباب، كما أنك لست متأكداً من أنك تستحق ذلك. لا يمكنك أن تصدق أن هناك شخصاً يستطيع أن يحبك، أنت لا ترى أي شيء ذي قيمة في ذاتك، أنت لا تستطيع أن تحب نفسك فكيف لشخص آخر أن يحبك؟ يبدو الأمر غير حقيقي، يبدو مستحيلاً.

هل تحب ذاتك؟ أنت لم تسأل نفسك أبداً هذا السؤال.

الناس تكره نفسها، تدين نفسها ويستمرون بالإدانة، يستمرون بالتفكير بأنهم متعفنون، فكيف للآخر أن يحبك كشخص متعفن. لا، لا أحد يمكنه أن يحبك بشكل حقيقي، لا بد أن يكون قذراً مخادعاً، لابد من وجود سببٍ آخر. لا بد أنها تطارد شيئاً آخر، تسعى إلى شيء آخر، لا بد أنه يسعى إلى شيء آخر.

أنت تعرف مستوى تعفنك، وعدم استحقاقك. يبدو الحب وكأنه غير قائم، وعندما تأتي امرأة وتقول إنها تحبك كثيراً لا يمكنك أن تصدق. عندما تذهب إلى المرأة وتقول لها إنك تحبها كثيراً وهي تكره نفسها، كيف لها أن تصدقك؟ إنه كره الذات الذي يخلق ذلك القلق.

ليس هناك من طريقة لتكون واثقاً من الآخرين. في البداية كن واثقاً من نفسك. الشخص الذي يكون واثقاً من نفسه يكون واثقاً من العالم كله. إن اليقين الواصل إلى أعماقك يصبح يقيناً حول كل شيء تقوم به وكل شيء يحدث لك. إن كنت راسخاً، متوازناً وواثقاً من نفسك، فإنك لن تقلق من هذه الأمور، أنت تتقبل.

إنْ أحبك شخص ما تتقبل ذلك لأنك تحب نفسك. أنت سعيد مع نفسك، وشخص آخر سعيد ـ جيد! هذا لن يؤثر بك ولن يجعلك أنانياً بجنون. أنت

ببساطة مستمتع بنفسك وشخص آخر يجدك ممتعاً ـ جيد! بينما يحدث ذلك، عش هذا الخيال بالشكل الأجمل الممكن، فهو لن يدوم إلى الأبد.

إن ذلك أيضاً يخلق مشكلة. عندما ينتهي الحب، تبدأ بالتفكير بأنه كان زائفاً وهذا هو السبب الذي جعله ينتهي. لا، ليس بالضرورة ـ ليس بالضرورة. ربما كان يحتوي بعض الومضات من الحقيقة ولكن كنتما غير قادرين على المحافظة والتمسك بتلك الحقيقة، لقد قتلته. كان موجوداً وأنت قتلته. لم تكن قادراً على الحب، كنت تحتاج الحب لكنك لم تكن قادراً عليه. لذلك، عندما تقابل امرأة أو رجل، تسير الأمور بشكل جيد جداً في البداية، بسلاسة، بجمالية. في اللحظة التي تستقران فيها تصبح الأمور كريهة، مريرة، وكلما استقررتما أكثر كلما نشأ النزاع بشكل أكبر. إن هذا يقتل الحب.

من وجهة نظري فإن كل حب يحمل في البداية بداخله شعاعاً من الضوء، لكنّ العاشقين يدمرانه. إنهما يقفزان فوق ذلك الشعاع مع كل ما لديهما من العتمة. إنهما يقفزان فوقه ويدمرانه. وبعد تدميره يعتقدان أنه كان شعاعاً مزيفاً. لقد قتلاه!. لم يكن خاطئاً، هما كانا مخطئين. الشعاع كان حقيقياً، كان واقعاً فعلياً.

لذلك لا تقلق حول الآخرين، لا تقلق حيال الحب إن كان حقيقياً أم لا. استمتع به عندما يكون موجوداً. حتى ولو كان حلماً، فمن الجيد أن نحلم به. ارفع مستوى وعيك وإدراكك، بهذا يسقط النوم.

عندما تكون مدركاً سيظهر نوع مختلف من الحب في قلبك، حب صادق بشكل كامل، هو جزء من الأبدية. إنه ليس عبارة عن حاجات. إنه رفاهية.

سؤال:

ـ إذا زال من الحب كل من الغيرة، التملك، التعلق، الحاجات والتوقعات والرغبة والوهم، فهل يتبقى أي شيء من حبي؟ هل كل شعري وانفعالي كان مجرد كذب؟ هل أوجاع الحب لها علاقة بالألم أكثر من الحب؟ هل سأتعلم يوماً أن أحب؟

لا يمكن تعلم الحب ولا يمكن تهذيبه. الحب المهذب لن يصبح حباً على الإطلاق. لن يكون زهرة حقيقية، سيكون زهرة بلاستيكية. أن تتعلم شيئاً يعني أن هذا الشيء أتى من الخارج ولم يكن نضجاً داخلياً. الحب يجب أن يكون نضجاً داخلياً إذا أردناه أصيلاً وحقيقياً.

ليس الحب تعلماً بل نضجاً. إن ما تحتاجه ليس أن تتعلم أساليب الحب بل أن تزيل من رأسك مفاهيم اللاحب، يجب إزالة العوائق. علينا تدمير الحواجز ـ عندها يصبح الحب هو طبيعتك، يصبح كينونتك التلقائية. في اللحظة التي تُزالُ فيها العوائق تنهار الصخور ويبدأ التدفق. كان موجوداً هناك ـ مختفياً وراء الكثير من الصخور، لكن الينبوع موجود هناك سلفاً. إنها كينونتك بالتحديد.

إنها هدية، لكنها ليست شيئاً سيحدث مستقبلاً، بل هي هدية قد مُنِحَت لك فور ولادتك. أن تكون يعني أن تحب. إن كونك قادراً على التنفس هو كافٍ لأن تكون قادراً على الحب. إن الحب كالتنفس. كما هو تأثير التنفس على الجسم من الناحية الفيزيائية يكون تأثير الحب على وجودك الروحي. بدون تنفس يموت الجسد وبدون الحب تموت الروح.

وهكذا فإن أول شيء علينا تذكره هو أن الحب ليس شيئاً يمكنك تعلمه، وإن تعلمته فإنك لن تفهم معناه، سيفوتك المغزى كله، سيكون زائفاً. وقطع النقود الزائفة يمكن أن تبدو كأنها قطع حقيقية، إن لم تكن تعرف ما هو حقيقي فإن الزائف سوف يستمر في خداعك. فقط عبر معرفة الحقيقي تستطيع التمييز ما بين الزائف والحقيقي.

وهذه هي العوائق: الغيرة، التملك، التعلق، التوقعات، الرغبات... وخوفك هو أمر مشروع: "إن كانت كل تلك الأمور قد ذهبت، فهل يتبقى أي شيء من حبي؟" لا، لاشيء يتبقى من حبك. الحب سيبقى... لكن الحب لا علاقة له بك أو بي. في الواقع، عندما تختفي كلٌ من الغيرة والتملكية والتوقعات... فإن الحب لن يختفي، أنت الذي يختفي، تختفي (الأنا) وكل ما سبق هو ظلال لتلك الأنا.

ليس الحب من يشعر بالغيرة. انتبه و راقب. عندما تشعر أنت بالغيرة، ليس الحب من يشعر بالغيرة، الحب لا يعرف الغيرة كما لا تعرف الشمس الظلام، الحب لا يعرف شيئاً عن الغيرة. إنه (الأنا) الذي يشعر بالأذى، إنه (الأنا) الذي يشعر بالتنافس. إنه (الأنا) الطموح والذي يريد لنفسه الرقي فوق الآخرين، يريد أن يكون شخصاً متميزاً. إنه (الأنا) الذي بدأ الشعور بالغيرة، التملك ـ لأن (الأنا) يمكن أن يكون موجوداً فقط مع التملك.

كلما تملكت أكثر كلما تدعمت (الأنا) بشكل أكبر، وبدون تملك لا يمكن أن يكون هناك (أنا). إنها تعيش على التملك وتعتمد عليه. لذلك إن كان لديك الكثير من المال، الكثير من القوة، الهيبة، الجمال،... فإن (الأنا) بأنها تتغذى بشكل كبير وعندما تختفي الملكية، عندما لا تملك أي شيء فأنت لن تجد شيئاً من (الأنا) في الداخل. عندها لن يكون هناك أي شخص يستطيع أن يقول كلمة "أنا"[3].

وإن كنت تعتقد أن ذلك هو حبك فإن حبك سيختفي بالتأكيد. حبك لم يكن حباً حقيقياً، لقد كان غيرة وتملكاً، كان كرهاً وقسوة، يمكن تسميته بالآلاف من الأشياء ماعدا الحب. إنه تنكر بشكل الحب ـ لأن كل تلك الأشياء البشعة لا يمكن أن تتواجد بدون قناع.

---

(3). أنا: كلمة أنا في كامل الفقرة السابقة تعني (الذات) وهي باللغة الإنكليزية (ego)، أما في آخر الفقرة فهي ضمير المتكلم وهو باللغة الإنكليزية (I'm). م.

أمثوله قديمة:

كان العالم قد خُلق، وكان الله يرسل في كل يوم أشياء جديدة إلى العالم. ذات يوم أرسل للعالم الجمال والبشاعة. إنها رحلة طويلة من الجنة إلى الأرض. عندما وصلا إلى العالم في الصباح الباكر كانت الشمس تشرق للتو. وقد حطّا قرب بحيرة وقررا أن يأخذا حماماً، لأن كل شيء كان ممتلئاً بالغبار: جسداهما والملابس وكل شيء.

من دون معرفة طرق الحياة على الأرض ـ لأنهما كانا حديثي العهد هناك ـ خلعا ملابسهما، أصبحا عاريين بالكامل، وقفزا في ماء البحيرة البارد. بدأ الناس يتوافدون بينما الشمس تشرق. قامت البشاعة بخدعة، عندما ذهب الجمال للسباحة بعيداً في البحيرة صعدت البشاعة إلى ضفة البحيرة ولبست ملابس الجمال وهربت. ومع الوقت أدرك الجمال "أن الناس يأتون وهو لا يزال عارياً،" نظر حوله.... ملابسه قد اختفت! البشاعة ذهبت والجمال لا زال يقف عارياً تحت أشعة الشمس، بينما الجموع تزداد اقتراباً. هنا وجد أن ما من طريقة أخرى، لذلك قام بارتداء ملابس البشاعة وذهب يبحث عنها، فالثياب يمكن أن تتغير بحيث يتمكنان من تبادل ملابسهما.

تقول القصة إن الجمال لا زال يبحث... لكن البشاعة ماكرة ومستمرة بالهرب. لا زالت البشاعة ترتدي لباس الجمال، تتقنع بقناع الجمال، بينما الجمال يتحرك في ثياب البشاعة.

إنها أمثوله في غاية الجمال.

إن كل تلك الأشياء بشعة جداً، بحيث أنك لا تستطيع أن تتحمل بأن تكون معها ولو لدقيقة واحدة، إن استطعت أن ترى حقيقتها. لذلك لا تسمح لك برؤية الحقيقة. تتظاهر الغيرة بأنها حب، الملكية تخلق قناعاً من الحب، وحينها تشعر بالراحة.

أنت لا تخدع أي شخص آخر سوى نفسك، فتلك الأشياء ليست حباً. لذلك فإن الذي تعرفه على أنه حب وما عرفته حتى الآن على أنه حب، سوف يختفي. ليس هناك شيء من الشِعرِ فيه. نعم هناك شغف لكن الشغف هو حالة حمى، الشغف هو حالة من عدم الإدراك، الشغف ليس شعراً. الشعر معروف فقط لدى بوذا ـ إنه شعر الحياة. شعر الوجود.

ليست الإثارة ولا الحمى بنشوة. إنهما تبدوان كذلك، وتلك هي المشكلة. هناك الكثير من الأشياء في الحياة تبدو وكأنها متشابهة، والفرق بينها دقيق جداً. إن الإثارة يمكن أن تبدو مثل النشوة لكنها ليست كذلك. في النشوة برودة بشكل أساسي، والشغف فيه حرارة. الحب فيه برودة، ليس برداً بل برودة. البغض فيه برد. الشغف والشهوة فيهما حرارة. إن الحب في الوسط تماماً. فيه برودة ليست برداً ولا حرارة. إنه حالة من السكون العظيم، حالة من الصفاء والصمت. ومن هذا الصمت هناك الشعر، من هذا الصمت هناك أغنية، من هذا الصمت تظهر رقصة وجودك.

إن ما تدعوه شعراً وشغفاً ليس إلا أكاذيب بواجهة جميلة. من بين أشعارك المائة، تسعة وتسعون منها ليست أشعاراً حقيقية، لكنها فقط عبارة عن حالة من الاضطراب والانفعال والشغف، حرارة، شهوة، رغبات جنسية وحسية. واحد فقط من أشعارك المائة هو شعر حقيقي.

كما أن شاعراً حقيقياً ربما لا يؤلف أي شعر لأن كيانه الكلي هو عبارة عن شعر. طريقة سيره، طريقة جلوسه وأكله ونومه عبارة عن شعر. هو موجود كقصيدة شعر. هو ربما نظم شعراً وربما لم ينظم، ليس لذلك علاقة بالأمر.

لكن ما تدعوه شعراً ليس إلا تعبيراً عن حالة الحمى لديك، حالة وعيك المستثار، حالة جنون. الشغف مجنون وأعمى وغير واعٍ لأنه يعطيك شعوراً وكأنه حالة حب.

الحب ممكن فقط عندما يحدث التأمل. إن كنت لا تعرف كيف تركز في كينونتك، إن كنت لا تعرف كيف ترتاح وتسترخي في كينونتك، إن كنت لا تعرف كيف تكون وحيداً تماماً و مبتهجاً، فأنت لن تعرف ما هو الحب.

يظهر الحب كعلاقة، لكنه يبدأ في عزلة عميقة. الحب يُعبِّرُ عن التواصل، لكن منابع الحب ليست في التواصل، إن منابع الحب موجودة في التأمل. عندما تكون سعيداً تماماً في فردانيتك، عندما لا تحتاج الآخر على الإطلاق، عندما لا يكون الآخر عبارة عن حاجة، عندئذٍ تكون قادراً على الحب. أما إن كان الآخر هو حاجة بالنسبة لك فيمكنك فقط أن تستغل وتتلاعب، يمكنك أن تسيطر، لكنك لن تحب.

إنك تعتمد على الآخرين، لذلك فإن التملكية تظهر بسبب الخوف. "من يعرف؟ الآخر معي اليوم لكن من الممكن ألا يكون معي في الغد. من يعرف ماذا سيحدث في اللحظة التالية؟" امرأتك ربما تتركك، أولادك ربما يكبرون ويغادرون، ربما يهجرك زوجك. من يعرف ماذا سيحدث في اللحظة التالية؟ بسبب الخوف من المستقبل تصبح شخصاً تملكياً. إنك تخلق أسواراً حول الشخص الذي تعتقد أنك تحبه.

لكن الحب لا يخلق سجناً ـ وإن خلق الحب سجناً فلا يبقى شيء للبغض ليفعله. الحب يجلب الحرية، الحب يعطي الحرية، إنه غير تملكي. لكن ذلك ممكنٌ فقط إن عرفت نوعية الحب المختلفة تماماً، والذي يقوم على المشاركة وليس الحاجة.

الحب مشاركة المتعة الفائضة. أنت تفيض سعادة بحيث لا تستطيع احتواءها، وعليك أن تشارك الآخرين بها. عندها يكون هناك شِعر وهناك شيء آخر جميل بشكل كبير، وهو ليس من هذا العالم، إنه شيء آتٍ مما وراء العالم، لا يمكن تعليم هذا النوع من الحب لكن يمكن إزالة العوائق الموجودة.

لقد قلت عدة مرات تعلّمْ فنَّ الحب، لكن ما كنت أعنيه في الواقع هو: تعلم فن إزالة العوائق أمام الحب. إنها عملية سلبية تشبه حفر البئر، حيث تتابع إزالة الكثير من طبقات التراب والحصى والصخور، وفجأة نجد هناك ماء. إن الماء كان هناك منذ الأزل، لقد كان دائماً تياراً دفيناً. الآن وقد أزلت كل الحواجز أصبح الماء موجوداً. هكذا هو الحب، إنه التيار الدفين الخاص بكينونتك. إنه يتدفق سلفاً، لكن هناك الكثير من الصخور، الكثير من طبقات التراب التي يجب أن نزيلها.

هذا ما كنت أعنيه عندما قلت: تعلمْ فن الحب. إنه حقاً ليس تعلماً للحب، بل هو حقاً إزالة مفاهيم اللاحب من تفكيرك.

سؤال:

ـ ما الفرق بين الإعجاب والحب[4]؟ أن تُعجَب أو أن تحب؟ وكذلك أيضاً، ما الفرق بين الحب العادي والحب الروحاني؟

إن هناك فرقاً عظيماً بين الإعجاب والحب. الإعجاب ليس فيه التزامات بينما الحب التزام، وهذا ما يجعل الناس لا يتكلمون بشكل كثير عن الحب. من الحق أن الناس بدأت تتحدث عن الحب في سياق الكلام وحيث لا ضرورة لأي التزام. مثال على ذلك قول شخص ما: "أنا أحب الآيس كريم." الآن كيف تستطيع أن تحب الأيس كريم؟ تستطيع أن تُعجَبَ بالآيس كريم لكنك لا تستطيع أن تحبه. قد يقول شخص ما "أنا أحب كلبي، أو سيارتي، أنا أحب هذا أو ذاك."

من الحق أن الناس تخاف كثيراً جداً من أن تقول لشخص ما: "أنا أحبك".

---

[4]. الفرق بين الإعجاب والحب: في اللغة العربية تستطيع أن تقول أنا أحب تلك الفتاة بمعنى أنك مغرم بها وتستطيع أن تقول أنا أحب أبي وأحب السيارة وأحب بيتي......، في اللغة الإنكليزية تأتي كلمة (love) بمعنى العشق والغرام فقط للفتاة التي تحبها، وكلمة (like) للتعبير عن الحب لأي شخص أو شيء آخر. م.

كنت قد سمعت عن رجل كان يواعد فتاة، هما معاً منذ أشهر. والمرأة كانت بالطبع تنتظر وتنتظر. كانا قد مارسا الحب معاً لكن الرجل لم يقل لها: "أنا أحبك".

انظر الفرق: في الأزمنة الماضية اعتاد الناس أن يقولوا: "الوقوع في الحب". لكن الناس الآن "يمارسون الحب". هل رأيت الفرق؟ أن تكون واقعاً بالحب يعني أن تكون مغموراً به، إنها (صيغة مفعول به). ممارسة الحب هي على الأغلب دنيوية وغالباً ما تدمر جماله، إنها (صيغة فاعل)، تبدو وكأنك تفعل شيئاً. لقد غيّر الناس اللغة الآن، إنهم يستخدمون عبارة "يمارس الحب" بدلاً من استخدام "الوقوع في الحب".

وكان الرجل يمارس الحب مع المرأة لكنه لم يقل ولو لمرة واحدة، "أنا أحبك". والمرأة كانت تنتظر وتنتظر.

في أحد الأيام اتصل هاتفياً وقال: "كنت أفكر وأفكر كي أقول تلك العبارة لك. يبدو أن الوقت قد حان من أجل ذلك. علي أن أقول: لا أستطيع كبت تلك العبارة بعد الآن." سُرّت المرأة كثيراً، وأصبحت كلها آذاناً صاغية ـ من أجل ذلك كانت تنتظر. ومن ثم قالت: " قلها! قلها!" ثم قال الرجل: "علي أن أقولها، الآن أنا لا أستطيع كبت تلك العبارة، أنا بالفعل معجب بك بشكل كبير جداً".

إن الناس غالباً ما يقول أحدهم للآخر: "أنا معجب بك". لماذا لا يقولون: "أنا أحبك"؟ لأن الحب التزام، توريط، مغامرة، مسؤوليات. لكن الإعجاب قضية لحظية. أستطيع أن أكون معجباً بك، وربما لن أكون معجباً في الغد، ليس هناك من خطورة في ذلك. عندما تقول لشخص ما "أنا أحبك" يعني: أنا سوف أبقى أحبك، سوف أحبك في الغد أيضاً. يمكنك الاعتماد علي، إن ذلك وعد."

الحب وعود، بينما الإعجاب ليس له علاقة بالوعود. عندما تقول لشخص ما: "أنا معجب بك" فأنت تقول شيئاً ما عنك وليس عن الرجل. أنت تقول: "هذه

هي حالتي، وأنا معجب بك ومعجب بالآيس كريم أيضاً ومعجب بسيارتي، "أنا معجب بك". إنك تقول شيئاً ما عن نفسك.

عندما تقول لشخص ما: "أنا أحبك" فإنك تقول شيئاً ما عن الشخص وليس عنك. أنت تقول: "إنك شخص محبب". إن السهم يشير إلى الشخص الآخر. وبعدها يكون هناك خطر ـ إنك تقدم وعداً. من خواص الحب: الوعد والالتزام والتورط، والحب يحمل في داخله شيء من الديمومة. إن الإعجاب لحظي، ليس مغامرة وليس فيه مسؤولية.

كان السؤال عن الفرق بين الحب والإعجاب، وكذلك الفرق بين الحب العادي والحب الروحاني.

إن الحب والإعجاب قضيتان مختلفتان، لكن ليس هناك من فرق بين الحب العادي والحب الروحاني.

الحب روحاني، وأنا لم أصادف أبداً حباً عادياً، الحب العادي هو إعجاب. الحب ليس عادياً ولا يمكن أن يكون. هو بشكل أساسي أكبر من عادي. إنه ليس من هذا العالم.

عندما تقول لامرأة أو لرجل: "أنا أحبك"، فأنت تقول لها ببساطة: " لا يمكن أن أكون مُنخَدِعاً بجسدك، أي بشكلك الخارجي، أنا أعرفك. ربما يصبح جسدك هرماً لكني قد رأيتك، رأيتك بدون الجسد، رأيت روحك من الداخل، تلك الروح المقدسة". الإعجاب شيء سطحي والحب ينفذ ويذهب عميقاً إلى كل ذرة من ذرات ذلك الشخص ملامساً روحه بالتحديد.

ليس هناك من حب عادي، ولا يمكن للحب أن يكون عادياً وإلا لما كان حباً. أن تصف الحب بالعادي يعني أن تسيء فهم ظاهرة الحب ككل، الحب ليس شيئاً عادياً، الحب دائماً شيء فوق العادي، شيء روحاني. وهذا هو الفرق بين الحب و الإعجاب، إن الإعجاب شيء مادي بينما الحب شيء روحاني.

قد يرد هذا السؤال:

ـ أنت تخلط الأمور علينا، عندما تحدثت عن الفرق بين الحب والإعجاب. أنت تقول: الحب التزام. لكن في الالتزام يكون هناك نوع آخر من التعلق. هناك الكثير من الأشخاص الذين أحبهم ولا أشعر بالالتزام نحوهم، فكيف لي أن أتوقع إن كنت سأحبهم في المستقبل؟

هذا السؤال هام جداً. وعليك أن تفهمني بشكل جيد، لأن هذا الأمر دقيق ومعقد في آن معاً.

عندما قلتُ إن هذا الحب هو التزام، ماذا كنت أعني بذلك؟ أنا لم أعنِ أن عليك أن تقدم وعوداً من أجل المستقبل، لكن الوعود موجودة سلفاً. ذلك هو التعقيد والدقة التي فيه. أنت لا تقول: "أنا سوف أحبك غداً أيضاً" لكن في لحظة الحب فإن ذلك الوعد يكون موجوداً، حاضراً تماماً. لا يحتاج إلى أي تعبير.

عندما تحب شخصاً ما فإنك لا تستطيع أن تتخيل عكس ذلك، لا تستطيع أن تفكر بأنك لن تحب هذا الشخص في يوم من الأيام، إن هذا شيء مستحيل، هذا ليس جزءاً من الحب. أنا لا أقول بأنك لن تكون قادراً على الخروج من علاقة الحب، ربما تستطيع وربما لا، وليست تلك هي النقطة الأساسية. لكن عندما تكون في لحظة الحب، عندما تتدفق الطاقة بين شخصين يكون هناك جسر، جسر ذهبي، وهما يعبران من خلال هذا الجسر. هذا ببساطة لا يحدث، إن العقل لا يستطيع أن يتخيل أو يفهم أنه سيكون هناك وقت ما لن تكون فيه مع ذلك الشخص، وأن ذلك الشخص لن يكون معك. هذا هو الالتزام، وليس ذلك الذي تقوله كلما استطعت، ليس ذلك الذي تذهب إلى المحكمة لتجعله شيئاً قانونياً حيث تقول: "سأبقى معك إلى الأبد." في الواقع، إن القيام بذلك الشيء القانوني هو ببساطة دليل واضح على أنه ليس هناك أي حب، وإنك تحتاج إلى إجراءات قانونية. إن كان الالتزام موجوداً فليس ثمة حاجة إلى أية موافقة قانونية.

الزواج حاجة لأن الحب مفقود. إن كان الحب موجوداً بشكل عميق وأساسي، فلن يكون هناك حاجة للزواج. لكن ما جدوى الزواج؟ إن الحالة تبدو وكأننا نضع أقداماً للأفعى، أو أننا نلوّن الأزهار الحمراء باللون الأحمر. ليس هناك من ضرورة لذلك. لماذا نذهب إلى المحكمة؟ لا بد أن هناك خوفاً ما بداخلك من أن الحب ليس كاملاً، ليس كلياً.

حتى خلال حالة الحب العميق فأنت تفكر بإمكانية أن يحدث لاحقاً أن تهجر المرأة التي معك. المرأة تفكر: "من يعرف؟ غداً ربما يهجرني هذا الرجل. لذلك من الأفضل أن أذهب إلى المحكمة، في البداية دع الأمر يصبح قانونياً وبعدها يمكن للشخص أن يكون متأكداً. "لكن ماذا نرى من هذا؟ ببساطة نرى أن الحب ليس كاملاً". الحب الكامل لديه خاصية الالتزام بشكل تلقائي، وليس علينا أن نجلب الالتزام إليه، إنها خاصية أساسية.

عندما تكون واقعاً في الحب فإن الالتزام يأتي إليك بشكل طبيعي وليس كما تخطط له. ذلك الشعور يأتي بشكل طبيعي و أحياناً عبر الكلمات: "أنا سوف أحبك للأبد." إن هذا هو عمق المشاعر في اللحظة الحالية. هو لم يقل شيئاً عن الغد، تذكر. إنه ليس وعداً، إنه فقط يشير إلى أن العمق والكمال في الحب يجعل شيئاً كهذا يقال بشكل أوتوماتيكي، "أنا سوف أحبك للأبد ودائماً، حتى الموت لن يكون قادراً على تفريقنا." إن هذا هو الشعور الخاص بالحب الكامل.

دعني أكرر لك مرة أخرى ـ هذا لا يعني أنه في الغد ستكونان معاً. من يعرف؟ إنها ليست النقطة التي نبحث عنها على الإطلاق. الغد سوف يهتم بنفسه، الغد لن يدخل أبداً في عقل الشخص الذي يكون واقعاً في الحب. الغد لا يمكن أن نتخيله على الإطلاق، المستقبل غير مرئي، إن هذه اللحظة تصبح أبدية. وهذا هو الالتزام.

عندما يحين الغد... من الممكن ألا تكونا معاً، لكنها ليست خيانة. أنت لا تخدع ولا تتلاعب، سوف تشعر بالحزن عليها، ستشعر بالأسف ولكن عليك أن

ترحل. أنا لا أقول إنه لا بد أن يحصل هذا. ربما لا يحصل. إنه يعتمد على الكثير من العوامل.

الحياة لا تعتمد فقط على حبك. إن كانت تعتمد على حبك فقط فعندها ستعيش إلى الأبد، لكن الحياة تعتمد على الكثير من الأشياء الأخرى. الحب فيه شعور يجعلنا نقول: "سوف نعيش معاً وللأبد"، لكن الحب ليس كلية الحياة. فعندما يكون موجوداً يكون قوياً بشكل كبير، ويبدو وكأن الشخص ثملٌ به، لكن هناك أيضاً الكثير من الأشياء، الأشياء الحياتية الصغيرة التي تجعل الأمور تتغير.

ربما تقعين في حب رجل، وفي تلك اللحظة تكونين جاهزة للذهاب معه إلى الجحيم. يمكنك أن تقولي هذا وهنا أنت لا تخدعين. إنكِ حقيقية تماماً وصادقة، وربما تقولين: "إن كان عليَّ أن أذهب إلى الجحيم معك فإني سأفعل" ـ وأنا أقول مجدداً: أنت على حق، إنك لا تقولين أي شيء خادع.

لكن في الغد، مع الحياة، مع هذا الرجل تأتي الأشياء الصغيرة: حمام قذر ربما يعطل قضيتك. إن الجحيم (الذي قلت إنك ستذهبين إليه معه) بعيد جداً، وليس هناك من حاجة لأن تذهبي كل تلك المسافة ـ (الحمام القذر)! أو ربما كانت عادة بسيطة، الرجل يشخر في الليل بشكل يجعلك تشعرين بالجنون، وقد كنت على استعداد لأن تذهبي للجحيم، وكان ذلك حقيقياً، كان واقعياً في تلك اللحظة. لم يكن كذباً، لم يكن لديك أية فكرة أخرى ـ لكن الرجل يشخر في الليل أو أن رائحة تعرّقه بشعة جداً أو لديه رائحة نفس سيئة عندما يقبلك، تلك الأشياء تجعلك تشعرين بأنك تتعذبين.

هي فقط أشياء صغيرة، صغيرة جداً ولا أحد يعيرها أي اهتمام عندما يكون الشخص واقعاً في الحب. من يتذمر من الحمام ومن يفكر بموضوع الشخير؟ لكن عندما تعيش مع الشخص تتدخل الكثير من الأمور الصغيرة وأي شيء صغير يمكن أن يصبح صخرة و يمكن أن يدمر زهرة الحب.

إذاً أنا لا أقول إن الالتزام ينطوي على وعود ضمنية. أنا ببساطة أقول: إن لحظة الحب هي لحظة الالتزام. أنت تكون فيها بشكل كامل، إنك حاسم جداً. وبشكل طبيعي ومن تلك اللحظة سيأتي التالي، إن هناك كل الإمكانيات لتكونا معاً. يولد الغد من اليوم ولا يأتي من الغيب، إنه ينضج من رحم هذا اليوم. إن كان هناك حبٌ عظيمٌ اليوم فإن الغد سوف يحمل الحب نفسه. سوف يكون استمراراً. إذن هناك كل الإمكانيات لأن تحب، لكن دائماً هناك احتمالات. والحب يتفهم ذلك.

وإن حدث يوماً ما وتركت امرأتك أو أن امرأتك تخلت عنك، فليس عليك أن تبدأ بالصراخ عليها: "ماذا تعنين الآن؟ لقد قلت لي يوماً إنك سوف تكونين معي دائماً. ماذا الآن؟ لماذا تريدين الذهاب؟" إن كنت أحببت، إن كنت قد عرفت الحب، فسوف تفهم. الحب فيه ذلك المستوى من الالتزام.

الحب لغز. عندما يكون موجوداً يبدو كل شيء وكأنه سماوي، وعندما يذهب الحب يبدو كل شيء ببساطة تافهاً، بلا معنى. أنت لا تستطيع العيش بدون تلك المرأة، والآن لا تستطيع العيش مع تلك المرأة. وكلا الحالتين هي صادقة وصحيحة.

نعود إلى السؤال: **أنت تخلط الأمور عليَّ عندما تتحدث عن الفرق بين الحب والإعجاب. أنت تقول إن الحب التزام، لكن في الالتزام يكون هناك نوع آخر من التعلق".**

إن ما أعنيه بالالتزام وما تعنيه أنت بالالتزام مختلفان تماماً. إن ما تقصده أنت هو أمر قانوني وما أعنيه أنا هو غير قانوني. كنت أشرح لك ببساطة خاصية الحب، ماذا يحدث عندما تُحاصَرُ به، يحدث الالتزام. الالتزام لا يخلق الحب بل الحب يخلق الالتزام. الحب هو الأول والالتزام يتبعه. إن حدث واختفى الحب يوماً ما فسوف يختفي الالتزام أيضاً، لقد كان ظلاً له.

عندما يذهب الحب لا تتكلم عن الالتزام لأنك حينها ستبدو أحمق. لقد كان ظلاً للحب. إنه يأتي دائماً مع الحب. وإن لم يعد هناك حب فسوف يذهب الالتزام ويختفي. إنك لن تتابع العزف على وتر الالتزام: "ماذا عن الالتزام؟" لم يعد هناك من التزام إذا لم يعد هناك حب. الحب التزام!! الحب انتهى، كل الالتزامات تنتهي. هذا ما أعنيه.

وقد فهمت المعنى الذي تقصده. إن ما تعنيه هو: عندما ينتهي الحب ماذا يحدث للالتزام؟ هذا ما تعنيه. أنت تريد أن يستمرالالتزام عندما ينتهي الحب. إن معنى الالتزام بالنسبة لك هو قانوني.

تذكر دوماً، عندما تستمع إليّ حاول أن تتابع المعنى. إنه لأمر صعب، لكن عليك أن تحاول. وفي هذه المحاولة بالتحديد سوف تتخلص من المعنى الذي تقصده. قليلاً قليلاً سوف تنفتح النافذة وسوف تكون قادراً على أن ترى ما أعنيه، وإلا سيكون هناك سوء فهم. أنا أقول شيئاً وأنت تسمع شيئاً آخر.

- حتى إن ظهرت في بعض الأحيان مشاعر شبيهة بالحب في قلبي، في الحال، فإنني أبدأ، وفي اللحظة التالية، بالشعور بأن ذلك ليس حباً، إنه ليس حباً على الإطلاق. إنه رغبتي الدفينة بالجنس وكل ما يتعلق به.

إذاً ما الخطأ في ذلك؟ يجب أن ينشأ الحب من الشهوة. إن أنت تجنبت الشهوة فسوف تتجنب كل احتمال للحب بحد ذاته. الحب ليس شهوة، وهذا صحيح، لكن الحب ليس بدون شهوة أيضاً. إن الحب أرقى من الشهوة، نعم، لكن إن أنت دمرت الشهوة بشكل كامل فإنك تدمر احتمال ظهور الزهرة من الطين تحديداً. إن الحب هو زهرة اللوتس والشهوة هي الطين الذي ينشأ منه اللوتس.

تذكر ذلك وإلا فسوف لن تصل إلى الحب. كحد أقصى تستطيع أن تتظاهر بأنك تجاوزت موضوع الشهوة. لأنه بدون حب لا أحد يستطيع أن يتجاوز الشهوة، يمكنك فقط أن تكبتها. عبر الكبت تصبح أكثر سُمّيّة، إنها تنتشر في كل

جسمك، تصبح سامة، إنها تدمرك. إن الشهوة المتحولة إلى حب تعطيك توهجاً وتألقاً. تبدأ بالشعور بالخفة وكأنه أصبح بإمكانك أن تطير، تشعر بأن لديك أجنحة. أما عند كبت الشهوة فإنك تصبح أثقل وكأنك تحمل وزناً، وكأن صخرة كبيرة مربوطة حول عنقك. بالشهوة المكبوتة تفقد جميع فرصك في الطيران في السماء أما بالشهوة المتحولة إلى حب فتكون قد نجحت في اختبار الوجود.

لقد مُنحت مادة أولية لتعمل بها، لتكون خلاقاً. الشهوة هي المادة الأولية.

لقد سمعت...

بيركويتز و مايكلسون، اللذين لم يكونا مجرد شركاء أعمال بل كانا أصدقاء العمر، وقد عقدا اتفاقية فيما بينهما تنص على أن من يموت منهما أولاً فسوف يعود إلى الحياة ويخبر الآخر كيف تبدو الجنة.

بعد ستة أشهر مات بيركويتز. كان رجلاً أخلاقياً، كان كقديس، كان الشخص الطاهر الذي لم يفعل أي شيء خاطئ وعاش على الدوام خائفاً من الجنس والشهوة.

انتظر مايكلسون صديقه العزيز المقدس الراحل ليبدي أيّ إشارة تظهر بأنه عاد إلى الأرض وأضاع الوقت بنفاد صبر منتظراً بشوق رسالة من بيركويتز.

بعد مرور سنة على يوم الوفاة تكلم بيركويتز إلى مايكلسون. كان الوقت متأخراً في الليل وكان مايكلسون في السرير.

"مايكلسون، مايكلسون،" يتردد صدى الصوت في الغرفة.

"أهذا أنت يا بيركويتز؟"

"نعم".

"كيف هو المكان الذي أنت فيه؟ ماذا يشبه؟"

"إننا نتناول طعام الإفطار ومن ثم نمارس الحب، بعدها نتناول طعام الغداء ونمارس الحب من جديد، وبعدها نتناول العشاء ومن ثم نمارس الحب."

"هل هكذا هي الجنة؟" سأل مايكلسون.

"من يتحدث عن الجنة؟" قال بيركويتز. "أنا في ويسكونسين، وأنا الآن ثور."

تذكر. هذا يحدث للأشخاص الذين يكبتون الجنس. لا شيء آخر ممكن أن يحدث لأن كل الطاقة المكبوتة تصبح ثقلاً عليك، ومن ثم تسحبك إلى الأسفل.

إذا ظهر الحب من خلال الشهوة فإنك تبدأ بالارتقاء نحو وجود أسمى. عليك أن تتذكر ـ ما تريد أن تصبح عليه لاحقاً: بوذا أم ثوراً يعتمد عليك بشكل كامل. إن كنت تريد أن تصبح بوذا فليس عليك الخوف من الجنس. ادخل هذا المجال وتعرفْ عليه بشكل جيد، كن واعياً أكثر فأكثر لهذا الموضوع، كن حذراً لأنها طاقة قيّمة جداً، اجعله تأملاً ومن ثم قم بتحويل تلك الطاقة شيئاً فشيئاً إلى حب. إنها مادة أولية خام مثل الألماس الخام. عليك أن تقطعه وتصقله لكي يصبح ذا قيمة عظيمة. إن أعطاك أحدهم قطعة من الألماس الخام بدون قص وصقل فربما لن تدرك أنها من الألماس. حتى (الكوهينور)[5] في حالتة الخام لا قيمة له.

إن الشهوة عبارة عن (كوهينور)، يجب أن يتم تلميعها، يجب أن يتم فهمها.

يبدو المتسائل عن هذا الأمر خائفاً وعدائياً: "إنها شهواتي المخبأة للجنس وما إلى ذلك". إن هناك إدانة في هذا. لا شيء خاطئ، فالإنسان حيوان جنسي. هكذا نحن و تلك هي الطريقة التي أنتجتنا بها الحياة. تلك هي الطريقة التي وجدنا أنفسنا عليها هنا. اتبع تلك الطريقة. إن لم تفعل فلن تكون قادراً على نقل الطاقة. وأنا لا أتحدث هنا عن مجرد الانغماس بالأمر دون إدراك الموضوع. أنا أعني أن تدخل هذا الموضوع بطاقة تأملية عميقة لتفهم ماهيته. لا بد أن يكون شيئاً قيماً جداً لأنك قد أتيت إلى الحياة من خلاله، لأن كل الوجود يستمتع به، لأن الوجود بكليته جنسي.

الجنس هو الطريقة التي اختارها الله لتكون في هذا العالم، على الرغم مما يستمر المسيحيون في قوله... إنهم يتظاهرون بأن الجنس لم يستخدم خلال ولادة.

---

(5). الكوهينور: نوع من الأحجار الكريمة. م.

إن خوفهم من الجنس قد جعلهم يختلقون قصصاً غبية يجب أن تكون مريم العذراء طاهرة جداً وهذا صحيح، يجب أن تكون عذراء روحياً وهذا أيضاً صحيح. لكن ليس هناك من طريقة لتدخل الحياة إليها بدون المرور عبر الطاقة التي هي الجنس. إن الجسد لا يعرف أي قانون آخركما أن طبيعة الحياة تشمل الجميع. إنها تؤمن بعدم وجود استثناءات ولا تمنح استثناءات لهذا الأمر. لقد خُلِقتَ عبر الجنس وأنت مفعم بالطاقة الجنسية لكن ليست تلك هي النهاية. ربما كانت البداية، إن الجنس هو البداية وليس النهاية.

هناك ثلاثة أنواع من البشر. النوع الأول يعتقد أن الجنس هو النهاية وهم الأشخاص الذين يعيشون حياة الانغماس في متع الجنس ـ حياة الانغماس في قضايا الجنس بدون التعمق في التفكير بها، هؤلاء تفوتهم أشياء، لأن الجنس هو البداية وليس النهاية. وهناك الأشخاص الذين يعيشون ضد الانغماس في المتعة وهم الذين يقفون في الاتجاه المعاكس جداً للاتجاه الأول. هؤلاء لا يريدون من الجنس حتى أن يكون البداية، لذلك بدؤوا بقطعه وإنكاره ويعني ذلك قطعَ أنفسهم واستمرارهم. إن تدمير الجنس هو تدمير لهم، إنهم يذبلون. إن موقف كلا الطرفين السابقين موقف غبي.

ولكن هناك الحالة الثالثة، وهي تخص العقلاء الذين يُبصِرونَ في الحياة. الذين ليس لديهم أية نظريات فيها فرض أو إجبار على أمور الحياة الطبيعية. أولئك فقط يحاولون أن يفهموا. لقد رأوا أن الجنس هو البداية لكنه ليس النهاية. الجنس هو فقط فرصة لتنضج وتتجاوزه، لكن على الإنسان أن يمر خلاله.

يسألني أحد الأشخاص السؤال التالي:

سؤال:

ـ في الشرق، هناك تأكيد على أن الشخص يجب أن يبقى مع شخص واحد من خلال علاقة حب. في الغرب ينتقل الناس الآن من علاقة إلى علاقة. أيهما تفضل؟

أنا أفضّل الحب.

دعني أشرح لك: كن مخلصاً للحب ولا تهتم بالشركاءأن يكون لك شريك واحد أو عدد من الشركاء ليس هو القضية. القضية هي إن كنت مخلصاً وصادقاً في الحب. إذا كنت تعيش مع امرأة أو مع رجل ولم تكن تحب هذا الشخص فأنت تعيش في إثم. إن كنت متزوجاً ولم تكن تحب هذا الشخص وتستمر في الحياة معه، تمارس الحب معه أو معها، فأنت ترتكب إثماً ضد الحب.

إنك تتخذ قرارت ضد الحب من أجل رضا المجتمع وراحته وشكلياته. إنه نفس مستوى الخطيئة المرتكب عندما تغتصب امرأة. أن تذهب وتغتصب امرأة فإنك تكون قد اقترفت جريمة لأنك لا تحب المرأة والمرأة لا تحبك. يحدث الأمر ذاته عندما تعيش مع امرأة وأنت لا تحبها. عندها يكون الأمر اغتصاباً ولكن بموافقة المجتمع، عندها أنت تسير بعكس اتجاه الحب.

إذن، يقرر الناس في الشرق العيش مع شريك واحد لكامل حياتهم ولا شيء خاطئ في هذا. إن بقيت مخلصاً للحب فسوف يكون البقاء مع شخص واحد من أجمل الأشياء، لأن الحميمية تنضج. لكن تسعاً وتسعين بالمئة من الحالات لا يكون فيها أي حب، إنكما تعيشان معاً فقط. ومع الحياة المشتركة تنمو علاقة ما هي علاقة العيش معاً وليست حباً. لا تخطئ وتظن أن هذه العلاقة حب.

لكن إن كان ذلك ممكناً، إن كنت تحب الشخص وتعيش كل حياتك معه أو معها، فإن إلفة كبيرة سوف تنضج، والحب سوف يمنحك إلهاماً أعمق وأعمق. وهذا غير ممكن إن أنت تابعت عملية تغيير الشريك كل فترة. إنها فكرة مشابهة

لفكرة تغيير موقع زراعة شجرة من مكان لآخر، حيث لن تتثبت جذورها بأي مكان. فمن أجل أن تنمو جذورها تحتاج الشجرة لأن تبقى في المكان نفسه. عندها تنمو أعمق وأعمق وبهذه الطريقة تصبح أقوى.

الحميمية جيدة، ومن الجميل أن تبقى على التزام واحد، لكن الأساس الضروري هو الحب. إذا تجذرت الشجرة في مكان فيه فقط الحجارة التي تقتل الشجرة، فمن الأفضل أن ننقلها. عندها لا تلحّ بأن عليها أن تبقى في نفس المكان. كن مخلصاً للحياة وانقل الشجرة لأنها الآن تنمو ضد الحياة.

في الغرب تغير الناس وأصبح لديهم العديد من العلاقات. لقد قُتل الحب في كلتا الحالتين. في الشرق قُتل الحب لأن الناس يخافون من التغيير، وفي الغرب قُتل الحب لأن الناس يخافون من البقاء مع شريك واحد لفترة طويلة. إنهم يخافون لأن الحب أصبح التزماً. قبل أن يصبح التزاماً قم بالتغيير، بهذا تبقى طافياً متدفقاً وحراً. هكذا ينمو نوع من الفسق. وباسم الحرية يتم تحطيم الحب وتجويعه حتى الموت. إن الحب يعاني بكلتا الحالتين. في الشرق يتعلق الناس بالأمان والراحة والشكليات وفي الغرب يتعلقون بحرية (الأنا) وعدم الالتزام. لكن الحب يعاني في كلتا الحالتين.

أنا أفضّل الحب. أنا لست غربياً ولا شرقياً ولا يهمني المجتمع الذي تنتمي إليه. أنا لا أنتمي إلى مجتمع، أنا أنتمي إلى الحب.

تذكر دوماً: إن كانت علاقتك علاقة حب فالأمر جيد طالما أن الحب باق في هذه العلاقة، ابق فيها بالقدر الذي تستطيعه من عمق الالتزام. ابق فيها بالقدر الذي تستطيعه من الكلية، استغرقْ بتلك العلاقة. حينها سيكون الحب قادراً على تغييرك. وإن لم يكن هناك حب فمن الأفضل أن تقوم بالتغيير. لكنك عندئذٍ لن تصبح شخصاً مدمناً على التغيير، ولا تحول الأمر إلى عادة. لا تدع الأمر يصبح كحالة ميكانيكية بحيث تقوم بالتغيير كل سنتين أو ثلاث سنوات، لا تكن كشخص يبدّل سيارته بعد كل فترة استخدام أو بعد ظهور طراز جديد. كلما ظهر

طراز جديد تقوم بتغيير السيارة، وكلما مرت بك امرأة جديدة.... ليس هناك من فرق كبير.

المرأة هي امرأة كما أن الرجل رجل. الفوارق ثانوية لأنها مسألة طاقة. إن طاقة الأنثى هي طاقة أنثى، وفي كل امرأة تتواجد جميع النساء، وفي كل رجل يتواجد جميع الرجال. الفرق سطحي جداً، الأنف أكبر أو أصغر قليلاً والشعر أشقر أو بني ـ فروق صغيرة فقط في الشكل الخارجي، أما في العمق فالمسألة تتعلق بطاقة الذكر والأنثى. إن كان الحب موجوداً فالتزم به، اعطه الفرصة لينضج ويكبر. وإن لم يكن هناك، قم بالتغيير قبل أن تدمن على علاقة بدون حب.

زوجة شابة سألت الكاهن وهي على كرسي الاعتراف عن موضوع حبوب منع الحمل. أجابها الكاهن: "عليك ألا تستعمليها." "إن الحبوب ضد قانون الله. خذي كأساً من الماء."

قالت الزوجة: "قبل أم بعد؟"

أجاب الكاهن: "بدلاً منها!".

لقد سألتني فيما إذا كنت تتبع طريقة الشرق أم الغرب. لا هذه ولا تلك، عليك اتباع الطريقة المقدسة، وما هي الطريقة المقدسة؟ ابق مخلصاً للحب. إن كان الحب موجوداً فكل شيء مسموح به وإن كان الحب غير موجود فلا شيء مسموح به. لا تلمس زوجتك إن كنت لا تحبها لأن هذا انتهاك وتعدٍّ، إن لم تكن تحب امرأة فلا تنم معها لأن هذا خرق لقانون الحب، وهذا قانون نهائي. فقط عندما تحب يصبح كل شيء مسموحاً به.

شخص ما سأل أوغسطين (وهو من مدينة هيبو): " أنا شخص جاهل بشكل كبير ولا أستطيع قراءة النصوص المقدسة والكتب الدينية العظيمة، أعطني فقط رسالة صغيرة، أنا غبي جداً وذاكرتي غير جيدة، أعطني الجوهر بشكل أستطيع أن أتذكره وأتبعه. "كان أوغسطين فيلسوفاً كبيراً وقديساً عظيماً وكان لديه الكثير من

العظات لكن لم يسأله أحد يوماً سؤلاً عما هو الجوهر. أغلق عينيه وتأمل لساعات. قال الرجل: "أرجوك، إن وجدت شيئاً فقله لي لكي أذهب فأنا أنتظر هنا منذ ساعات." قال أوغسطين: "لا أستطيع إيجاد أي شيء سوى شيء واحدٌ، إنه الحب، وكل شيء آخر يكون متاحاً لك. فقط الحب."

قال المسيح: "الله هو الحب." أنا أريد أن أقول لك إن الحب هو الله. ابقَ شجاعاً بما يكفي لتسير مع الحب، ليس هناك من اهتمام آخر. إن اهتممت بالحب فكل شيء يصبح ممكناً بالنسبة لك.

أولاً، لا تنتقل للعيش مع امرأة لا تحبها ولا تنتقلي للعيش مع رجلٍ لا تحبينه. لا تنتقل لمجرد وجود نزوة أو لمجرد وجود شهوة جنسية. حاول أن تكتشف فيما إذا كانت الرغبة بالالتزام بشخص ما قد ظهرت لديك.

هل أنت ناضج بما فيه الكفاية لتقوم باتصال عميق، لأن هذا الاتصال سوف يغير حياتك بالكامل؟

عندما تقوم بهذا الاتصال، قم به بصدق. لا تحتجب عن محبوبك، كن صادقاً. تخلص من كل تلك الأقنعة الزائفة التي تعلمت ارتداءها وكن صادقاً. أفصح عن كل ما في قلبك وتعرَّ من كل شيء. لا يجوز أن يكون هناك أسرار بين محبيَن وإلا لن يكون ذلك حباً. تخلَّ عن كل ذلك الكتمان لأن الكتمان سياسة لا يمكن أن يكون لها وجود في الحب. ليس عليك أن تخفي شيئاً. كل ما يتوضح في قلبك يجب أن يكون واضحاً لمحبوبك وكل ما يظهر في قلب محبوبتك يجب أن يكون واضحاً بالنسبة لك. عليكما أن تكونا مخلوقين واضحين كل منكما للآخر. وشيئاً فشيئاً سوف ترى أنه من خلال كل منكما والآخر ستنضجان إلى وحدة أسمى.

عَبْرَ لقائك بالمرأة التي في الخارج لقاءً حقيقياً والتزامك بكينونتها والتلاشي والذوبان بها ستبدأ شيئاً فشيئاً بمقابلة المرأة الموجودة في داخلك، سوف تبدئين بلقاء الرجل الموجود بداخلك أيتها المرأة. إن المرأة الخارجية هي مجرد طريق أو ممر للمرأة الداخلية، والرجل الخارجي هو مجرد طريق للرجل الداخلي فينا.

تحدث الرعشة الجنسية بداخلك عندما يتقابل الرجل والمرأة اللذان بداخلك معاً. وهذا هو المعنى لكلمة رمزية هندوسية هي (Ardhanarishwar). لابد وأنك رأيت تماثيل (شيفا) وهي كنصف رجل، نصف امرأة - إن كل رجل هو نصف رجل ونصف امرأة وكل امرأة هي نصف امرأة ونصف رجل. يجب أن تكون كذلك لأن نصف كينونتك قد جاء من أبيك ونصفها من أمك، أنت كلا الطرفين. إن الرعشة الداخلية، اللقاء الداخلي، الاتحاد الداخلي مطلوب. لكن لتصل إلى ذلك الاتحاد الداخلي عليك العثور على امرأة في الخارج تستجيب للمرأة التي بالداخل، المرأة التي تهز كينونتك الداخلية. إن المرأة الداخلية التي تنام الآن بعمق سوف تستيقظ. من خلال المرأة الخارجية عليك أن تقابل المرأة التي بالداخل، والشيء نفسه بالنسبة إلى الرجل.

إذا ما استمرت العلاقة لفترة طويلة فهذا أفضل، لأن تلك المرأة الداخلية تحتاج إلى الوقت لكي تستيقظ. وكما يحدث في الغرب - علاقات الكر والفر - فالمرأة الداخلية ليس لديها الوقت، الرجل الداخلي ليس لديه الوقت لينهض.

عندما تحدث الاستثارة تكون المرأة قد رحلت، وتكون امرأة أخرى قد أتت بذبذبات أخرى. وبالطبع، إن استمررت بتغيير امرأتك أو تغيير الرجل فسوف تصبح عصابياً لأن هناك الكثير من الأشياء، الكثير من الأصوات سوف تدخل في كينونتك، الكثير من الخصائص المختلفة للذبذبات التي سوف تبقيك مرتبكاً في إيجاد امرأتك الداخلية، سيكون ذلك صعباً. من الممكن أيضاً أن تصبح مدمناً على التغيير. في البداية سوف تستمتع بالتغيير. وبعدها تضيع.

ليست المرأة الخارجية إلا طريقاً إلى المرأة الداخلية، والرجل الخارجي هو طريق للرجل الداخلي. اليوغا القصوى والاتحاد الصوفي تحدثان في داخلك. عندما يحدث ذلك تصبح حراً من كل النساء وكل الرجال، ثم تصبح حراً من الرجولة والأنوثة. بعد ذلك وفجأة تتجاوز الرجولة والأنوثة ولن تعود متمتعاً لا بالرجولة ولا بالأنوثة. ذلك ما يسمى السمو والارتقاء، وتلك هي

(brahmacharya). وبعدها تنال مرة أخرى عذريتك النقية، تستعيد طبيعتك الأصلية من جديد.

سؤال:

مؤخراً، بدأت أدرك كيف أن من أحبه غريب عني. لا زال هناك تلهف قوي لتجاوز حالة الانفصال فيما بيننا. إنه يشعرني وكأننا خطان متوازيان وقدرنا ألا نلتقي. هل يشبه عالم الوعي عالم الهندسة، أو بعبارة أخرى: هل هناك أي فرصة للقاء تلك الطرق المتوازية؟

إنه واحد من أكبر أنواع التعاسة التي على كل محب أن يواجهها. ليس هناك من طريقة للمحبين لكي يتخلصوا من غرابتهم وعدم ألفتهم وانفصالهم. في الواقع كل مزايا الحب تكون في أن المتحابين قطبان متعاكسان. كلما كانا أكثر ابتعاداً كلما كانا أكثر انجذاباً. إن انفصالهما هو جاذبية. أصبحا أقرب، أصبحا أكثر قرباً، لكنهما لم يصبحا واحداً، أصبحا قريبين جداً لدرجة يشعران فيها وكأنهما على بعد خطوة واحدة من تحولهما إلى شخص واحد. لكن تلك الخطوة لن يتم اتخاذها، لا يمكن اتخاذها بسبب مجرد الحاجة أو بسبب القانون الطبيعي.

وعلى العكس من ذلك، عندما يكونان قريبين جداً يبدأان في الحال بالعودة لحالة الانفصال مجدداً، يصبحان أبعد. لأنه عندما يصبحان قريبين جداً تُفقد جاذبيتهما، يبدأان بالشجار، يصبحان عنيدين سليطي اللسان. تلك طرق لخلق مسافة تباعد أخرى، وحالما تصبح هناك مسافة يبدأان بالشعور بالانجذاب ثانية. ويستمر هذا على شكل إيقاع: يقتربان، يبتعدان، يقتربان، يبتعدان وهكذا. ثمة لهفة لنكون شخصاً واحداً، لكن من غير الممكن على صعيد البيولوجيا وعلى

صعيد الجسد أن تصبحا شخصاً واحداً. حتى أثناء ممارسة الحب فأنتما لستما واحداً. إن الانفصال على المستوى المادي أمر لا مفر منه.

أنت تقول: "منذ فترة قريبة بدأت أدرك كيف أن من أحبها غريبة عني." هذا جيد. إنه جزء من نمو الوعي والفهم لديك. الناس الصبيانيون فقط يعتقدون أنهم يعرفون بعضهم بعضاً. أنت لا تعرف نفسك أبداً، كيف يمكنك أن تتصور أنك تعرف محبوبك؟

لا المحبوب يعرف نفسه، ولا أنت. كينونتان غير معروفتين، غريبان لا يعرفان أي شيء عن نفسيهما ويحاول كل منهما أن يعرف الآخر ـ إنه تمرين في اللاجدوى، مصيره أن يصبح إحباطاً وفشلاً. وهذا هو السبب في أن كل محب في حالة غضب من الشريك. ربما يعتقد كلٌّ مهما أن الآخر لا يسمح له بالدخول إلى عالم الخصوصية الخاص به: " إنه يتركني منفصلاً عن عالمه، إنه يتركني بعيداً قليلاً عنه." وكلاهما يتابعان التفكير بالطريقة نفسها لكن هذا ليس صحيحاً، كل تلك الشكاوى غير حقيقية. إنها ببساطة تعبير عن عدم فهمهما لقانون الطبيعة".

على صعيد الجسد يمكنكما أن تتقاربا لكن ليس بإمكانكما أن تتحدا. فقط على صعيد القلب يمكنكما أن تصبحا واحداً، ولكن للحظات فقط، وليس دائماً.

على صعيد الكينونة أنتما واحد. ليس هناك من ضرورة لتصبحا واحداً، ليس عليكما إلا اكتشاف هذا.

أنت تقول: "لا تزال هناك رغبة كبيرة لتجاوز مسألة الانفصال فيما بيننا." إن تابعت محاولاتك على المستوى المادي فسوف تستمر في الفشل. إن تلك الرغبة ببساطة تظهر أن الحب بحاجة لأن يذهب فيما وراء الجسد. ذلك الحب يحتاج إلى ما هو أعلى من موضوع الجسد، شيء أعظم و أعمق من الجسد. بالرغم من كون لقاء القلب للقلب لطيفاً، وبالرغم من السعادة الهائلة، لا يزال هذا غير كافٍ، لأن هذا حدث فقط آنياً وبعدها يعود الغرباء غرباء من جديد. حتى تكتشفا عالم الكينونة لن يكون بمقدوركما أن تحققا رغبتكما بأن تصبحا واحداً.

والحقيقة الغريبة هي أنه في اليوم الذي تصبح فيه واحداً مع من تحب، سوف تصبح متحداً مع كل الوجود أيضاً.

إنك تقول: أشعر كما لو أننا خطان متوازيان، لكن قدرنا ألا نلتقي.

ربما كنت لا تعرف شيئاً عن الهندسة غير الإقليدية لأنها لا زالت لا تُعلَّم في مؤسساتنا التربوية. لا زلنا نتعلم الهندسة الإقليدية مع أن عمرها ألفا عام. في الهندسة الإقليدية الخطان المتوازيان لا يلتقيان. لكن وجدوا أنهما إن استمرا فإنهما يلتقيان. إن آخر الاكتشافات تقول إنه ليس هناك خطان متوازيان وهذا ما يجعلهما يلتقيان. ليس بإمكانك أن تخلق خطين متوازيين.

إن الاكتشافات الحديثة غريبة جداً ـ ليس بإمكانك أن تخلق خطاً مستقيماً لأن الأرض كروية. إن أنت خلقت خطاً مستقيماً هنا، ثم تابعت تمديد الخط من كلتا النهايتين فإنه في النهاية ستلتقي النهايتان لتشكلا دائرة. إن كان الخط المستقيم في تمديده إلى اللا نهاية أدى إلى تشكيل دائرة فهذا يعني أنه لم يكن خطاً مستقيماً في مكانه الأول، إنه جزء من دائرة كبيرة جداً والجزء من دائرة كبيرة هو قوس وليس خط. الخطوط مختفية تماماً من الهندسة اللا إقليدية، وفي المكان الذي لا توجد فيه خطوط ماذا نقول عن الخطين المتوازيين؟ ليس هناك من خطين متوازيين أيضاً.

إن كان هناك من مسألة تتعلق بالخطين المتوازيين فإن هناك فرصة للمحبين ليلتقيا في مكان ما ـ ربما في الشيخوخة حيث لا يكون بإمكانهما أن يتقاتلا... ولم يتبق لديهما أية طاقة، أو أنهما أصبحا معتادين... ما الجدوى؟ الجدال نفسه الذي لديهما، المشاكل نفسها، الصراع نفسه، لقد ملّ أحدهما الآخر.

على المدى الطويل يتوقف المحبان عن التحدث أحدهما إلى الآخر، ما الجدوى من ذلك؟ لأنه ما أن تبدأ الكلام حتى يبدأ الجدال، الجدال نفسه، لن يتغير. لقد تجادلا به مراراً وتكراراً وتوصلا إلى النهاية نفسها. لكن حتى حينها

الخطان المتوازيان فيما يتعلق بالمحبين... في الهندسة ربما أمكن لهما الالتقاء، لكن في الحب ليس هناك من أمل، لن يلتقيا.

ومن الجيد أن ليس بإمكانهما أن يلتقيا، لأنه إن استطاع الحبيبان إشباع رغبتهما بأن يكونا واحداً على مستوى الجسد فإنهما لن ينظرا باتجاه الأعلى. لن يحاولا أبداً أن يجدا أن هناك الكثير من الأشياء المختبئة في الجسد المادي ـ الإدراك، الروح، الله.

من الجيد أن يفشل الحب لأن فشل الحب سيأخذك في رحلة حج جديدة. ستطاردك اللهفة بشكل يقودك إلى المعبد حيث يحدث اللقاء ـ لكن اللقاء دائماً يحدث مع الكل... حيث يكون الحبيب موجوداً، وأيضاً تكون الأشجار موجودة، والأنهار والجبال والنجوم.

في اللقاء هناك شيئان غير متواجدين، ذاتك لن تكون موجودة وذات من تحب لن تكون هناك أيضاً. وخارج هذين الأمرين كل الوجود سيكون موجوداً. وهاتان الذاتان كانتا المشكلة وهذا ما جعلهما يسيران في خطين متوازيين لا يلتقيان.

ليس الحب من يخلق المشكلة، بل (الأنا). لكن اللهفة لن تكون مشبعة. ولادة بعد ولادة وحياة بعد حياة ستبقى اللهفة هناك حتى تكتشف الباب الصحيح لتدخل ماوراء الجسد ولتدخل المعبد.

ثنائي من شخصين في عمر الثالثة والتسعين و الخامسة والتسعين ذهبا إلى محاميهما، وقالا إنهما يريدان الطلاق. "الطلاق!!" صرخ المحامي. "في عمركما؟" لكن بالتأكيد كل منكما يحتاج الآخر أكثر من أي وقت آخر، وعلى أية حال أنتما متزوجان منذ زمن بعيد، ما الجدوى؟"

قال الزوج. "حسناً، نحن نريد الطلاق منذ سنين لكن فكرنا بأن ننتظر حتى يموت الأولاد."

لقد انتظرا فعلاً! الآن ليس هناك من مشكلة، بإمكانهما الآن الحصول على الطلاق - بقيا بدون لقاء، لكن مطلقان.

فقط حافظ على لهفتك متقدة ملتهبة ولا تفقد قلبك. إن لهفتك هي بذرة روحانيتك. لهفتك هي بداية اتحادك الأبدي بالوجود وحبيبك هو مجرد مسبب.

لا تكن حزيناً، كن سعيداً. استمتع بأنه ليس هناك إمكانية اللقاء على المستوى المادي، وإلا لن يكون للحبيبين أية طريقة للتحول، سيغدوان عالقين أحدهما بالآخر، وسيدمر أحدهما الآخر.

لن يكون هناك أي أذى في محبة شخص غريب. من المثير أكثر حقاً أن تحب شخصاً غريباً. عندما لم تكونا معاً كان هناك جاذبية كبيرة، كلما كنتما معاً لوقت أطول كلما أصبحت الجاذبية باهتة، وكلما عرف أحدكما الآخر أكثر، بشكل سطحي، كلما انخفض مستوى الإثارة وتصبح الحياة روتينية خلال زمن قصير.

الناس تتابع تكرار الأشياء نفسها مرة بعد مرة، وإن نظرت إلى وجوه الناس في العالم سوف تتفاجأ. لماذا تبدو وجوه جميع الناس حزينة؟ لماذا تبدو عيونهم وكأنهم فقدوا كل أمل؟ السبب بسيط، السبب هو التكرار. فالإنسان ذكي والتكرار يخلق الملل والملل يجلب الحزن لأن الشخص يعرف ماذا سيحدث غداً أو بعد غد.... حتى يوم دخوله القبر، سيكون الشيء نفسه، القصة نفسها.

كان فينكيلستين و كوالسكي جالسين في بار ويشاهدان الأخبار على التلفاز. في الأخبار كان هناك مشهد لامرأة تقف على حافة وتهدد بالقفز. قال فينكيلستين لكوالسكي: "سأقول لك شيئاً، سأقوم بمراهنة معك، إن قفزت المرأة فسوف أحصل منك على عشرين دولاراً. إن لم تقفز فسوف تحصل مني على عشرين دولاراً، فما رأيك؟"

أجاب كوالسكي: "إنه رهان منطقي"

دقائق قليلة وقفزت المرأة عن الحافة وقتلت نفسها.

تناول كوالسكي حافظة نقوده وأعطى فينكيلستين العشرين دولار.

بعد دقائق التفت فينكيلستين إلى كوالسكي وقال:

"انظر إلي، لا أستطيع أخذ الدولارات العشرين منك. سأعترف لك، لقد شاهدت الأخبار هذا المساء وهذا كان مجرد إعادة."

قال كوالسكي: "لا أبداً، اترك النقود لديك، لقد ربحت وهذا أمر عادل وجيد. لقد شاهدت الأخبار على التلفاز في هذا اليوم أيضاً."

"شاهدت الأخبار؟" قال فينكلستين: "حسناً، لماذا راهنت إذن بأن المرأة سوف لن تقفز؟"

قال كوالسكي: "لم أعتقد بأنها ستكون غبية لدرجة تقوم بالأمر مرتين!"

لكن الحياة هكذا...

ذلك الحزن في العالم، ذلك الضجر والتعاسة يمكن أن يتغيرا، إن عرف الناس أنهم يطلبون المستحيل.

لا تطلب المستحيل.

ابحث عن قانون الحياة ومن ثم اتبعه.

إن لهفتك لأن تكون واحداً ما هي إلا رغبتك الروحية، هي عبارة عن طبيعتك الدينية الأساسية بالتحديد. هي فقط بسبب تركيزك على النقاط الخاطئة.

إن محبوبك هو مجرد مسبب. دعه يكون مجرد تجربة للحب الأعظم ـ حب الوجود كله.

لتكن لهفتك بحثاً عن كينونتك الداخلية، هناك يحدث اللقاء سلفاً، نحن شخص واحد أساساً. ليس ثمة من أحد منفصل.

لهفتك صحيحة تماماً، لكن موضوع اللهفة هو الخطأ. هو الذي يخلق المعاناة والجحيم. عليك فقط أن تغير موضوع لهفتك وستصبح حياتك عندها كالحياة في الجنة.

القسم الثالث

الحرية

يحط الرجل من قدر المرأة إلى مستوى الجارية، والمرأة تحط من قدر الرجل إلى مستوى العبد. وبالطبع كلاهما يكره العبودية وكلاهما يقاومانها. إنهما يتحاربان باستمرار حيث تبدأ المعركة لأية أسباب صغيرة.

لكن المعركة الحقيقية هي في مكان آخر عميق جداً، المعركة الحقيقية هي في أن الناس يطلبون الحرية. هم لا يستطيعون قول تلك العبارة بشكل واضح، ربما نسوا بشكل كامل. تلك هي الطريقة التي عاش بها الناس منذ آلاف السنين. لقد رأوا أن والدهم ووالدتهم قد عاشا بالطريقة نفسها، أجدادهم قد عاشوا بالطريقة نفسها. تلك هي الطريقة التي يعيش بها الناس، لقد قبلوا بها. وحريتهم قد تدمرت.

يبدو الأمر وكأنه محاولة للطيران في السماء بجناح واحد. القليل من الناس لديهم جناح الحب والقليل أيضاً لديهم جناح الحرية. إن وجود أحدهما لا يساعد على الطيران. الإنسان بحاجة لكلا الجناحين.

الفصل التاسع

العقل البكر أو إمكانية البدء من جديد

لطالما اعتقد الفلاسفة بأن الجوهر سابق للوجود، بمعنى أن الإنسان يولد ولديه سلفاً مقومات ما سيكون عليه لاحقاً. تماماً كما تحمل بذرة النبات كامل برنامج نموها، المسألة الآن هي فقط للعرض. ليس هناك من حرية: ذلك كان موقف كل الفلاسفة في الماضي، للإنسان قدر ومصير محدد، وسوف يصبح كينونة محددة ثابتة كانت مقدرة له منذ البداية، مكتوب له مسبقاً كل ما سيحدث له. أنت لست مدركاً لذلك وتلك هي قضية أخرى، وأياً يكن ما تفعله فأنت لا تفعله في الحقيقة بل يتم من خلالك بواسطة قوى غيبية طبيعية أو من قبل الله.

ذلك هو موقف المؤمنين بالقدر، المؤمنين بالحتمية. إن البشرية بأكملها عانت بشدة من هذا الأمر لأن هذا النوع من المقاربة يعني عدم وجود إمكانية لأي تغيرات جذرية. لا يمكن إطلاقاً القيام بأي شيء يتعلق بتغيرات في الإنسان، إن كل شيء سيحدث بالطريقة التي يحدث بها. إن الشرق هو أكثر من عانى بسبب هذا الموقف.

عندما لا يكون هناك شيء يمكن القيام به فإنك تبدأ بتقبل كل شيء: العبودية، الفقر، البشاعة، عليك تقبل كل هذا. لا يمكن اعتبار هذا التقبل نوعاً من الفهم أو الوعي، إنه ليس ما أسماه بوذا المثالية. إنه مجرد يأس، فقدان للأمل يختبئ في كلمات جميلة.

لكن النتيجة ستكون كارثية. بإمكانك أن ترى ذلك في أكثر حالاته تطوراً في الهند: الفقر والتسول، المرض والناس المقعدون، الناس العميان. ولا أحد يهتم لأنهم يعتبرون أن هذا هو شكل الحياة، هكذا كانت الحياة دوماً وهكذا ستكون. هكذا يتسلل نوع من الخمول إلى الروح بحد ذاتها.

لكن كل هذه المقاربات هي في الأساس خاطئة. إنها نوع من المواساة وليست اكتشافاً أتى من رؤية للحقيقة. إنها موجودة بطريقة ما لتخفي جراح الشخص ـ إنها عقلنة. وعندما تبدأ العقلنة بإخفاء الواقع فإنك ستسقط حكماً في أكثر ممالك الظلام حلكة.

الجوهر لا يسبق الوجود بل على العكس، الوجود يسبق الجوهر. إن الإنسان هو الكائن الوحيد الحرعلى الأرض. إن الكلب قد خلق كلباً وسيعيش ككلب ويموت ككلب، ليس هناك من حرية. الوردة سوف تبقى وردة وليس هناك من إمكانية لأي تحول أو تغيير، ليس بإمكانها أن تصبح زهرة لوتس. ليس هناك مسألة خيارات، ليس هناك من حرية على الإطلاق. وهنا يبدو الإنسان مختلفاً بشكل كامل. هنا يكمن جلال الإنسان وخصوصيته في الوجود، هنا يكمن تفرده وتميزه.

هذا ما جعلني أعتبرأن تشارلز داروين لم يكن على حق، لأنه بدأ يصنف الإنسان مع الحيوانات الأخرى، ولم يأخذ بعين الإعتبار ذلك الفرق الأساسي. الفرق الأساسي هو أن كل الحيوانات قد خُلِقَت مبرمجة، الإنسان هو الوحيد الذي وُلِدَ بدون برنامج. لقد خلق الإنسان كصفحة بيضاء لم يكتب عليها أي شيء، وعليك أن تكتب كل ما تريد أن تكتبه عليها، تلك الصفحة ستغدو إبداعك.

الإنسان ليس فقط حراً، الإنسان هو الحرية. ذلك هو جوهره الأساسي وتلك هي روحه تحديداً. عندما تُنكِرُ الحرية على شخص فإنك تُنكِرُ عليه أكثر كنوزه قيمة، تُنكِرُ مملكته الخاصة. عندها يصبح متسولاً، وعلى المدى البعيد يصبح بحالة أكثر بشاعة من حالة الحيوانات الأخرى، لأن الحيوانات في النهاية لديها برنامج محدد. لكن الإنسان يصبح ببساطة تائهاً.

عندما يصبح مفهوماً أن الإنسان قد ولد حراً فإن جميع أبعاده تصبح قابلة للنمو. وعندها تقع عليك مسؤولية اختيار ما سيكون وما لا يكون، سيصبح إبداعك الشخصي. عندها ستصبح الحياة مغامرة ـ ليست كشفاً بل هي مغامرة، نوع من الاستكشاف والاكتشاف. الحقيقة ليست معطاة لك سلفاً بل عليك أن تخلقها. بشكل ما أنت تخلق كل لحظة بنفسك.

حتى لو قَبِلتَ بنظرية القدر فإن قبولك هو فعل اتخاذ قرار يخص حياتك. إن إيمانك بالقدر هو خيار لحياتك كعبد، إنه خيارك! إنك تختار أن تعيش في سجن، إنك تختار أن تكون مقيداً، لكنه يبقى خيارك الشخصي. يمكنك أن تخرج من سجنك.

بالطبع يخاف الناس من أن يكونوا أحراراً لأن الحرية خطرة. فالشخص لا يعرف ماذا عليه أن يفعل، أين عليه أن يذهب؟ ما هي النتائج النهائية التي ستحدث نتيجة لخياراته؟ إن كنت لست مسبق الصنع، أي إن كنت مخيراً فعندها تكون مسؤولاً عن كل تصرفاتك. ليس باستطاعتك أن ترمي بمسؤولياتك على شخص آخر. وأخيراً ستكون واقفاً أمام الوجود بكامل المسؤولية عن نفسك. أياً تكن ومهما تكن فلن تستطيع التهرب، لن تستطيع التنصل منها، هذا هو الخوف. بسبب ذلك الخوف يختار الناس كل أنواع مواقفهم القدرية.

إنه لأمر غريب، المتدينون وغير المتدينين يتفقون على نقطة واحدة، هي أنه ليس هناك من حرية. وبعيداً عن هذه النقطة لا يتفقون على أي شيء، يبدو اتفاقهم غريباً على نقطة واحدة فقط. يقول الشيوعيون إنهم ملحدون، لا

دينيون، لكن يقولون بأن الإنسان محدود بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. الإنسان غير حر وإدراكه محدود بسبب قوى خارجية. إنه المنطق نفسه! يمكنك أن تطلق على القوى الخارجية اسم البناء الاقتصادي. إن هيغل يدعوها "التاريخ" ـ وكلمة تاريخ بحرف أول كبير، تذكر هذا ـ والناس المتدينون يدعونها "الله"، وهنا أيضاً كلمة الله تبدأ بحرف كبير. التاريخ، الاقتصاد، السياسة، المجتمع، كلها قوى خارجية تتفق جميعاً على أمر واحد، هو أنك لست حراً.

أقول لك إنك حر بالمطلق، حر بدون أي شروط. لا تتجنب المسؤولية فتجنب المسؤولية لن يفيد. وكلما أسرعت في قبول ذلك كلما كان أفضل، لأنه بإمكانك فوراً أن تبدأ بتكوين نفسك. وفي اللحظة التي تبدأ فيها بتكوين نفسك تتضح لديك ملامح السعادة وعندما يكتمل تكوينك بالطريقة التي تريدها، يكون هناك قناعة عظيمة تشبه تماماً حالة الرسام عندما ينتهي من لوحته، ويضع اللمسة الأخيرة، فيغمر قلبه قدر كبير من الرضا والاطمئنان. إن العمل الذي يتم بشكل جيد يجلب سلاماً عظيماً ويشعر المرء بأنه يريد أن يشارك الجميع بهذا العمل.

الصلاة الوحيدة هي أن تكون مبدعاً، لأنه من خلال الإبداع فقط يمكنك أن تتشارك مع الجميع، ليس هناك من طريقة أخرى للمشاركة. يجب ألا يتم التفكير بالغيب، عليك أن تشارك بطريقة ما. ليس باستطاعتك أن تكون مراقباً فقط، يمكنك أن تكون مشاركاً، وبعد ذلك سوف تتذوق الغموض الذي فيه. إن إبداع لوحة ليس بشيء، وكذلك إبداع الشعر والموسيقا أو غيرها ليس شيئاً مقارنة بخلق الإنسان لوعيه الذاتي، مقارنة بخلقه لكينونته الخاصة.

لكن الناس لديهم الخوف، وهناك أسباب ليكونوا خائفين. أولاً: إن هذا الأمر فيه مجازفة لأنك المسؤول الوحيد. ثانياً: من الممكن أن يساء استخدام الحرية لأنك يمكن أن تختار طريقاً خاطئاً. الحرية تعني أن بإمكانك اختيار الأمور الصحيحة أو الخاطئة، وإن كنت حراً فقط في اختيار الأمور الصحيحة فذلك ليس بحرية. عندها سيبدو الأمر مشابهاً للسيد (فورد) حين قام بصناعة أول السيارات

لديه ـ كانت كل السيارات سوداء. وأراد حينها أن يصطحب زبائنه إلى المعرض ويقول لهم: "يمكنكم اختيار أي لون ترغبون، شريطة أن يكون أسودا!"

أي نوع من الحرية هي تلك؟: شرط أن يكون صحيحاً. شرط أن تتبع الوصايا العشر، شرط أن تتناسب مع القرآن، شرط أن تتناسب مع بوذا. إنها ليست حرية على الإطلاق!! الحرية بشكل أساسي وجوهري تعني أن بمقدورك أن تكون قادراً على القيام بكلا الأمرين، الصحيح والخاطئ.

والخطورة تكمن في أن القيام بالأمور الخاطئة يكون أسهل دوماً، ومن هنا ينجم الخوف. الخطأ أشبه بنزول الهضبة والصواب أشبه بصعودها. صعود الهضبة صعب، هو أمر مرهق، وكلما ارتقيت أكثر كلما كان أكثر إرهاقاً. لكن نزول الهضبة سهل جداً إذ ليس عليك القيام بشيء. الجاذبية سوف تقوم بكل شيء بالنيابة عنك. يمكنك فقط أن تتدحرج كحجر من على منطقة مرتفعة والحجر سوف يصل إلى أسفل القاع. لا ضرورة للقيام بأي شيء. لكن إن كنت ترغب في الارتقاء بالإدراك، إن كنت تريد الارتقاء في عالم الجمال، الحقيقة، النعيم، عندها تكون متلهفاً للوصول إلى أعلى نقطة ممكنة، وهذا صعب بشكل أكيد.

ثانياً: كلما ارتفعت أكثر كلما ازداد خطر السقوط، لأن الطريق يصبح أضيق وتصبح محاطاً من كل الجهات بالوديان المظلمة. جراء خطأ بسيط في خطوة تسقط في الهاوية، تختفي. لذلك يكون من المريح أكثر، ومن المناسب أن تسير على أرض مستوية بدون أن تزعج نفسك بالمرتفعات.

إن الحرية تعطيك الفرصة لكل من حالتي السقوط إلى مستوى الحيوانات أو الصعود إلى مستويات الملائكة. الحرية هي سلّم إحدى نهايتيه في الجحيم والأخرى تلامس الجنة. إنه السلّم نفسه والخيار هو خيارك، إن الاتجاه يتم اختياره من قبلك أنت.

بالنسبة لي، إن لم تكن حراً فإنك لن تستطيع استخدام عدم حريتك.

اللاحرية لا يمكن أن يساء استخدامها. السجين لا يستطيع أن يسيء استخدام حالته ـ إنه مقيد، إنه ليس حراً ليقوم بأي شيء. وتلك هي حالة كل الحيوانات الأخرى ماعدا الإنسان. إنها ليست حرة، لقد وُلِدَتْ لتكون نوعاً محدداً من الحيوانات وسوف يتحقق ذلك. في الواقع، الطبيعة بنفسها تحقق ذلك، غير مطلوب منها القيام بأي شيء.

ليس هناك من تحدٍ في حياة الحيوانات. الإنسان فقط عليه أن يواجه التحدي، التحدي العظيم. عدد قليل من الناس اختاروا أن يخاطروا، اختاروا أن يذهبوا إلى الأعلى، أن يكتشفوا ذراهم القصوى. فقط القليل من الناس ـ بوذا، المسيح ـ فقط القليل، يمكن تعدادهم على أصابع اليد.

لماذا لم تختر البشرية جمعاء أن تصل إلى الحالة نفسها من السعادة المطلقة التي وصل إليها بوذا، الحالة نفسها من الحب كما هي عند المسيح، الحالة نفسها من الاحتفالية التي وصل إليها كريشنا؟ لماذا؟ لسبب بسيط جداً، لأنه أمر خطير حتى أن تطمح إلى ذلك المستوى من الرقي. من الأفضل حتى ألا تفكر بأمر كهذا، وأفضل طريقة حتى لا تفكر بأمر كهذا هي أن تتقبل أنه ليس هناك من حرية وأن مصيرك محتوم سلفاً، هناك فقط قدر مكتوب ومقرر لك حتى قبل أن تولد وعليك فقط أن تنجز ما كان مقرراً.

يمكن فقط أن يساء استعمال الحرية بينما العبودية لا يساء استخدامها. هذا ما يجعلك ترى كل هذا الكم من الفوضى في العالم هذه الأيام بشكل لم يحدث من قبل، وذلك لسبب بسيط هو أن الإنسان لم يكن حراً بهذا الشكل. إنك ترى المزيد من الفوضى في أمريكا لسبب بسيط هو أنهم يستمتعون بأعلى مستوى من الحرية، وبشكل لم يتم الاستمتاع به في أي مكان آخر في العالم في أية فترة من التاريخ. أينما تواجدت الحرية اندلعت الفوضى. لكن تلك الفوضى هي أفضل لأنه من خلال الفوضى فقط تولد النجوم.

أنا لا أقدم لك أية قواعد لأن كل قاعدة تكون مناسبة لنوع من العبودية. أنا لا أعطيك أي نوع من الوصايا لأن أية وصايا تعطى لك من شخص آتٍ من الخارج سوف تسجنك، سوف تستعبدك. أنا أعلمك فقط كيف تكون حراً وبعدها أتركك لذاتك، لتقوم بما عليك القيام به بحريتك. إن كنت ترغب بالتدني إلى ما دون الحيوانات سيكون ذلك خيارك، يسمح لك تماماً بالقيام بذلك لأن هذه هي حياتك، إن قررت أن تحيا بتلك الطريقة يكون ذلك حقاً وامتيازاً لك. لكن إن تفهمت معنى الحرية وقيمتها فلن تسقط إلى ما دون الحيوانات، سوف تبدأ بالارتقاء أعلى من الملائكة.

الإنسان ليس كينونة، إنه جسر، إنه جسر ما بين حالتين من الخلود: جسر بين الحيوانية والألوهة، بين اللاوعي والوعي. لكي ينمو وعيك وتنمو حريتك دع كل خطوة تنبع من خياراتك الشخصية. قم ببناء نفسك وتحمّل كامل المسؤولية عن هذا الموضوع.

الفصل العاشر

العبودية الأساسية

الجنس هو الغريزة الأكثر قوة لدى الإنسان. لقد فهم السياسيون ورجال الدين منذ البداية أن الجنس هو أكبر طاقة يمكن أن تحرك الإنسان ويجب تحجيمها أو بترها. إن مُنح الإنسان حرية كاملة في الجنس فلن يكون هناك إمكانية للسيطرة عليه. سيكون من المستحيل أن تصنع منه عبداً.

ألم تر كيف يتم هذا الأمر؟ عندما تريد أن تربط الثور ليجر عربة ماذا تفعل؟ تخصي الثور، أي تقوم بتدمير طاقته الجنسية. هل رأيت الفرق ما بين ثور الفلاحة وثورالتخصيب (الفحل)؟ ما الفرق؟ ثور الفلاحة هو حالة مسكينة، إنه كالعبد الذليل. بينما الثور الفحل هو حالة جمالية، حالة تشير إلى المجد، فخامة عظيمة. راقب الفحل وهو يمشي، إنه يسير كإمبراطور! راقب ثور الفلاحة وهو يجر العربة.

الأمر نفسه يحدث مع الإنسان. إن غريزته الجنسية قد أُضعِفت وقُطِعَت وأُعِيقت، إن الإنسان ليس موجوداً كالفحل الآن، إنه يعيش حالة ثور الفلاحة، وكل إنسان يجرّ الكثير من العربات. انظر وسوف تشاهد خلفك العربات وسوف ترى أنك مربوط إليها.

لماذا لا تستطيع أن تربط الثور غير المخصي إلى عربة؟ الثور قوي جداً، إن رأى بقرة تمر قربه فسوف يرميك ويرمي العربة ويتحرك باتجاه البقرة! إنه لن يهتم بك أبداً، لن يسمع. سيكون من المستحيل السيطرة على الثور. إن طاقة الجنس هي طاقة الحياة، هي طاقة غير مسيطر عليها، والسياسيون ورجال الدين غير مهتمين بك، هم مهتمون بتوجيه طاقتك باتجاهات أخرى. هناك ميكانيكية محددة خلف هذا ـ يجب أن تكون مفهومة.

إن قمع الجنس، إن تحويل الجنس إلى (تابو) هو الأساس وراء عبودية الإنسان.

ليس باستطاعة الإنسان أن يكون حراً ما لم يكن هناك حرية جنسية بالنسبة له. لا يستطيع الإنسان أن يكون حراً بشكل حقيقي حتى يسمح لطاقته الجنسية بالنمو بشكل طبيعي.

وهنا سأعرض لكم الحيل الخمس التي تحيل الإنسان إلى عبد، إلى حالة البشاعة، حالة العجز.

الحيلة الأولى:

اترك الإنسان ضعيفاً قدر الإمكان إن كنت تريد السيطرة عليه. إن رغب رجال الدين أو السياسيون بالسيطرة عليك فعليك أن تبقى ضعيفاً قدر الإمكان، وأفضل طريقة لتحافظ على الإنسان ضعيفاً هي ألا تعطي الحب حرية كاملة. الحب غذاء، لقد اكتشف علماء النفس أن الطفل الذي لا يُعطىَ الحب ينكمش

على نفسه ويصبح ضعيفاً. يمكنك أن تعطيه حليباً، يمكنك أن تعطيه الدواء، يمكنك أن تعطيه أي شيء آخر، لكن لا تعطه الحب فقط. لا تعانقه، لا تقبله، لا تقربه من جسدك الدافئ، عندئذٍ سيصبح الطفل هزيلاً ويضعف من سيء إلى أسوأ. تصبح فرصه في الموت هي أكبر من فرصه في الحياة.

ماذا حدث؟ لماذا؟ مجرد المعانقة، القبل وحرارة الجسد، بها سيشعر الطفل بطريقة ما بأنه يتغذى، بأنه مقبول، محبوب، ذو فائدة. يبدأ الطفل بالشعور بأن له قيمة وأن هناك معنى معيناً لوجوده في الحياة.

منذ الطفولة المبكرة نجعلهم جائعين لأننا لا نعطي الحب بالقدر الذي يحتاجونه فيه. بعد ذلك نحاول أن نجبر الشاب والشابة على ألا يقعا بالحب إلا بعد الزواج. عند سن الرابعة عشرة يصبحان ناضجين جنسياً. لكن ثقافتهما قد تأخذ وقتاً أطول من ذلك، ربما بعشر سنوات حتى يصبحا في الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين ـ عندها سوف يحصلان على شهادة الماجستير أو الدكتوراه. إذن نحن نحاول أن نجبرهما على ألا يحبا.

تصل الطاقة الجنسية إلى قمتها في الثامنة عشرة من العمر. لن تتكرر تلك الفرصة للرجل ليكون فحلاً، ولن تتكرر تلك الفرصة للمرأة لتكون قادرة على أن تصل إلى أعظم نشوة جنسية، كما هي الحالة في سن الثامنة عشرة. لكن نحن نجبرهم على أن لا يمارسوا الحب ـ يبقى الشباب والبنات منفصلين بعضهم عن بعض ونضع بينهم كل الآليات المعيقة، الشرطة و القضاة، إدارة المدرسة، مستشارين ومدراء. الجميع يقفون هناك بينهم، إنهم يمنعون الصبي عن الفتاة ويمنعون الفتاة عن الصبي. لماذا؟ لماذا كل هذا الاهتمام؟ إنهم يحاولون قتل الثور الفحل وخلق الثور الذي يجر العربة.

عندما تصبح في الثامنة عشرة تكون في ذروة نشاطك وطاقتك الجنسية، طاقة الحب. وعندما تتزوج تكون في الخامسة والعشرين، السادسة والعشرين، السابعة والعشرين...... وهذا السن يرتفع باستمرار.

كلما ازداد المستوى الثقافي للبلد كلما تطلب ذلك انتظاراً أطول لأن هناك الكثير لتتعلمه، هناك عمل يجب أن تجده. وعندما تتزوج تكون طاقتك الجنسية في طور الهبوط. بعد ذلك تحب لكن هذا الحب لن يصبح حباً متقداً جداً، لن يصل إلى النقطة التي يتلاشى فيها الناس عادة، إنه يبقى في طور غير الحماسي. وعندما لا تستطيع أن تحب بشكل كامل فإنك لن تستطيع أن تحب طفلك لأنك لا تعرف كيف تحب. حين لا تكون قادراً على أن تعرف ذروة الحب، كيف يمكنك أن تعلم أطفالك؟ كيف تستطيع أن تعلم أطفالك كيف يصلون إلى الذروة؟

على مر العصور، حُرِمَ الإنسان من الحب كي يبقى ضعيفاً.

ثانياً:

الاستمرار في ترك الرجل جاهلاً ومغروراً قدر الإمكان، وبالتالي يكون من السهل خداعه. وإن كنت تريد أن تخترع نوعاً من الحماقة ـ وهذا ضروري من أجل رجال الدين والسياسيين ومؤامرتهم ـ عندها فإن أفضل شيء لهذا هو ألا تسمح للرجل أن يمضي في الحب بحرية. إن ذكاء الإنسان يتهاوى بدون وجود الحب. ألم تراقب هذا الأمر؟ عندما تقع في الحب، فجأة فإن كل قدراتك تكون في الذروة، تكون في تصاعد. منذ لحظة كنت تبدو سئماً، وبعد أن تلتقي بامرأتك يثور فجأة في كيانك فرح عظيم، إنك تشتعل. عندما يكون الناس في حالة الحب يكون أداؤهم في أفضل حالاته. عندما يختفي الحب أو عندما لا يتواجد يكون أداؤهم في حده الأدنى.

أعظم الناس ذكاء هم أكثر الناس جنسية. يجب أن نفهم هذا الأمر لأن طاقة الحب هي الذكاء أساساً. إن أنت لم تستطع أن تحب فإنك تكون منغلقاً وبارداً ولا تستطيع التدفق. بينما في حالة الحب يتدفق الإنسان، يشعر بالاطمئنان

والثقة لدرجة تجعله يشعر أن بإمكانه أن يلمس النجوم. هذا هو السبب الذي يجعل امرأة ما إلهاماً عظيماً ويجعل رجلاً ما إلهاماً عظيماً. عندما تُحَب المرأة تصبح أكثر جمالاً وبشكل فوري، لحظي!! منذ برهة مضت كانت عبارة عن مجرد امرأة عادية والآن عندما أمطر الحب عليها ـ لقد اغتسلت في طاقة جديدة كلياً، هالة جديدة بدأت تنمو حولها. إنها تمشي برشاقة أكبر، أصبحت خطواتها تحتوي شيئاً من الرقص. عيناها تتمتعان بجمال مفرط الآن، الوجه يتوهج، إنها تضيء. والأمر نفسه يحدث للرجل.

عندما يقع الناس بالحب يكون أداؤهم أفضل. وعندما لا تسمح بالحب ويصيرون في الدرجة الأدنى، إنهم أغبياء، جاهلون لا يتعبون أنفسهم من أجل الفهم، وعندما يصبح الناس جاهلين وأغبياء ومخدوعين فإن من السهل جداً التلاعب بهم.

عندما يُقمَع الناس جنسياً وعاطفياً يبدؤون بالتوق للحياة الأخرى. يفكرون بالجنة والفردوس، إنهم لن يفكروا بخلق فردوسهم هنا، الآن. عندما تكون مغرماً يكون الفردوس هنا، من سيهتم بالذهاب إلى الكاهن؟ من يهتم إن كان هناك فردوس؟ أنت في الفردوس سلفاً! أنت لم تعد مهتماً. لكن عند كبح طاقة الحب لديك تبدأ بالتفكير: "لا شيء هنا، لا شيء سوى الفراغ. لا بد من وجود هدف ما في مكان ما..."، عندها تذهب إلى رجل الدين وتسأله عن الجنة فيرسم لك صورة جميلة عنها. لقد تم قمع الطاقة الجنسية لديك حتى تصبح مهتماً بالحياة الأخرى. وعندما يصبح الناس مهتمين بالحياة الأخرى سيصبحون بشكل طبيعي غير مهتمين بهذه الحياة.

إن هذه الحياة هي الحياة الوحيدة. إن الحياة الأخرى محتجبة في هذه الحياة! وهي ليست ضد هذه الحياة، إنها ليست بعيدة عن هذه الحياة بل محتواة فيها. ادخل عمق هذه الحياة ـ ستجدها! ادخل عمق هذه الحياة

وسوف تجد الحياة الأخرى أيضاً. إن الله مكنون في هذا العالم، الله مكنون هنا الآن. إن أُغرِمت، سوف تكون قادراً على أن تشعر به.

السر الثالث:

اترك الإنسان مرعوباً قدر الإمكان. الطريقة الأكيدة لفعل ذلك هي ألا تسمح له بأن يحب لأن الحب يدمر الخوف ـ "الحب يطرد الخوف." عندما تكون مغرماً لن تكون خائفاً، عندها يمكنك أن تقف ضد العالم كله، أن تشعر بقدرة لا نهائية للقيام بأي شيء. لكن عندما لا تكون مغرماً فإنك تخاف من أصغر الأشياء، تصبح أكثر اهتماماً بالحماية والأمان. عندما تكون مغرماً فإنك تهتم أكثر بالمغامرة والاكتشاف. لم يُسمح للناس بالحب لأن تلك هي الطريقة الوحيدة لجعلهم خائفين، وعندما يصبحون خائفين يبقون جاثين على ركبهم، ينحنون لرجل الدين ولرجال السياسة.

إنها لمؤامرة كبيرة ضد الإنسانية. إنها مؤامرة كبيرة ضدك! إن رجال الدين ورجال السياسة هم أعداؤك لكنهم يتظاهرون بأنهم في خدمة المجتمع. هم يقولون: "إننا هنا لخدمتك، لمساعدتك في الحصول على حياة أفضل. نحن هنا لنخلق لك حياة أفضل." وهم المدمرون للحياة بحد ذاتها.

الأمر الرابع:

أترك الإنسان تعيساً قدر الإمكان لأن الإنسان التعس هو إنسان مشتت، الإنسان التعس ليس لديه قيمة لذاته، إنه يدين ذاته، يشعر بأنه لا بد أنه ارتكب خطأً ما. ليس لديه أرض مستقرة، بإمكانك أن تجره من هنا إلى هناك، بإمكانك تحويله إلى قطعة خشب بالية. إنه دائماً قابل لأن يؤمر، قابل لتلقي

الأوامر، أن ينظم ويضبط، لأنه يعرف نفسه كما يلي: " إن كنت وحدي فسأكون تعيساً ببساطة، ربما يمكن لشخص ما آخر أن ينظم لي حياتي." إنه عبارة عن ضحية جاهزة.

خامساً:

اترك الناس بعيدين بعضهم عن بعض بحيث لا يمكنهم الالتفاف من أجل قضية ما قد لا تنال رضا رجال الدين ورجال السياسة. اترك الناس منفصلين بعضهم عن بعض ولا تتركهم يحظون بالكثير من الحميمية والمودة. عندما يكون الناس منفصلين، وحدانيين وبعيدين بعضهم عن بعض، لن يتمكنوا من التلاحم. وهناك الكثير من الخدع لتركهم منفصلين.

مثال على ذلك: إن كنت تمسك بيد رجل ـ أي أنت رجل وتمسك بيد رجل وتتمشيان معاً في الطريق، تغنيان على سبيل المثال ـ فسوف تشعر بالذنب، لأن الناس سوف ينظرون ويشيرون إليكما على أنكما شخصان شاذان أو ما شابه ذلك. غير مسموح لرجلين أن يكونا سعيدين معاً. غير مسموح لهما أن يمسك أحدهما بيد الآخر، ليس مسموحاً أن يعانق أحدهما الآخر. يحكم عليهما بأنهما شاذان، يظهر الخوف. إن جاء صديق لك وأخذ يدك بيده سوف تنظر حولك: "هل ينظر أحد إلينا أم لا؟" وستكون مستعجلاً لتفلت يدك من يده.

تقوم بالمصافحة بسرعة كبيرة. هل لاحظت ذلك؟ إن لمس أحدكما يد الآخر وصافحها فسينتهي أمركما. لم تطُل المصافحة، ولم يمسك أحدكما بيد الآخر ولم يعانق أحدكما الآخر لأنكما خائفان. هل تتذكر أن والدك قد عانق والدتك يوماً؟ هل تتذكر أن والدتك عانقتك بعد أن أصبحت بالغاً جنسياً؟ لماذا لم تفعل؟ لقد خُلق الخوف. شاب بالغ يعانق والدته؟ ربما نمت حالة جنسية فيما بينهما، فكرة

ما، خيال ما. لقد خُلق الخوف. الأب وابنه، لا، الأب وابنته، لا. الأخ واخته لا، الأخ وأخوه ـ لا!

يتم حفظ الناس في صناديق منفصلة تحيط بهم جدران كبيرة. كل شخص مصنف بتصنيف ما وهناك الكثير من الحدود. نعم، يوماً ما وبعد خمس وعشرين سنة من هذه التدريبات سوف يسمح لك بأن تمارس الجنس مع زوجتك. لكن الآن قد توغَّل التدريب عميقاً في نفسك، وفجأة لم تعد تعرف ما عليك أن تفعل. كيف تحب؟ أنت لم تتعلم اللغة. يبدو الأمر وكأن شخصاً ما لم يُسمَح له بالكلام لمدة خمس وعشرين سنة. اسمع فقط، لمدة خمس وعشرين سنة لم يكن يُسمَحُ له بنطق كلمة واحدة، ثم وفجأة وضعته على منصة وقلت له: "قدم لنا محاضرة عظيمة." ما الذي سيحدث؟ سوف يسقط، ربما يسقط في مكانه مغشياً عليه. ربما يموت..... خمس وعشرون سنة من الصمت والآن، وفجأة، يتوقع منه أن يقدم محاضرة عظيمة؟ لا يمكن.

إن هذا ما يحث للناس! خمس وعشرون سنة من مضادات الحب، من الخوف، وبعدها فجأة تصبح مخولاً قانونياً ـ تم منحك الشهادة، والآن تستطيع أن تحب تلك المرأة. "هذه زوجتك وأنت زوجها ومسموح لك أن تحب." لكن أين تذهب تلك السنوات الخمس والعشرون من التدريب الخاطئ؟ ستكون تلك السنوات هنا.

نعم، سوف تحب........ سوف تقوم بمبادرة. لكنه لن يكون انفجارياً، لن يكون شبيهاً بالرعشة، سيكون ضئيلاً جداً. وهذا ما يجعلك محبطاً بعد أن تمارس الحب ـ تسع وتسعون بالمئة من الناس يحبطون بعد ممارسة الحب، يصبحون محبطين أكثر من أي إحباط سابق لهم في حياتهم، ما يجعلهم شعورهم يتساءلون عن تلك الحالة: "ماهذا؟ لم يكن ذلك شيئاً! إنه ليس صحيحاً!!"

إن رجال الدين والسياسيين قد رتبوا لجعلك غير قادر على الحب، وبعدها أتوا ليعظونا بأنه لا شيء هام في الحب. وبالتأكيد ستبدو موعظتهم صحيحة،

ستبدو موعظتهم متطابقة تماماً مع تجربتك. لقد خلقوا في البداية تجربة من التفاهات ومن الإحباطات ـ بعدها أتت تعاليمهم ـ وكلتاهما تبدوان وكأنهما منطقيتان معاً. إنها أعظم خدعة تم نسجها على الإنسان.

تلك الأمور الخمسة يمكن أن تدار من خلال شيء واحد، إنه التابو المقام ضد الحب. ومن الممكن أن تنجز كل تلك الأهداف الموضوعية عبر منع الناس من حب بعضهم البعض بطريقة أو بأخرى. كما أن التابو قد تمت إدارته بطريقة علمية. إن هذا التابو هو عبارة عن عمل فني عظيم ـ تم استخدام مهارة ودهاء عظيمين فيه. إنه تحفة فنية! يجب أن نفهم هذا التابو.

أولاً، هوغير مباشر، مختفٍ وغير ظاهر، لأنه حينما يصبح التابو ظاهراً فإنه لايعمل. يجب أن يكون التابو مخفياً بشكل جيد بحيث لا تعرف كيف يعمل. يجب أن يكون التابو مختفياً لدرجة لا تستطيع فيها أن تتخيل إمكانية وجود أشياء تعاكسه أو تعارضه. على التابو أن يدخل إلى اللاوعي وليس إلى الوعي. كيف نجعل هذا التابو دقيقاً جداً وغير مباشر؟

تكون الخدعة على الشكل التالي: أولاً الاستمرار بتعليم الناس بأن الحب عظيم. إن الناس لن يفكروا بأن رجال الدين ورجال السياسة هم ضد الحب. تستمر بتعليم أن الحب عظيم وأنه الشيء السليم الصحيح وبعدها لا تسمح بأية حالة يمكن أن يحدث الحب بها. لا تترك له الفرصة. تابع التعليم بأن الطعام عظيم والأكل فيه متعة عظيمة، "عليك بالأكل بأفضل شكل ممكن" ـ لكن لا تزود الناس بأية كمية من الطعام. اترك الناس جوعى وتابع الحديث عن الحب. إن جميع رجال الدين يتابعون الحديث عن الحب. إنه ممجّد بمقدار أي شيء آخر تماماً بعد الإله، وهناك إنكار لأي إمكانية لحدوثه. يشجعونه بشكل مباشر ويقطعون جذوره بشكل غير مباشر. تلك هي التحفة الفنية.

ليس هناك أي رجل دين يتحدث عن كيفية حدوث الأذى. ويشبه ذلك أن تستمر بقول عبارة لشجرة: "كوني خضراء، تبرعمي، وأينعي." هذا بينما أنت

مستمر بقطع جذور الشجرة بشكل لا يمكن لها أن تصبح خضراء. وعندما لا تصبح الشجرة خضراء يمكنك القفز عليها قائلاً، "اسمعي! أنت لا تستمعين. أنت لا تتبعيننا. سوف نتابع القول بالطريقة السابقة نفسها "اخضري، تبرعمي، واينعي......" فيما أنت مستمر بقطع الجذور.

لقد تم إنكار الحب بشكل كبير وهو من أندرِ الأشياء في العالم ولا يجب إنكاره. إن كان بإمكان الشخص أن يحب خمسة أشخاص فعليه أن يحب الخمسة. ولو كان باستطاعة المرء أن يحب خمسين فعليه أن يحب الخمسين. إن كان باستطاعة المرء أن يحب خمسمئة فعليه أن يفعل ذلك. إن الحب نادر جداً بحيث يكون من الأفضل أن تنشره قدر استطاعتك. لكن هناك خدعاً كبيرة ـ أنت محصور في زاوية ضيقة، ضيقة جداً. ليس باستطاعتك أن تحب إلا زوجتك، بإمكانكِ أن تحبي زوجكِ فقط. تستطيع أن تحب هذا الشخص فقط.. إن الشروط كثيرة جداً. يبدو الأمر وكأن هناك قانوناً يقول بأنك تستطيع التنفس فقط عندما تكون زوجتك معك، تستطيعين التنفس فقط عندما يكون زوجك معك، بعدها سيكون التنفس مستحيلاً! بعدها سوف تموت. عليك أن تتنفس أربعاً وعشرين ساعة في اليوم.

كن محباً.

بعد ذلك هناك خدعة أخرى. إنهم يتحدثون عن "حب أعلى" وقد دمروا الأدنى. لقد قالوا بإنه يجب علينا إنكار الحب الأدنى، الحب الجسدي سيء، بينما الحب الروحي جيد.

هل سبق لك أن رأيت أي روح بدون جسد؟ هل سبق لك أن رأيت بيتاً بدون أساس؟ الأدنى هو أساس الأعلى. الجسد هو مقر إقامة الروح التي تعيش بداخل الجسد، تعيش مع الجسد. أنت تصبح روحاً جسمانية وجسداً روحانياً ـ إنكما معاً. الأدنى والأعلى لا ينفصلان، إنهما درجات للسلّم نفسه. لا يجب إنكار الأدنى كما يجب تحويل الأدنى إلى الأعلى. الأدنى جيد ـ إن أنت علِقت بالأدنى

يكون الخطأ خطأك وليس الخطأ بالأدنى. ليس هناك من خطأ في الدرجات السفلى من السلَّم. إن أنت علِقت بها تكون قد علِقت، إن المشكلة فيك.

تحرك.

الجنس ليس خطأ. أنت المخطئ إن كنت عالقاً بهذا المكان. تحرك نحو الأعلى فهو ليس معارضاً للأدنى، الأدنى يجعل هناك إمكانية للأعلى لأن يتواجد.

وتلك الخدعة قد خلقت العديد من المشاكل الأخرى. في كل مرة تكون فيها مغرماً فإنك بطريقة ما سوف تشعر بالذنب، إن الشعور بالذنب يظهر. عندما يكون هناك شعور بالذنب فإنه ليس باستطاعتك أن تتحرك بشكل كامل باتجاه الحب ـ إن الإحساس بالذنب يمنعك، إنه يمسك بك. حتى وأنتَ تمارس الجنس مع زوجتك أو أنتِ مع زوجك فإن هناك إحساساً بالذنب. أنت تعرف أن هناك إثماً، أنت تعي أنك ترتكب خطأ ما. "القديسون لا يفعلون ذلك" ـ أنت آثم. ليس باستطاعتك أن تتحرك بكليتك حتى عندما يسمح لك بشكل سطحي أن تحب زوجتك. إن رجل الدين يختبئ خلفك في إحساسك بالذنب، إنه يجرك من هناك، يحركك على هواه.

عندما يظهر الإحساس بالذنب تبدأ بالشعور بأنك مخطئ، تفقد قيمتك الذاتية، تفقد احترامك لذاتك وتظهر مشكلة جديدة، عندما يكون هناك إحساس بالذنب تبدأ بالتظاهر. إن الأمهات والآباء لا يسمحون للأولاد بأن يعرفوا بأنهم يمارسون الحب، إنهم يتظاهرون. يتظاهرون بأن الجنس غير موجود. إن ادعاءاتهم سوف تُعَرفُ من قبل الأولاد عاجلاً أم آجلاً. عندما يقترب الأطفال من معرفة شيء ما حول ما كان الأهل يدّعونه، يفقد الأطفال كل الثقة. يشعرون بالخيانة، يشعرون بالخداع.

يقول الأباء والأمهات إن أطفالهم لا يحترمونهم. إنهم هم السبب في ذلك، كيف لهم أن يحترموكم؟ لقد خدعتموهم بكل الطرق الممكنة، كنتم غير شرفاء معهم، كنتم وضيعين. كنتم تقولون لهم ألا يقعوا في الحب ـ "احترس!" بينما أنتم

تمارسون الحب على مدار الوقت. إن هذا اليوم سوف يأتي عاجلاً أم آجلاً، عندما سيدرك الأولاد أنه حتى والدهم، حتى والدتهم لم تكن صادقة معهم. كيف لهم أن يحترموهم؟

أولاً، الإحساس بالذنب يخلق التظاهر. بعد ذلك تخلق حالة التظاهر حالة النفور أو الابتعاد عن الناس. حتى الطفل، طفلك أنت، لن يشعر بالتناغم معك. إن هناك عائقاً، هو تظاهرك بما ليس فيك. يوماً ما سوف تعرف بأنك لم تكن إلا شخصاً يتظاهر، وكذلك الآخرون. إن كان كل شخص يتظاهر فكيف يمكنكم التواصل؟ عندما يكون الجميع مزيفين كيف يمكنكم التواصل؟ كيف يمكن لك أن تكون ودوداً عندما يكون الغش والخداع في كل مكان؟ إنك تصبح متألماً جداً من الواقع، تشعر بمرارة. أنت ترى الواقع كله وكأنه ورشة عمل الشيطان.

ولكل شخص هناك وجه مزيف، ليس هناك من شخص حقيقي. كل شخص يحمل أقنعة ولا أحد يُظهِرُ وجهه الحقيقي. أنت تشعر بالذنب، تشعر بأنك تتظاهر وأنت تعرف أن كل شخص آخر يتظاهر.

كل شخص يشعر بالذنب وكل شخص قد أصبح كالجرح المتقرح. الآن بات من السهل جداً أن تحول هؤلاء الأشخاص إلى عبيد ـ بائعين، مدراء محطات، مدراء مدارس، معاونين مدراء، مساعدي جباة، وزراء حكومات، رجال دين. الآن بات من السهل جداً أن تلهيهم، إنك تلهيهم عن جذورهم.

الجنس هو الجذور، من هنا أتى أسم (MULADHAR) في لغة التانترا واليوغا. (MULADHAR) تعني طاقة الجذر.

لقد سمعت.......

كانت ليلة عرسها والآنسة المغرورة جين كانت تؤدي واجباتها الزوجية للمرة الأولى.

قالت لعريسها "يا سيدي، هل هذا هو ما يسميه عامة الناس ممارسة الحب؟"

أجابها السيد ريجينالد: "نعم، هذا هو يا سيدتي"، وعاد إلى حالته السابقة.

بعد فترة صرخت الليدي جين بغضب: "إنه أفضل من أن يمارسه الناس العامة!"

إن عامة الناس لم يسمح لهم بممارسة الحب بشكل حقيقي: "إنه أفضل من أن يمارسه الناس العامة." لكن المشكلة هي أنه عندما تُسمِمُ عالم العامة كله فإنك تُسَمِمُ نفسك أيضاً. إن سممتَ الهواء الذي يتنفسه عامة الناس فإن الهواء الذي يتنفسه الملك سيكون مسموماً. لا يمكنك الفصل، فالكل واحد. عندما يقوم رجل الدين بتسميم عامة الناس، في النهاية سوف يتسمم هو أيضاً. عندما يسمم السياسي الهواء المحيط بعامة الناس، في النهاية هو يتنفس الهواء نفسه ـ ليس هناك من هواء آخر.

كان قسيس وأسقف جالسين متقابلين في عربة قطار في رحلة طويلة. عندما دخل المطران، وضع القسيس من يده جانباً نسخة من مجلة (البلاي بوي)، وبدأ يقرأ مجلة الكنيسة(The Churches Times) . أهمل المطران القسيس وتابع عمله في حل الكلمات المتقاطعة الموجودة في مجلة الكنيسة. وساد الصمت.

بعد برهة أراد القسيس أن يفتح حديثاً. وعندما بدأ المطران بحك رأسه بحثاً عن جواب ما "...الة ـ ...الة" حاول القسيس مجدداً. "هل أستطيع مساعدتك يا سيدي؟"

"ربما. أنا عالق عند كلمة واحدة. ما هو الشيء المؤلف من أربعة حروف، وآخر ثلاثة منها هي (ا،ل،ـة) ومعنى الكلمة هو (أنثوي أصلاً؟)

"قال القسيس بعد فاصل من الصمت، " الكلمة هي (خالة)."

"طبعاً، طبعاً!" قال المطران. أيها الشاب هل لك أن تعيرني الممحاة؟"

عندما تقوم بكبت أشياء من على السطح، تذهب إلى الداخل، إلى اللاوعي. إنها هناك. إن الجنس لم يُدَمَّر ـ لحسن الحظ. إنه لم يُدَمَّر، لقد تم تسميمه

فقط. لا يمكن تدميره، إنه طاقة الحياة. لقد أصبح ملوثاً، ومن الممكن أن تتم تنقيته.

إن مشاكل حياتك يمكن أن تختزلها بشكل أساسي إلى مشكلتك الجنسية. بإمكانك أن تتابع العمل على حل بقية مشاكلك لكن لن تكون قادراً على حلها لأنها ليست المشاكل الحقيقية. وإن حللت مشكلتك الجنسية، فسوف تختفي كل المشاكل، لأنك حللت المشكلة الأساسية. لكنك تخاف حتى من مجرد النظر إليها.

الأمر بسيط. إن كان باستطاعتك أن تنحي شروطك جانباً فسوف يكون الأمر بسيطاً. إنه ببساطة هذه القصة.

عانس محبطة سببت مشكلة للشرطة. فهي تستمر بالاتصال بالشرطة قائلة إن هناك رجلاً تحت السرير. لقد أُرسلت أخيراً إلى مشفى الأمراض العقلية، حيث أعطوها الأدوية اللازمة وبعد بضعة أسابيع أتى الدكتور لمقابلتها لتحديد ما إذا كانت قد تماثلت للشفاء.

قال الدكتور، "سيدة روستيفان، هل ترين رجلاً تحت السرير الآن؟"

أجابت: "لا، لا أرى رجلاً، لكن عندما أصبح الدكتور جاهزاً لتوقيع قرار خروجها من المشفى قالت، "الآن يمكنني أن أرى اثنين."

أخبر الدكتور طاقم المشفى أن هناك نوعاً واحداً حقيقياً من الحقن سوف يشفي مرضها، وهو ما يدعى (العذرية الخبيثة). اقترح الدكتور أن يرتب وجودها في غرفة نومها مع (دان الكبير)، نجار المستشفى.

تم إحضار (دان الكبير) وقيل له ما هي طبيعة مرض المرأة، وأنه سيتم احتجازه في الغرفة معها لمدة ساعة. قال إن هذا الأمر لن يحتاج إلى كل تلك المدة، وبينما تجمع فريق العمل المتشوق على منبسط الدرج... سمعوا صوتها يقول: "لا، توقف، يا دان. إن أمي لن تسامحني!"

"أوقفي الصراخ، يجب أن يتم هذا في وقت ما. كان يجب أن يتم منذ سنوات!"

"خذ ما تريد بالقوة إذاً، إنك وحش!"

"إنه فقط ما كان سيفعله زوجك لو أنك تزوجت."

لم يستطع المسعفون الانتظار واقتحموا الغرفة.

"لقد شفيتها!" قال النجار.

"لقد شفاني!" قالت الآنسة روستيفان.

لقد قام بقطع قوائم السرير

أحياناً يكون العلاج سهلاً. بينما أنت تتابع القيام بالكثير من الأمور... لقد قام النجار بواجبه بشكل جيد ـ قام بقطع قوائم السرير وانتهى الأمر! أين يمكن الآن للرجل أن يختبئ؟

الجنس هو الأساس تقريباً لكل مشاكلك. ويجب أن يكون كذلك لأن هناك آلاف السنوات من التسميم. تحتاج إلى عملية تنقية عظيمة، استعادة حريتك، استعد حريتك لتحب. استعد حريتك لتكون، وبعدها لن تكون الحياة مشكلة. إنها لغز، نشوة، بركة.

الفصل الحادي عشر

احترس من البابوات (باباوات الكنيسة)

لقد سمعت أن البابا ألقى خطاباً أمام جيل الشباب في أميريكا اللاتينية، وقال: "أعزائي، احذروا من الشيطان، الشيطان سوف يغريكم بالمخدرات والكحول وبشكل خاص بالجنس قبل الزواج". الآن، من هو هذا الشيطان؟ أنا لم أقابله إطلاقاً وهو لم يغوني أبداً. أنا لا أعتقد أن أياً منكم قد التقى يوماً بالشيطان، أو أنه أغواكم.

إن رغباتك تأتي من طبيعتك وليس هي هناك شيطان يحاول إغواءك. لكنها استراتيجية الأديان التي تقوم على إلقاء المسؤوليات على شخصية وهمية هي الشيطان، بحيث لا تشعر أنك أصبحت مداناً. أنت أصبحت مداناً ولكن بشكل غير مباشر. البابا يقول لك إنك أنت الشيطان ـ لكنه ليس بالجرأة الكافية ليقول هذا، لذلك يقول إن الشيطان شخص آخر، وكالة منفصلة، وظيفتها الوحيدة هي إغواء الناس.

لكن هذا غريب جداً. لقد مرت ملايين السنوات ولم يتعب هذا الشيطان، إنه يتابع إغواءه للناس. وما الذي يجنيه مقابل ذلك؟ لم أجد في أي كتاب مقدس ما هي مكافأته عن كل ذلك الجهد الجهيد لكل تلك الملايين من السنين. من يدفع له مستحقاته؟ من الذي يوظفه؟ تلك هي المسألة الأولى.

لقرون طويلة كانت تقال تلك العبارات الكاذبة لأولئك الناس، ولم يحاولوا بأنفسهم ولو لمرة واحدة بأن يكونوا مسؤولين. إنه نوع من اللامسؤولية ـ أن يقال للناس، "كونوا حذرين، الشيطان يحاول أن يغويكم."

لقد وضع البابا الإغواء سلفاً في عقول الناس. ربما لم يكونوا قد فكروا حينها بأمر المخدرات أو الكحول أو الجنس خارج إطار الزوجية. لقد أتوا ليستمعوا إلى البابا، إلى عظة روحية. وهم سوف يذهبون إلى بيوتهم ليفكروا بالجنس خارج إطار العلاقة الزوجية، وكيف يمكنهم أن يقعوا في إغواء الشيطان، كيف يستطيعون إيجاد موزع المخدرات.

بالتأكيد لم يستطيع الشيطان إغواء المسيح. نحن نعلم أن الشيطان اعتاد أن يحاول إغواءه وقد قال للشيطان "ابتعد عن طريقي، أنا لن أقع في غوايتك".

لكن يبدو وكأن أولئك الناس مرضى عقليون. أنت لا تصادف الشيطان أبداً، كما أنك لا تكلمه بتلك الطريقة، "ابتعد من أمامي، ودعني أذهب في طريقي. لا تمنعني، لا تحاول إغوائي."

إن أنت قلت تلك الأمور وسمعك شخص ما، فسوف يقوم بإخبار أقرب مخفر شرطة، "يوجد هنا شخص يتحدث عن الشيطان، ولم نر الشيطان في أي مكان."

إنها شركة الحاخامات والكهنة. إنها نفس الشركة، مع فارق في التصنيف وفارق بالعلامة التجارية. لكن الشركة هي نفسها والعمل هو نفسه ـ إنهم يفسدون الإنسان، إنهم يدمرون براءة الإنسان. إن البابا قلق حول الجنس قبل

الزواج. إن الموضوع يدور في رأسه، وإلا فكيف أمكن لهذا القلق أن يخرج منه؟ وتلك هي أكثر النقاط تأكيداً لديه!.

لكن ما الخطأ في الجنس قبل الزواج؟ لقد كان مشكلة في الماضي، لكن هل دخلت في القرن العشرين أم لا؟ لقد كان مشكلة في الماضي لأنه كان من الممكن للجنس أن يؤدي إلى الحمل وإلى ولادة أطفال، وعندها المشكلة التي تظهر تكون في من سيقوم بتربية أولئك الأطفال. وبعدها يكون السؤال من سيتزوج من تلك الفتاة التي لديها الطفل؟ ستكون هناك تعقيدات وصعوبات. لا داعي لأن تكون هناك مشكلة ـ إنها تعيش في عقولهم فقط.

معظم الصعوبات الزوجية تظهر حقاً بسبب عدم الموافقة على الجنس قبل الزواج. يبدو الأمر وكأنه قد قيل لك بأنك لا تستطيع السباحة حتى تبلغ الواحد والعشرين من العمر: لا تسمح للشيطان بإغوائك، قبل البلوغ تكون السباحة بمثابة إثم. حسناً، يوماً ما سوف تبلغ الواحد والعشرين ـ لكن عندها لن تعرف كيف تسبح، وتفكيرك بأنك قد بلغت الواحد والعشرين ومسموح لك أن تسبح، يجعلك تقفز في النهر. إنك تقفز نحو موتك! لأنه ببلوغك الواحد والعشرين ـ ليس بالضرورة ـ وليس هناك من قانون ثابت جوهري يقول بأنك ستكون قادراً على السباحة. ومتى ستتعلم؟ ماذا يقول هؤلاء الأشخاص في الواقع؟ إنهم يقولون أنه قبل القفز بالنهر عليك أن تتعلم السباحة، إن نزلت النهر فإنك ترتكب خطيئة. لكن أين ستتعلم السباحة؟ في غرفة نومك، على فرشتك؟ من أجل السباحة عليك أن تذهب إلى النهر.

هناك قبائل بدائية، أكثر إنسانية وطبيعية بكثير، وفيها يكون الجنس قبل الزواج مدعوماً من قبل المجتمع، وهناك تشجيع للقيام به، لأن ذلك هو الوقت المناسب للقيام به. في عمر الرابعة عشرة تصبح الأنثى ناضجة جنسياً، في عمر الثامنة عشرة يصبح الذكر ناضجاً جنسياً. وهذا المستوى العمري آخذ بالانخفاض ـ طالما أن المجتمع الإنساني يرتقي علمياً وتكنولوجياً، إن الغذاء يصبح كافياً ويتم

الاعتناء بالصحة، وسن النضج مستمر بالانخفاض. في أمريكا تصبح الفتيات ناضجات بسن أبكر من الفتيات الهنديات. وبالطبع في أثيوبيا، كيف يمكن أن تصبح ناضجاً جنسياً؟ سوف تموت قبل ذلك بزمن طويل. في أمريكا انخفض السن من الرابعة عشرة إلى الثالثة عشرة أو الثانية عشرة، لأن الناس يكونون أكثر نشاطاً من الناحية الجسدية، لديهم غذاء أفضل، حياة أكثر راحة. لذلك يصبحون ناضجين جنسياً بعمر أقل.

في الهند الناس لا يصدقون ببساطة عندما يقرؤون في جريدة ما أن أمريكياً في التسعين سوف يتزوج. الهنود لا يصدقون هذا ـ ما الذي يحدث لهؤلاء الأميريكيين؟

عندما يصبح الهندي في التسعين من العمر يكون قد قبع في قبره منذ حوالي عشرين سنة، يمكن لروحه فقط أن تتزوج، ليس هو. وحتى وإن كانوا في أجسادهم، فإن زواج شخص في عمر التسعين من امرأة في السابعة والثمانين... أمر عظيم! هذا ببساطة لا يصدق! ويذهبان في شهر عسل.

إنهم متمرنون جيداً، لقد فعلوا هذا طوال حياتهم، مرات كثيرة ـ تزوجوا، ذهبوا في شهر عسل ـ إنهم محظوظون بشكل كافٍ بحيث أنهم وفي حياة واحدة عاشوا على الأقل خمس، ست، أو سبع حيوات.

إن الجنس قبل الزواج من أكثر الأشياء أهمية والتي يجب أن يتخذ المجتمع الإنساني قراراً بشأنها.

لن تكون الأنثى نشطة جنسياً أكثر مما هي عليه في عمر الرابعة عشرة، والذكر لن يكون نشطاً جنسياً كما يكون في عمر الثامنة عشرة. عندما تكون طبيعتهم في ذروتها، أنت تقوم بمنعهم. ومع الوقت يصبح الذكر في الثلاثين وتسمح له بأن يتزوج. لقد بدأت قدرته الجنسية بالتدهور سلفاً. من حيث طاقته الحياتية هو سلفاً في طور الضعف، إنه يفقد الاهتمام. من الناحية

البيولوجية هو متأخر سلفاً بأربع عشرة أو ست عشرة سنة ـ لقد تأخر كثيراً، فاته القطار منذ زمن طويل.

بسبب ذلك تظهر الكثير من المشاكل الزوجية، ويزدهر مستشارو الزواج، لأن كلا الطرفين قد تجاوزا ساعات الذروة، وتلك الساعات كانت في وقت كان باستطاعتهم أن يعرفوا فيه ما هي النشوة الجنسية. الآن قد قرؤوا عن تلك النشوة في الكتب وحلموا بها، وتخيلوا أشياء حولها، ولم تحدث. إنهم متأخرون جداً. البابوات يقفون عائقاً أمامهم.

أود أن أقول لكم: لا تقعوا تحت إغواء البابوات. هؤلاء هم الشياطين الحقيقيون. إنهم يفسدون حياتكم بالكامل. إنهم يفسدون حياة الملايين من البشر.

عندما تكون في الثلاثين من العمر لا تكون لديك الطاقة الجنسية بتلك الحدة، تلك النار المتقدة التي كانت فيك عندما كنت في الثامنة عشرة. لكن هذا كان في الوقت الذي كنت فيه عفيفاً، الوقت الذي لم تكن تخضع فيه لإغواء الشيطان. عندما يقوم الشيطان بإغوائك، قم بالصلاة لله، مكرراً (المانترا)[1]، هذا ما يفعله التيبيتيون.

متى رأيت تيبيتياً يتلو (المانترا) بسرعة، يمكنك التأكد من أنه تعرض لإغواء الشيطان، لأن تلك (المانترا) تستخدم من أجل جعل الشيطان يخاف. وكلما تلوتها بسرعة أكبر كلما هرب الشيطان بسرعة أكبر.

في الهند هناك كتاب صغير اسمه (hanuman chalisa). إنها صلاة للإله القرد (هانومان)، الذي يُظَنُّ بأنه عفيف ويحمي كل أولئك الذين يريدون أن يستمروا في عفتهم. لذلك فإن كل الناس الذين يريدون الحفاظ على عفتهم هم من عبدة (هانومان). ويمكن أن يُحفظ الكتاب الصغير بسهولة كبيرة. إنهم

---

[1]. المانترا: كلمة أو مجموعة من الكلمات أو العبارات الهندية يتم غناؤها أو ترتيلها كصلاة أو تعويذة، كما يؤمنون من خلال قراءتها بامتلاك السرّ أو الحصول على الطاقة الروحية. م.

يتابعون تكرار تلك الصلاة، ويستمر (هانومان) بحماية عفتهم، يتابع حمايتهم من الشيطان الذي يبقى دائماً حولهم، ينتظر الفرصة المناسبة ليمسك بهم ويغويهم.

لا أحد يغويك. إنها الطبيعة بكل بساطة وليس الشيطان. والطبيعة ليست ضدك. إنها معك بشكل كامل.

في مجتمع إنساني أفضل، يجب أن تبارك العلاقات قبل الزواج بنفس الطريقة التي تباركه بها بعض القبائل البدائية. والسبب بسيط جداً، أولاً: إن الطبيعة قد قامت بتحضيرك من أجل شيء ما، وعليك ألا تُحرَم حقك الطبيعي. إن لم يكن المجتمع جاهزاً لمساعدتك من أجل الزواج، فتلك مشكلة المجتمع، ليست مشكلتك، على المجتمع أن يجد طريقة ما. البدائيون قد وجدوا الطريقة، من النادر أن تصبح الفتاة حاملاً، وإن حملت، فإن الصبي والفتاة يتزوجان. وليس هناك أي عيب في هذا، ليس هناك من فضيحة وليس هناك من إدانة. بل على العكس، الكبار يباركون الثنائي الشاب لأنها أكدا أنهما قويان ونشيطان، والطبيعة قوية داخلهما، والجزء البيولوجي منهما فيه حياة أكثر من أي شخص آخر. لكن من النادر أن يحدث هذا.

ما يحدث هو أن كل صبي وكل فتاة قد تم تدريبهما. في المجتمعات البدائية التي زرتها، هناك قانون يقول إنه بعد سن الرابعة عشرة للإناث، وبعد سن الثامنة عشرة للذكور، لا يسمح لهم بالنوم في بيوتهم. لديهم قاعات عامة في منتصف القرية يذهب إليها كل البنات وكل الصبيان من أجل النوم. هكذا ليست هناك حاجة لهم لأن يختبئوا خلف سيارة، أو في مدخل بناء. هذا قميء - إنه المجتمع الذي يجبر الناس على أن يصبحوا لصوصاً ومخادعين وكاذبين. وأول تجربة جنسية يمرون بها تحدث في ظروف بشعة - وهم مختبئون، خائفون، مذنبون، عارفون بأن هناك إغواء من الشيطان. لن يستطيعوا الاستمتاع به عندما يكونون قادرين على الاستمتاع به لحد الإشباع واختباره في ذروته.

ما أقوله هو أنهم إن اختبروا الحالة في ذروتها، فإن الهوس بها سيصبح غير مهم لهم. وعندئذٍ، وخلال كل حياتهم لن ينظروا أو يعيروا انتباهاً إلى مجلة (بلاي بوي)، لن تكون هناك حاجة لذلك. ولن يحلموا بالجنس ولن تراودهم تخيلات جنسية. لن يقرؤوا روايات من الدرجة الثالثة ولن يتابعوا أفلام هوليود. كل ذلك يكون ممكناً لأن أحداً أنكر عليهم حقاً من حقوقهم المكتسبة منذ الولادة.

في المجتمعات البدائية هم يسكنون معاً في الليل. تفرض عليهم قاعدة واحدة: "لا تبق مع فتاة واحدة لأكثر من ثلاثة أيام، لأنها ليست ملكاً من أملاكك، وأنت لست ملكاً من أملاكها. عليك أن تتعرف على كل الفتيات، وعليها أن تتعرف على كل الفتيان قبل أن تختار شريك الحياة."

الآن يبدو هذا الأمر معقولاً تماماً. قبل أن تختار شريك حياتك يجب أن تمنح الفرصة للجميع بحيث يكون هناك تعارف بين كل النساء الموجودات وكل الرجال الموجودين. يمكنك أن ترى أن الزواج المدبر لم ينجح ولا ما تسميه زواج الحب. فشل النوعان، والسبب الرئيسي أنه في كلتا الحالتين ليس هناك خبرة لذلك الثنائي، إن الثنائي لم يمتلك الحرية الكافية لإيجاد الشخص المناسب.

ليس هناك من طريقة أخرى إلا الخبرة لإيجاد الشخص المناسب. أشياء صغيرة جداً يمكن أن تفسد الزواج. رائحة الشخص الآخر يمكن أن تكون كافية لتفسد زواجك بالكامل، إنه ليس بالأمر العظيم، لكنه كافٍ، في كل يوم... كم من الزمن يمكنك أن تتحمل ذلك؟ لكن بالنسبة لشخص آخر ربما كانت الرائحة مناسبة جداً، ربما كانت تلك الرائحة هي الرائحة التي يحبها.

دع الناس يحصلون على الخبرة فقط، خاصة الآن، حيث أن مشاكل الحمل لم تعد موجودة. أولئك البدائيون كانوا يشجعونك أن تقوم بذلك لآلاف من السنوات مضت، وحينها أيضاً، لم تحدث الكثير من المشاكل. مرة كل حين يحدث أن تصبح فتاة ما حاملاً، وعندها يمكن أن تتزوج، خلافاً لذلك لن يكون هناك مشكلة.

في تلك القبائل ليس هناك ما يسمى الطلاق، لأنك بالطبع، عندما تنظر إلى كل النساء، تكون مع كل النساء في القبيلة وبعدها تختار، ما هو الشيء الذي تريد تغييره؟

لقد اخترت من خلال التجربة، مما يعني أن مشكلة الطلاق في تلك المجتمعات ليست واردة. المسألة لم تُطرح. ولا يعني هذا أن الطلاق ممنوع، مسألة الطلاق نفسها لم تظهر بعد في تلك القبائل. لم يفكروا به حتى الآن، لم يصل إلى حد يعتبر فيه مشكلة. لم يحدث أن قال شخص ما أنا أريد الانفصال.

كل المجتمعات الحضارية تعاني من المشاكل الزوجية لأن الزوج والزوجة يكونان على الأغلب كعدوين. يمكنك أن تسميهما "العدوان الحميمان" لكن هذا لا يشكل فرقاً ـ من الأفضل أن يكون العدوان متباعدين وألا يكونا حميمين جداً! إن كانا حميمين، فهذا يعني أن هناك أربعاً وعشرين ساعة من المعارك في اليوم، باستمرار وعلى نحو متواصل. والسبب البسيط هو فكرة غبية من تعاليم تلك الأديان: "احذر من الجنس قبل الزواج."

إن كنت تريد أن تحذر، فاحذر من الجنس الزوجي، ذلك هو موضع المشكلة. الجنس قبل الزواج ليس بمشكلة، وخاصة الآن، حيث تتوفر طرق عديدة لمنع الحمل.

يجب على كل كلية وكل جامعة وكل مدرسة أن تجعل من هذه المسألة قضيتها، بحيث يمكن لكل طفل، صبياً كان أم فتاة، أن يمر عبر كل أنواع التجارب، يختبر كل أنواع الناس. وفي النهاية يختار. ذلك الاختيار سيكون متجذراً وقائماً على المعرفة والفهم للشخص.

لكن المشكلة بالنسبة للبابا ليست قائمة على أن الإنسانية تعاني من الزواج، وأن كل الثنائيات يعانون من الزواج وبسبب معاناتهم بدأ أطفالهم بتعلم طرق تلك المعاناة. هو ليس مهتماً. إن كل قلقه هو من أنه ينبغي عدم استخدام

موانع الحمل. في الواقع البابا لا يقول: "احذروا من الشيطان،" هو يقول: "احذروا من موانع الحمل."

وهكذا، المشاكل الحقيقية لا يتم التعامل معها، بل مع الزائفة منها فقط، وهو يتابع تقديم النصائح للعالم بأسره.....

الفصل الثاني عشر

هل هناك حياة بعد الجنس؟

في عمر معين يصبح الجنس هاماً. لا يعني ذلك أنك تجعله هاماً، إنه ليس شيئاً أنت تجعله يحدث، إنه يحدث تلقائياً. في عمر الرابعة عشرة، وفي مكان ما تفيض طاقاتك بالجنس. إنها تحدث وكأن فيضاناً انفتح في داخلك بعد أن كان محتجزاً خلف باب السد. منابع دقيقة من الطاقة والتي لم تُفتَح أبداً أصبحت مفتوحة الآن، كل طاقاتك الجسدية تتحول إلى طاقة جنسية، تتلون بالجنس. أنت تفكر جنسياً، تغني جنسياً، تمشي جنسياً ـ كل شيء يصبح مرتبطاً بالجنس. يصبح كل تصرفٍ لك متلوناً به وهذا ما يحدث، حتى الآن أنت لم تفعل أي شيء لحدوث ذلك. إنها الطبيعة فقط.

الارتقاء طبيعي أيضاً، لو عاش الناس الجنس بشكل كامل وبدون أية إدانة أو استنكار، بدون التفكير بالتخلص منه، عندها في عمر الثانية والأربعين ـ مثلما تفتحت طاقات الجنس في عمر الرابعة عشر والطاقة كلها أصبحت طاقة جنسية

- في عمر الثانية والأربعين أو حوله يبدأ الجنس يبدأ بالاختفاء وهذا طبيعي أيضاً مثلما كان طبيعياً عندما انتعش الجنس في عمر الرابعة عشرة.

يتم السمو على الجنس بدون أي جهد من طرفك. إن قمت بأي جهد سيكون ذلك الجهد قمعياً لأنه ليس له علاقة بك، أنت مولود ككائن جنسي وهذا مدمج بجسدك وبيولوجيتك، لا شيء سيء في هذا. تلك هي الطريقة الوحيدة لنولد بها. لتكون إنساناً عليك أن تكون جنسياً. عندما تم الحمل بك لم يكن والدك ووالدتك يصليان، لم يكونا يستمعان حينها إلى عظات رجال الدين، لم يكونا في معبد، كانا يمارسان الحب. حتى مجرد التفكير بأن والديك كانا يمارسان الحب عندما تم الحمل بك، حتى هذا هو أمر صعب. نعم كانا يمارسان الحب، لقد التقت طاقتاهما الجنسية وانغمست إحداهما بالأخرى، عندها تم الحمل بك. لقد تم الحمل بك من خلال ممارسة جنسية عميقة. الخلية الأولى كانت خلية جنسية ومن تلك الخلية الجنسية ظهرت الخلايا الأخرى. لكن كل خلية حافظت على وضعها بشكل أساسي كخلية جنسية. إن جسدك بالكامل جنسي، مصنوع من خلايا جنسية. وعددها الآن بالملايين.

عليك أن تتذكر ذلك: أنت موجود ككيان جنسي. عندما تتقبل ذلك، فإن الصراع الذي تم زرعه في تفكيرك العميق عبر العصور سوف ينتهي. عندما تتقبل ذلك بشكل مفهوم وعميق، من دون أن تعترضه أية أفكار، عندما يتم التفكير بالجنس بأنه أمر طبيعي ببساطة، فإنك تستطيع عيشه. أنت لا تسألني كيف تتسامى عن الطعام، أو كيف تتسامى عن التنفس، والسبب في ذلك أنه ليس هناك من دين يعلمك كيف تتسامى عن هذا الأمر، هذا هو السبب. وإلا، لسألت: "كيف أتسامى عن موضوع تنفسي؟" إنك تتنفس! إنك حيوان تنفسيّ، إنك أيضاً حيوان جنسي. لكن هناك فرق. هناك أربع عشرة سنة من حياتك، في بداية حياتك، تكون غير جنسية تقريباً، أو على أكثر تقدير، مجرد حالة لعب

لجنسية بدائية وليست جنسية حقيقية ـ مجرد تحضير، تمرين، هذا كل شيء. في سن الرابعة عشرة تنضج الطاقة الجنسية بشكل مفاجئ.

راقب... يولد طفلٌ ـ فوراً وخلال ثلاث ثوان يبدأ الطفل بالتنفس. وإلا سوف يموت. وبعدها يستمر تنفسه مدى الحياة، لأن هذا جاء مع الخطوة الأولى من الحياة. ليس بالإمكان السمو على هذا الأمر. بعد ثلاث ثوان سيتوقف لكن ليس قبل ذلك. دائماً تذكر: طرفا الحياة، البداية والنهاية، إنهما متطابقان تماماً ومتناظران. يولد الطفل ويبدأ بالتنفس خلال ثلاث ثوان. وعندما يهرم الإنسان ويشرف على الموت، وفي اللحظة التي يتوقف فيها التنفس، خلال ثلاث ثوان سيكون ميتاً.

يدخل الجنس في مرحلة متأخرة جداً. لأربع عشرة سنة يعيش الطفل بدون جنس. وهنا، إذا كان المجتمع ليس مقموعاً ومهوووساً بالجنس، فإن الطفل يستطيع أن يعيش غافلاً تماماً عن حقيقة أن الجنس أو أن أي شيء يشبه الجنس موجود. يمكن أين يبقى الطفل بريئاً بشكل كامل. البراءة هي أيضاً غير ممكنة، لأن الناس مقموعون جداً. عندما يحدث الكبت، فإن الهوس يحدث على التوازي معه.

لذا فإن رجال الدين يستمرون بالكبت، وهناك معارضون لرجال الدين، (هيو هيفنرز ـ مؤسس مجلة بلاي بوي) وآخرون ـ والذين يتابعون العمل على إصدار الكثير والكثير من الإعلام الإباحي. لذا فإنه من جهة أولى هناك رجال الدين الذين يتابعون الكبت، ومن جهة أخرى هناك الآخرون، معارضو رجال الدين، الذين يتابعون العمل على جعل الجنس أكثر إثارة وفتنة. النوعان موجودان معاً ـ وجهان لعملة واحدة. فعندما يختفي الأول، حينها فقط تختفي مجلات البلاي بوي، وليس قبل ذلك. إنهما شريكان في الأعمال. يبدوان كعدوين، لكن لا تنخدع بذلك. كل منهما يتحدث ضد الآخر، لكن تلك هي الطريقة التي تسير بها الأمور.

كنت قد سمعت عن رجلين توقف عملهما وأفلسا، قررا أن يؤسسا عملاً جديداً بسيطاً. بدأا بالترحال من بلدة لأخرى، يدخل الأول إلى البلدة ويقوم ليلاً بإلقاء هباب الفحم على نوافذ الناس وأبوابهم، وبعد يومين أو ثلاثة يأتي الآخر لينظف. إنه يقول إن باستطاعته تنظيف أي شيء في البيت حتى هباب الفحم، كما أنه سينظف النوافذ. خلال ذلك الوقت يكون الآخر بدأ بالقيام بالعمل الخاص به في البلدة التالية. بتلك الطريقة بدأا يجنيان أموالاً كثيرة.

إن هذا ما يحدث بين المعابد و(هيو هيفنيرز) والآخرين الذين يعملون على تأسيس الإعلام الإباحي. الطرفان شريكان معاً في المؤامرة. كلما تم كبتك تبدأ بالبحث عن اهتمام منحرف. الاهتمام المنحرف هو المشكلة، وليس الجنس.

لذلك لا تحمل في عقلك أية فكرة ضد الجنس، وإلا لن يكون باستطاعتك أن تسمو عليه. الناس الذين يسمون على الجنس هم الناس الذين يقبلونه بشكل طبيعي جداً. هذا صعب، أنا أعرف ذلك، لأنك قد ولدت في مجتمع عصابي تجاه الجنس. بهذه الطريقة أو تلك، إنهم عصابيون على أية حال. ومن الصعب جداً الخروج من ذلك العصاب، لكن إن كنت واعياً قليلاً يمكنك الخروج منه. لذلك فإن الأمر الأساسي ليس كيف نسمو على الجنس بل كيف نسمو على تلك الإيديولوجية الفاسدة للمجتمع: ذلك الخوف من الجنس، ذلك الكبت الجنسي، ذلك الهوس بالجنس.

الجنس جميل. الجنس بحد ذاته طبيعي، ظاهرة إيقاعية طبيعية. تحدث عندما يكون الوضع مناسباً ليتم الحمل بطفل، ومن الجيد أن يحدث ذلك ـ وإلا فلن تكون الحياة موجودة. الحياة وجدت من خلال الجنس، الجنس هو وسيطها. إن كنت تفهم الحياة، إن كنت تعشق الحياة، فستعرف أن الجنس مقدس. عندها ستعيش الجنس، عندها ستبتهج بالجنس، وكلما أتى هذا الأمر بشكل طبيعي أكثر كلما تلاشى بشكل طبيعي أكثر ـ في عمر الثانية والأربعين، أو

قريباً منه، يبدأ الجنس بالاختفاء بنفس الطبيعية التي بدأ بها. لكن هذا لا يحدث.

سوف تتفاجأ عندما أقول حوالي عمر الثانية والأربعين. أنت تعرف شخصاً في عمر السبعين، أو الثمانين، وحتى الآن لم يسمُ على الجنس.

من يسميهم الناس "مجموعة من العجزة القذرين" هم ضحايا المجتمع. لأنه ليس بإمكانهم أن يكونوا على طبيعتهم، إنهم نتيجة سيئة للمشكلة لأنهم قد كُبتوا وقُمعوا عندما كان عليهم أن يستمتعوا ويبتهجوا. لم يعيشوا تلك اللحظات من السعادة بكليتهم. لم يشعروا بالرعشة، كانوا يعانون من فتور.

إن كنت فاتراً في أي شيء فهو يدوم أكثر. إن كنت جالساً إلى طاولتك لتأكل، وإن تناولت طعامك بفتور واستمر جوعك، فإنك سوف تستمر بالتفكير بالطعام طوال اليوم. يمكنك أن تجرب الصوم وحينها سترى، سوف تفكر بالطعام على مدار الوقت. لكن إن تناولت طعامك بشكل جيد ـ وعندما أقول تناولت طعامك بشكل جيد، لا أعني فقط أنك حشوت معدتك، أن تحشو معدتك لا يعني أنك تناولت طعامك بشكل جيد. يمكنك أن تحشو معدتك. لكن الأكل بشكل جيد عبارة عن فن، وليس فقط مجرد حشو معدة. إنه فن عظيم في تذوق الطعام، في شم الطعام، في لمس الطعام، مضغه، هضمه، أن تهضمه وكأنه شيء سماوي، إنه مقدس، إنه هدية من السماء.

يقول الهندوس: (Anam Brahma) وتعني أن الطعام مقدس. لذلك تناول طعامك مع الاحترام العميق وخلال الطعام انس كل شيء، لأنه صلاة. إنه صلاة للحياة. والله سوف يعطيك الغذاء. إنه هدية عليك قبولها مع الحب العميق والامتنان.

لا تحشُ جسدك، لأن حشو الجسد ضد مصلحة الجسد. إنه القطب الآخر. هناك أشخاص مهووسون بالصيام وآخرون مهووسون بحشو أنفسهم. كلتا الحالتين خاطئة لأنه في كلا الطريقين يفقد الجسم التوازن.

إن المحب الحقيقي لجسده هو الذي يأكل حتى يشعر الجسد بالاكتفاء، بالتوازن والهدوء، عندما لا يشعر الجسد بالميل نحو اليمين ولا نحو اليسار بل في الوسط تماماً. إنه لنوع من الفن أن تفهم لغة الجسد، أن تفهم اللغة الخاصة بمعدتك، تفهم ما الذي تحتاجه، تعطي الجسم فقط ما يحتاج إليه، وأن تعطيه ذلك في طريقة فنية جمالية.

الحيوانات تأكل، الإنسان يأكل. لكن ما الفرق؟ الإنسان يجعل تجربة الطعام تجربة جمالية عظيمة. ما الفائدة من امتلاك طاولة طعام جميلة؟ ما الفائدة من وجود شموع مضيئة على الطاولة؟ ما الفائدة من البخور؟ ما الفائدة من دعوتك الأصدقاء لمشاركتك الطعام؟ إنها جميعاً لتجعل من الأمر فناً، وليس فقط حشو معدة. لكن في هذا إشارات ظاهرية للفن، الإشارات الداخلية هي فهم لغة جسدك، لتستمع إليه، لتكون حساساً لحاجاته.

حينها تأكل، ولن تتذكر الطعام إطلاقاً طوال النهار. فقط عندما يجوع الجسد مرة أخرى سوف يأتي التذكر. وهكذا يكون الأمر طبيعياً.

يحدث الشيء نفسه مع الجنس. إن لم يكن لديك موقف معارض له فإنك تأخذ الأمر بشكل طبيعي، تتلقى هدية مع خالص الشكر. تستمتع به، تبتهج به مع الدعاء أو الصلاة. تقول (التانترا)[1]: قبل أن تمارس الحب مع امرأة (أو للمرأة مع الرجل)، قم بالصلاة أولاً ـ لأنه سيكون لقاءً مقدساً للطاقتين. إن الله سوف يحيط بكما ـ أينما تواجد شخصان متحابان، يكون الله هناك. أينما التقت وامتزجت الطاقات الموجودة في عاشقين تكون هناك روح حية في أعلى مستوياتها، الله يحيط بك. المعبد خالٍ والله يملأ مخدع الحب. إن أنت تذوقت الحب بالطريقة التي تتحدث عنها (التانترا)، إن أنت عرفت الحب بالطريقة التي

---

(1). نظام روحي من أجل التطور الصحي لتفرد الإنسان، يجمع عناصر من الهندوسية ومبدأ المتعة ويتضمن عناصر صوفية أو سحرية مثل المودرا أو المانترا والطقوس الاحتفالية الإيروتيكية. م.

يعبرعنها (التاو)[2] ، فإن الجنس إذ تصبح في عمر الثانية والأربعينن، يبدأ مرحلة الاختفاء تلقائياً. سوف تودعه مع خالص الشكر له لأنك اكتفيت. لقد كان ممتعاً، لقد كان نعمة، وستودعه الآن.

إن عمر الثانية والأربعين هو العمر المناسب للتأمل، يختفي الجنس، إن فيض الطاقة لم يعد موجوداً. يصبح الشخص أكثر هدوءاً، يختفي الشغف، ويظهر التعاطف. الآن لم يعد هناك من حمى، لم يعد الواحد يهتم بالأخر. مع اختفاء الجنس، لم يعد الآخر مركز الاهتمام. يبدأ الإنسان بالعودة باتجاه ذاته الخاصة - تبدأ رحلة العودة.

لقد تم تجاوز موضوع الجنس لكن ليس بواسطة جهد منك. هذا ما يحدث إن استطعت أن تعيش الجنس بشكل كامل. لذلك فإن اقتراحي هو أن تتخلص من كل مواقفك المعارضة، كل مقاومتك للحياة، وتتقبل حقيقة الأمر: الجنس موجود، من أنت لتسقطه؟ من الذي يسقطه؟ إنه الأنا. تذكر هذا، إن الجنس يخلق أكبر مشكلة بالنسبة للأنا.

إن هناك نوعين من البشر: أشخاصاً لديهم أنا متضخمة، وهم دائماً يعارضون الجنس، وأشخاصاً متواضعين ليسوا أبداً ضد الجنس. لكن من ينصت إلى الناس المتواضعين؟ في الواقع الأشخاص المتواضعون لا يعظون الناس، إن الأشخاص أصحاب الأنا المتضخمة هم من يفعلون ذلك.

لماذا يكون هناك تضارب ما بين الجنس و(الأنا)؟ لأن الجنس شيء موجود في حياتك في مكان لا يمكنك أن تكون فيه أنانياً مغروراً، وبحيث يصبح الآخر أكثر أهمية منك. تصبح امرأتك أو رجلكِ أكثر أهمية منك. في كل الحالات الآخرى، تبقى أنت الأكثر أهمية. في علاقة الحب يصبح الآخر مهماً بشكل كبير، مهماً

---

[2]. التاو: تعني باللغة الصينية، الطريق. وهو مجموعة من النصوص قام بكتابتها الفيلسوف الحكيم (لاو تسو) مؤسس الديانة التاوية. م.

بشكل مفرط. تصبح أنت التابع ويصبح الآخر نواة[3]، والأمر نفسه يحدث للآخر: تكون أنت النواة ويصبح هو تابعاً. نوع من الاستسلام المتبادل. كلاكما تستسلمان للحب، ويصبح كلاكما متواضعاً.

الجنس هو الطاقة الوحيدة التي تلُمح لك بأن هناك شيئاً لا تستطيع التحكم به. أنت تستطيع التحكم بالمال، تستطيع التحكم بالسياسة، تستطيع التحكم بالسوق، بالمعرفة، بالعلم، بالأخلاق. ولكن في مكان ما يجلب الجنس عالماً مختلفاً كلياً، لا تستطيع التحكم به. (الأنا) متحكم عظيم ويكون سعيداً إن استطاع أن يسيطر، ويفقد السعادة إن فقد السيطرة. عند هذه النقطة يبدأ التعارض بين الجنس و(الأنا). تذكرهذا، إنها معركة خاسرة. لا يستطيع الـ (أنا) أن يربحها لأن (الأنا) شيء سطحي. بينما الجنس عميق و متجذر جداً. الجنس هو حياتك، بينما (الأنا) هو عبارة عن عقلك، رأسك. الجنس له جذور في كل جسدك، الـ (الأنا) له جذور فقط في أفكارك ـ سطحي جداً، في رأسك فقط.

إذن من سيحاول السمو على الجنس؟ ـ الرأس سيحاول أن يسمو على الجنس. إن كنت معجباً جداً برأسك فسترغب بالسمو عن الجنس، لأن الجنس يسقطك نحو الأحشاء. أن يسمح لك بأن تبقى معلقاً بالرأس. بإمكانك أن تدير وتتحكم بأي شيء آخر من هناك، من الرأس، لكن ليس باستطاعتك أن تدير الجنس من هناك. ليس بإمكانك أن تمارس الجنس برأسك. عليك أن تنزل، عليك أن تهبط من مرتفعاتك، عليك أن تكون أقرب إلى الأرض.

إن الجنس مهين (للأنا)، لذلك فإن أصحاب (الأنا) المتضخمة هم أشخاص معارضون للجنس. إنهم يستمرون بالبحث عن طرق ووسائل للسمو على الجنس ـ لكن ليس باستطاعتهم ذلك. بإمكانهم بأفضل الاحتمالات أن يصبحوا منحرفين. إن كل جهودهم محكوم عليها بالفشل من البداية تحديداً. يمكنك التظاهر بأنك

---

[3]. العبارة باللغة الإنكليزية وردت بمعنى (الستلايت) المكوّن من الإبرة والصحن اللاقط. م.

انتصرت على الجنس، لكن تياراً خفياً...... ربما تحاول العقلنة، ربما تجد أسباباً لذلك. ربما تتظاهر، ربما تؤسس درعاً واقياً حولك، لكن هناك في العمق يكمن السبب الحقيقي، الحقيقة موجودة ولم تلمس. والسبب الحقيقي سوف يتفجر، ليس باستطاعتك إخفاؤه، ذلك غير ممكن.

يمكن أن تحاول السيطرة على الجنس، لكن هناك تياراً خفياً من الجنسانية سوف يجري ويظهر نفسه بالعديد من الطرق. سوف يحاول مرة بعد مرة أن يطل برأسه متجاوزاً كل عقلنتك لهذا الأمر.

لن أقترح أن تقوم بأي جهود لتسمو على الجنس. ما أقترحه هو العكس تماماً، انس أمر السمو على الجنس. تعمق به إلى الحد الأقصى الممكن. طالما أن الطاقة موجودة لديك، تعمق به قدر الإمكان، عليك أن تحب بأعمق ما تستطيع، وأن تجعل منه مهارة أو فناً. إنه ليس مجرد القيام بالفعل ـ ذلك هو المعنى الكامل لعبارة اجعل من ممارسة الحب فناً أو مهارة.

هناك فرق دقيق، فقط الناس الذين يدخلون الموضوع بشعور جمالي رائع سوف يكونون قادرين على معرفته. وإلا، فباستطاعتك أن تمارس الحب طوال حياتك ومع ذلك تبقى غير مشبع، لأنك لا تعرف أن الإشباع شيء جمالي جداً. إنه أشبه بموسيقا رقيقة تظهر في روحك.

إن حدث ودخلت حالة من التناغم خلال الجنس، إن حدث ووصلت لحالة من الاسترخاء خلال الحب ـ إن لم يكن الحب مجرد تصريف للطاقة لأنك لا تعرف ماذا ستفعل بها، إن لم يكن الفعل هو مجرد تفريغ ضغط وإنما عملية استرخاء، إن استرخيت مع امرأتك واسترخت امرأتك معك ـ إن حدث ونسيت نفسك للحظات أو لدقائق أو لساعات، ودخلت بشكل كامل في حالة من اللاوعي لدرجة الضياع، فسوف تعود بشكل أكثر نقاء، أكثر براءة، أكثر طهارة. وستصبح كينونة مرتاحة متجذرة.

إن حدث ذلك، فسوف تتفاجأ في أحد الأيام بأن الفيضان قد ذهب وتركك غنياً جداً. لن تأسف على رحيله. ستكون شاكراً، لأن العوالم الأغنى أصبحت مفتوحة. عندما يغادرك الجنس، فإن أبواب التأمل تُفتَح. عندما يغادرك الجنس، فلن تحاول أن تتلاشى أو تضيع في الآخر. تصبح حينها قادراً على أن تفقد نفسك في نفسك. الآن هناك عالم آخر من النشوة، الآن يظهر نوع من النشوة الداخلية في أن تكون مع نفسك. لكن هذا ينشأ فقط من تواجدك مع الآخر.

الإنسان ينمو وينضج عبر الآخر، بعد ذلك تأتي اللحظة التي تستطيع بها أن تكون وحدك، سعيداً بشكل لا يوصف. ليس هناك من حاجة لأي شخص آخر، تختفي الحاجة لكنك تعلمت الكثير خلالها ـ لقد تعلمت الكثير عن نفسك، والآخر أصبح مرآتك. وأنت لم تكسر المرآة ـ لقد تعلمت الكثير عن نفسك، والآن ليس هناك من حاجة للنظر في المرآة، بإمكانك أن تغلق عينيك وترى وجهك هناك. لكن لن يكون بمقدورك أن ترى ذلك الوجه إن لم تكن قد حصلت على مرآة في بداية حياتك.

دع امرأتك تكون مرآتك، دعي رجلك يكون مرآتك. انظر إلى عينيها لترى وجهك، توجه إليها لتعرف نفسك. وعندها في يوم ما لن تكون بحاجة إلى المرآة. لكنك لن تكون ضد المرآة ـ سوف تكون ممتناً لها، كيف يمكنك أن تكون ضدها؟ ستكون شاكراً لها، ثم يحدث السمو.

إن السمو ليس كبتاً. السمو هو تطور طبيعي - أنت تكبر عليه، تتجاوزه، تماماً كما تتكسر بذرة النبات وتنمو فوق سطح الأرض. عندما يختفي الجنس تختفي البذرة. في الجنس تكون قادراً على أن تهب الحياة إلى شخص آخر، إلى الطفل. عندما يختفي الجنس، فإن كامل الطاقة تسبب ولادتك. ذلك ما يسميه الهندوس بـ (dwija) أو الولادة الثانية. فالولادة الأولى قد أعطيت لك من خلال أهلك، والولادة الثانية تلك التي تنتظرها، يجب أن تمنح لك من خلال نفسك، عليك أن تصبح أباً وأماً لنفسك.

عندما تتحول كل طاقتك إليك ـ تتحول إلى الداخل. من الصعب جداً عليك حتى الآن أن تشكل حلقة داخلية. سيكون من الأسهل عليك أن تتصل بقطب آخر ـ امرأة (أو رجل بالنسبة للمرأة) ـ عندها تصبح الدارة مكتملة. عندها تستطيع أن تستمتع بنعمة وبركة تلك الحلقة. وشيئاً فشيئاً ستكون قادراً على تشكيل حلقتك الداخلية وحدك، لأنه بداخلك أيضاً يوجد رجل وامرأة، امرأة ورجل.

ليس هناك من شخص هو مجرد رجل ولا مجرد امرأة ـ لأنك أساساً أتيت من عملية اتصال بين رجل وامرأة. كلا الطرفين شاركا بالعملية، والدتك أعطتك شيئاً ووالدك أعطاك شيئاً. نصف بنصف، لقد تشاركا بك وكلاهما موجودان فيك.

هناك إمكانية لأن يلتقي كلاهما في داخلك، مرة أخرى يستطيع والدك أن يحب والدتك في داخلك. عندها سوف تولد حقيقتك. في اللحظة التي التقيا بها تمت ولادتك جسدياً. الآن، إن كان باستطاعتهما أن يلتقيا بداخلك، فإن روحك سوف تولد. ذلك هو ما يعرف بسمو الجنس. إنه جنس أرقى.

عندما تسمو على الجنس تصل إلى الجنس الأسمى. الجنس الاعتيادي غريزي، الجنس السامي ليس غريزياً على الإطلاق. الجنس الاعتيادي موجه نحو الخارج، بينما الجنس الأسمى موجه نحو الداخل. في الجنس الاعتيادي يلتقي جسدان ويكون اللقاء خارجياً. في الجنس الأسمى تلتقي طاقاتك الداخلية، لكن ليس بشكل مادي، إن اللقاء روحاني ـ إنه السمو.

الفصل الثالث عشر

نحتاج إلى قرية لتربية طفل

لقد كبر الإنسان على مفهوم العائلة، وانتهت الفائدة منها. لقد عاشت أكثر مما يجب. إنها من أقدم المؤسسات الاجتماعية، يستطيع فقط الأشخاص المتبصرون أن يروا أن تلك المؤسسة قد انتهت. بينما الآخرون يحتاجون إلى وقت ليدركوا حقيقة أن مفهوم العائلة قد انتهى.

لقد قامت بعملها. لم تعد على علاقة بالطرق الجديدة للأشياء، لم تعد تعني شيئاً للإنسانية الجديدة التي تولد للتو.

كانت العائلة جيدة وسيئة في آن واحد. في نواح ما كانت مفيدة ـ الإنسان يكون محمياً فيها ـ وكانت مؤذية في نواح أخرى لأنها أفسدت عقل الإنسان. لكن لم يكن هناك من بديل في الماضي، لم يكن هناك شيء آخر لنختاره. كانت بمثابة شر لا بد منه. لن تكون هناك حاجة لتواجدها في المستقبل. يمكن أن يتواجد في المستقبل نماذج بديلة.

فكرتي هي أنه في المستقبل لن يكون هناك شكل واحد ثابت، سيكون هناك الكثير والكثير من النماذج البديلة. فإذا كان هناك القليل من الناس الذين لازالوا يختارون أن تكون لديهم عائلة، فلهم الحرية في اختيار ذلك، وستكون نسبتهم قليلة جدا. هناك عائلات على الأرض ـ نادرة جداً، نسبتها لا تتجاوز الواحد بالمئة ـ وهي عائلات جميلة حقاً، إنها مفيدة حقاً، وفيها يحدث النمو. لا يوجد فيها سلطة، ليس هناك من صراع على السلطة، ليس هناك من تملك، ليس هناك من تدمير للأطفال، حيث لا تحاول الزوجة تدمير الزوج ولا يحاول الزوج تدمير زوجته، حيث الحب والحرية موجودان، حيث يجتمع الناس معاً فقط لمجرد المتعة، لمجرد تحفيز الآخر، حيث لا توجد سياسة. نعم، إن هذا النوع من العائلات موجود على الأرض، هذه العائلات لا تزال موجودة. وليس هناك من داع للتغيير بالنسبة لهذا النوع من الناس. يستطيعون الاستمرار بالعيش على شكل عائلات في المستقبل.

لكن بالنسبة للغالبية العظمى، فإن العائلة شيء قبيح. بإمكانك أن تسأل المحللين النفسيين وسوف يقولون لك إن كل أنواع الأمراض العقلية يعود سببها إلى العائلة، كل أنواع العصاب و الذهان يعود سببها إلى العائلة، تخلق العائلة إنساناً مريضاً جداً.

ليس هناك من حاجة للعائلة. يجب أن تكون هناك إمكانية لنماذج بديلة. بالنسبة لي هناك نموذج بديل واحد هو (الكميون)[1] ـ إنه الأفضل.

(الكميون) يعني أن الناس تعيش في عائلة غير ملزمة. الأطفال فيها ينتمون إلى الكميون ـ ينتمون إلى الجميع. ليس هناك من ملكية شخصية، ليس هناك من (أنا) شخصي. الرجل يعيش فيه مع المرأة لأنهما يرغبان بالعيش معاً، لأنهما

---

[1]. الكميون: هو مجتمع ما يقوم على مجموعة من الأشخاص يتبادلون الدعم فيما بينهم ويتشارك الجميع في الممتلكات والمسؤوليات. م.

يقدران ذلك ويستمتعان به. في اللحظة التي يشعران فيها أن الحب لم يعد موجوداً، فهما لا يتشبثان أحدهما بالآخر، يودع أحدهما الآخرمع خالص الاحترام والتقدير، إنهما صديقان. يبدأ كل منهما بالحياة مع شخص آخر.

كانت المشكلة الوحيدة في الماضي هي: ماذا سنفعل بالأولاد؟ في (الكميون) ينتمي الأطفال إلى (الكميون) وذلك سيكون أفضل بكثير. سيكون لدى الطفل فرص أكبر لينمو وينضج مع أنواع مختلفة من الناس. وإلا سيكبر الطفل مع الأم ـ لسنوات تكون الأم والأب هما الصورتان الوحيدتان عن الكيان البشري بالنسبة للطفل. وبشكل طبيعي سيبدأ بتقليدهما. إن الأطفال يصبحون مقلدين لآبائهم، وهم بذلك يحافظون على المرض نفسه في العالم كما فعل آباؤهم. يصبحون بذلك نسخاً كربونية، هذا مدمر جداً. وليس هناك من وسيلة بالنسبة للطفل ليقوم بشيء آخر، ليس لديه أية مصادر أخرى للمعلومات.

إن عاش مئة شخص في (كميون) فسيكون هناك العديد من الذكور والعديد من الإناث، لا يحتاج الطفل لأن يكون مثبتاً على نموذج واحد من نماذج الحياة. بإمكانه أن يتعلم من والده أو من خاله، يمكنه أن يتعلم من كل الرجال الموجودين في (الكميون). سيكون لديه شخصية أكبر وروح أعظم.

العائلات تدمر الناس وتمنحهم أرواحاً صغيرة. في (الكميون)، سيمتلك الطفل روحاً أعظم، سيكون لديه إمكانيات أكبر، سيكون أغنى بكثير في شخصيته وكينونته. سوف يرى الكثير من النساء ولن يكوّن فكرة واحدة عن المرأة. إنه لَمن المدمر والمحبط أن يكون للإنسان فكرة واحدة عن المرأة ـ لأنك بهذا ستستمر بالبحث عن أمك طوال حياتك. ومتى وقعت في حب امرأة، راقب! هناك إمكانية كبيرة لأن تكون قد وجدت فيها شيئاً مشابهاً لأمك، وربما كان ذلك الشيء هو الشيء الذي يجب أن تتجنبه.

كل طفل يشعر بالغضب من أمه. فالأم عليها أن تمنع الكثير من الأشياء، الأم عليها أن تقول لا ـ لا يمكن تجنب ذلك. حتى الأم الجيدة في بعض الأحيان عليها

أن تقول لا، أو تحد من شيء ما، أو تحرم شيئاً ما. يشعر الطفل حينها بالغيظ، الغضب. يكره الطفل الأم ويحب الأم أيضاً، لأنها نجاته، هي منبع حياته وطاقته. لذلك فهو يحب أمه ويكرهها في آن معاً، ويصبح هذا هو النموذج. فأنت سوف تحب المرأة وتكره المرأة نفسها بالوقت نفسه. وليس لديك أية خيارات أخرى. سوف تتابع البحث دائماً في لاوعيك عن أمك. والشيء نفسه يحدث بالنسبة للمرأة أيضاً، فهي تتابع البحث عن والدها. وما حياتها إلا استمرار في البحث عن أبيها على شكل زوج.

إن والدك ليس الشخص الوحيد في العالم، إن العالم غني جداً. وفي الواقع، إن أنتِ وجدتِ الأب فلن تكوني سعيدة. بإمكانك أن تكوني سعيدة مع المحبوب، مع المحب، وليس مع الأب. إن كان باستطاعتك أن تجد أمك فلن تكون سعيداً معها. فأنت تعرفها مسبقاً، ليس هناك من شيء تسكتشفه. إنها معروفة سلفاً، وهذا يولد الازدراء. عليك البحث عن شيء جديد، لكن ليس لديك أية تصورات. في (الكميون) يكون لدى الطفل شخصية غنية. سوف يعرف كل النساء، كل الرجال، لن يكون مدمناً على شخص أو شخصين.

إن العائلة تخلق نوعاً من الهوس في داخلك، والهوس ضد الإنسانية. إن رأيت والدك يتقاتل مع شخص ما وأنت تعرف أن والدك على خطأ، فلا يهم، عليك أن تكون في طرف والدك. فقط كما يقول الناس، "على خطأ كان أم على صواب، بلدي هو بلدي!" وهنا يقولون، "والدي هو والدي إن كان على خطأ أم كان على صواب. والدتي هي والدتي وعلي أن أكون معها، وإلا ستكون تلك خيانة." هذه الحالة تعلمك أن تكون غير عادل. بإمكانك أن ترى والدتك على خطأ وهي تتقاتل مع الجيران والجيران هم على حق ـ لكن عليك أن تكون مع والدتك. إنها ما تعلمنا إياه الحياة غير العادلة.

في (الكميون) لن تكون متعلقاً كثيراً بعائلة واحدة ـ لن تكون هناك من عائلة لتتعلق بها. ستكون أكثر حرية وأقل هوساً، ستكون أكثر عدلاً. سوف تتلقى الحب من العديد من المصادر، سوف تشعر أن الحياة هي الحب.

تعلمك العائلة نوعاً من الصراع مع المجتمع، مع العائلات الأخرى. العائلة تحتاج إلى احتكار ـ إنها تطلب منك أن تكون معها وضد كل الآخرين. عليك أن تكون في خدمة العائلة، عليك أن تتابع القتال من أجل اسم العائلة وشهرتها. الطموح، الصراع، العدوانية. في (الكميون) ستكون أقل عدوانية، ستكون أكثر ليونة مع العالم لأنك تعرفت على عدد أكبر من الناس.

لذلك، بدلاً من فكرة العائلة أرغب بأن أرى (الكميون)، حيث يكون الجميع أصدقاء. حتى الزوج والزوجة لن يكونا أكثر من صديقين. ويجب أن يكون زواجهما مجرد اتفاق بينهما ـ لقد قررا العيش معاً لأنهما سعيدان معاً. وفي اللحظة التي يقرر أي منهما أنه غير سعيد سينفصلان. ليس هناك من حاجة إلى الطلاق ـ لأنه ليس هناك من زواج فلن يكون هناك طلاق. يعيش المرء بعفوية.

عندما تعيش بتعاسة ستعتاد على التعاسة شيئاً فشيئاً. ولكن لا ينبغي أن تتحمل التعاسة ولا للحظة واحدة. ربما شعرت بالراحة والسعادة عندما كنت تعيشين مع رجل ما في الماضي، لكن إن لم يعد الوضع مفرحاً بالنسبة لك فعليك أن تخرجي من تلك العلاقة. كما أنه ليس عليك أن تصبح غاضباً ومدمراً، ليس هناك من حاجة لأن تحمل ضغينة ـ لأنه ليس هناك من شيء يمكن فعله بما يخص الحب. الحب مثل النسمة... إنه يأتي وحسب. إن كانت هناك نسمة، فهذا يعني أنها أتت، وإلا تكون قد رحلت. وعندما ترحل تكون قد رحلت وانتهى الأمر. الحب لغز غامض، ليس باستطاعتك التلاعب به. لا ينبغي التلاعب بالحب، لا ينبغي جعل الحب قانونياً، لا ينبغي الإجبار على الحب ـ ليس هناك سبب لذلك إطلاقاً.

في (الكميون) يعيش الناس مع بعضهم لمجرد السعادة الكاملة التي يشعرون بها من عيشهم معاً، وليس من أجل أية أسباب أخرى. وعندما تختفي تلك السعادة، ينفصل الزوجان ربما يشعران بالحزن، لكن عليهما الانفصال. ربما كان الحنين إلى الماضي لا يزال باقياً في العقل، لكن عليهما الانفصال. إن كلاً منهما مدين للآخر بأن لا يعيش في تعاسة، وإلا أصبحت التعاسة عادة. إنهما ينفصلان بقلوب مثقلة لكن بدون أحقاد، وسوف يبحث كل منهما عن شريك آخر.

لن يكون هناك من زواج في المستقبل كما كان في الماضي، كذلك لن يكون هناك طلاق. ستكون الحياة أكثر مرونة وأكثر صدقاً. ستكون هناك ثقة بأسرار الحياة وغموضها أكثر من القوانين الواضحة، ستكون هناك ثقة بالحياة نفسها أكثر من أي شيء آخر: المحكمة، رجال الشرطة، رجال الدين، الكنيسة. وسوف ينتمي الأطفال إلى الجميع، وليس عليهم أن يحملوا علامات عائلاتهم. سوف ينتمون إلى (الكميون)، (الكميون) سوف يعتني بهم.

تلك ستكون أكبر الخطوات ثورية في تاريخ الإنسانية ـ أن يبدأ الناس العيش في (كميونات) ويبدؤوا الحياة مع الصدق، الشرف، الثقة، ويستمروا بإهمال القانون أكثر فأكثر.

في العائلة، يختفي الحب عاجلاً أم آجلاً. ربما لم يكن الحب موجوداً على الإطلاق في المقام الأول، منذ اللحظة الأولى. ربما كان نوعاً من الزيجات المدبرة ـ من أجل دوافع أخرى، من أجل المال، السلطة، الشهرة. ربما لم يكن هناك حب منذ اللحظة الأولى. عندها يكون الأولاد الذين يولدون من والدين متزوجين أكثر شبهاً بالورطة ـ الأطفال يولدون من دون حب. منذ اللحظة الأولى يصبحون قاحلين. وحالة اللا حب في البيت تجعلهم بليدين، غير محبين. إنهم يتعلمون درسهم الأول عن الحياة من والديهم، والأهل غير محبين وهناك استمرار لحالات الغيرة والصراع والغضب. والأولاد هنا يستمرون برؤية تلك الوجوه القبيحة التي تعود لوالديهم.

لقد تدمرت آمالهم تحديداً. إنهم لا يستطيعون أن يصدقوا أن الحب يمكن أن يحدث في حياتهم، إن كان الحب لم يحدث في حياة أهلهم من قبلهم، كما أنهم يرون الأهل الآخرين، العائلات الأخرى أيضاً. إن للأطفال بصيرة حادة، إنهم يتابعون البحث في كل ما يدور حولهم ويراقبونه. وعندما يرون أنه ليست هناك إمكانية للحب، يتولد لديهم شعور بأن الحب غير موجود إلا في الشعر، إنه موجود من أجل الشعراء فقط أو أصحاب الرؤى، لكنه ليس واقعياً في الحياة. وعندما تتعلم فكرة أن الحب هو فقط للشعر فعندها لن يحدث الحب في حياتك لأنك تصبح منغلقاً أمامه.

الطريقة الوحدة لكي تراه يحدث في حياتك الخاصة هي أن تراه يحدث أمامك مع الآخرين، أي أن ترى والدك ووالدتك في حالة من الحب العميق، الحب والتعاطف والاهتمام العظيمين الذي يحمله كل منهما للآخر، أن ترى كلاً منهما يحترم الآخر ـ عندها سوف ترى الحب يحدث في حياتك، سينمو الأمل، تتساقط البذور في قلبك وتبدأ بالنمو. أنت تدرك أن هذا سيحدث معك أيضاً. إن لم تر ذلك، فكيف لك أن تؤمن بإمكانية حدوث ذلك معك؟ إن لم يحدث هذا مع والديك، فكيف له أن يحدث معك؟ في الواقع، سوف تقوم بكل ما بوسعك لتتجنب حدوثه معك، وإلا سيكون ذلك بمثابة خيانة لوالديك.

إن تلك هي نتيجة مراقبتي للناس: النساء يستمررن بالقول في عمق اللاشعور، "انظري يا أمي، أنا أعاني كثيراً كما عانيت أنت." والشباب يستمرون بالقول لأنفسهم، "لا تقلق يا والدي، إن حياتي تعيسة كما هي حياتك. أنا لم أتفوق عليك ولم أخنك. أنا بقيت الشخص التعيس نفسه الذي كنت أنت عليه. أنا أحمل قيودي، أحمل العادات والتقاليد، أنا ممثِّلك، لم أخنك يا والدي. انظر، أنا أقوم بالأمور نفسها التي اعتدت أن تقوم بها مع أمي ـ أنا أقوم بها وأمارسها على أم أولادي. كما أني أقوم مع أولادي بالأفعال نفسها التي اعتدت على القيام بها معي. أنا أربي أطفالي بالطريقة نفسها الذي قمت بتربيتي عليها."

إن فكرة تربية الأطفال تحديداً هي نوع من الهراء. باستطاعتك أن تساعد على أبعد تقدير، ليس باستطاعتك "تربيتهم". فكرة التربية بالتحديد هي هراء - ليست مجرد هراء، إنها مؤذية جداً، مؤذية بإفراط. لا تستطيع أن تربي... الأطفال ليسوا أشياء، إنهم لا يشبهون البناء، الطفل يشبه الشجرة، نعم تستطيع أن تساعده، تستطيع أن تقوم بتجهيز التربة، يمكنك أن تضيف السماد، تستطيع أن ترويها بالماء، تراقب فيما إذا كان ضوء الشمس يصل إلى النبات أم لا - هذا كل مافي الأمر. لكن هذا لا يعني أنك تبني الشجرة، إنها تنمو بنفسها. تستطيع أن تساعدها فقط، لكنك لن تستطيع أن تربيها ولن تستيطع أن تبنيها.

إن الأطفال أسرار غامضة. عندما تبدأ ببنائهم، عندما تبدأ بخلق نماذج ورموز حولهم، تكون اللحظة التي تسجنهم بها. لن يكون بمقدورهم أن يسامحوك. لكن تلك هي الطريقة الوحيدة التي سيتعلمونها، وسيقومون بالشيء نفسه مع أطفالهم. وهكذا يقوم كل جيل بنقل أمراضه العصابية إلى الجيل الجديد الذي يأتي إلى الأرض. والمجتمع يستمر في كل أنواع الجنون و التعاسة.

لا، المطلوب الآن هو نوع مختلف من الأمور. بلغ الإنسان سن الرشد والعائلة هي شيء من الماضي، وليس لها مستقبل فعلاً. إن (الكميون) سوف يكون البديل عن العائلة، وسيكون أكثر نفعاً.

لكن في (الكميون) لا يمكن إلا للناس التأمليين أن يجتمعوا معاً. وفقط عندما تعرفون كيف تحتفلون بالحياة تستطيعون أن تكونوا معاً، فقط عندما تعرفون تلك الفسحة التي أسميها التأمل بإمكانكم أن تكونوا معاً وأن تحبوا. يجب التخلص من هراء احتكار الحب القديم، عندها فقط تستطيع أن تعيش في (الكميون). إن كنت مستمراً بحمل أفكارك القديمة عن الاحتكار - تلك التي تقول إن امرأتك يجب ألا تلمس يد أي شخص آخر وإن زوجك يجب ألا يضحك مع أي امرأة أخرى - إن كنت ما زلت تحمل تلك الأفكار التافهة في عقلك، عندها لن يكون باستطاعتك أن تكون فرداً من أفراد (الكميون).

إن كان زوجك يضحك مع امرأة أخرى فهذا جيد. إن زوجك يضحك، والضحك جيد دائماً. وليست هناك من مشكلة تتلعق بمن يتم الضحك معه. الضحك أمر جيد، الضحك أمر ذو قيمة. إن أمسكت زوجتك بيد شخص آخر، جيد! إن الدفء يسري ـ وسريان الدفء أمر جيد، وذو قيمة، وهو عظيم ولا يهم مع من حدث ذلك السريان.

وإن كان هذا يحدث لزوجتك مع عديد من الأشخاص، فإنه سيحدث معك أيضاً. وإن توقف حدوث هذا مع أي شخص آخر، فسيتوقف حدوثه معك أيضاً. إن الفكرة القديمة فكرة غبية! إنها تشبه كونك تقولين لزوجك في اللحظة التي يغادر فيها البيت: "لا تتنفس في أي مكان آخر. عندما تأتي إلى البيت تستطيع أن تتنفس كما تشاء، لكن فقط عندما تكون معي يمكنك أن تتنفس. مارس اليوغا في الخارج، أوقف تنفسك، أنا لا أريدك أن تتنفس في أي مكان آخر". يبدو هذا غبياً ـ لكن لماذا لا نستطيع أن نتعامل مع الحب كالتنفس؟

الحب هو تنفس. إن التنفس هو حياة الجسد بينما الحب هو حياة الروح. إنه أكثر أهمية من التنفس. عندما يخرج زوجك من البيت تقولين إن عليه ألا يضحك مع أي شخص آخر، أوعلى الأقل ألا يضحك مع امرأة أخرى. أي عليه ألا يحب أي شخص آخر. إذاً ولمدة ثلاث وعشرين ساعة عليه أن يكون شخصاً غير محب، ولمدة ساعة واحدة عندما يكون معك في الفراش، يتظاهر بالحب؟ لقد قتلت حبه، لقد توقف تدفقه. إذا كان قد أصبح بلا تنفس لمدة ثلاث وعشرين ساعة وكان ممسكاً عن الحب وخائفاً، فهل تعتقدين أن باستطاعته أن يسترخي فجأة لمدة ساعة واحدة؟ هذا مستحيل. لقد قمتِ بتدمير الرجل، لقد قمتَ بتدمير المرأة، وبعدها لقد سئمت، مللت. بعدها يبدأ بالشعور بأنه لا يحبك، وأنت التي خلقت المشكلة كلها. وهو بدأ يشعر بأنك لا تحبينه، وأنك لم تعودي سعيدة كما كنت من قبل.

عندما يلتقي الناس على شاطئ البحر، عندما يلتقون في حديقة، عندما يكون رجل وامرأة في موعد، فعندها لا يكون هناك شيء ثابت، كل شيء عائم، وكلا الطرفين سعيدان. لماذا؟ لأنهما حران. إن العصفور الذي يحلق بجناحيه عالياً هو شيء، والعصفور نفسه في القفص هو شيء آخر. إنهما سعيدان لأنهما حرّان.

لا يستطيع الإنسان أن يكون سعيداً بدون حريته، وبناء عائلتك القديمة دمر الحرية. وبما أنه دمر الحرية فقد دمر السعادة ودمر الحب.

تبدو العائلة وكأنها وسيلة للنجاة. نعم، لقد حمت الجسد بطريقة ما، لكنها دمرت الروح. ليست هناك من حاجة لها. علينا أن نحمي الروح أيضاً. ذلك أكثر ضرورة وأكثر أهمية.

ليس هناك من مستقبل للعائلة ـ ليس بالمعنى المفهوم حتى الآن ـ هناك مستقبل للحب وعلاقات الحب. "الزوج" و"الزوجة" على وشك أن يصبحا كلمتين بشعتين وقذرتين.

ومتى حدث واحتكرت المرأة أو الرجل، فإنك تحتكر الأطفال بشكل طبيعي أيضاً. أنا أوافق تماماً مع الدكتور توماس غوردون، الذي يقول: "أنا أعتقد أن كل الأهالي عبارة عن مسيئين محتملين للأطفال، لأن الطريق الرئيسة لتنمية وتربية أطفالهم هي عبر القوة والسلطة. أنا أعتقد أنه أمر مدمر عندما يكون للأهالي الفكرة التالية: "إنه طفلي، باستطاعتي أن أفعل ما أريد أن أفعله بطفلي. إنه كلام عنيف ومدمر". الطفل ليس عبارة عن شيء، ليس كرسياً وليس سيارة، ليس باستطاعتنا أن نفعل ما نريد به. لقد أتى إلى الحياة من خلالك لكنه لا ينتمي إليك. إنه ينتمي إلى الوجود. أنت على أقصى تقدير مجرد شخص تعتني به، لا تكن مهووساً.

لكن فكرة العائلة كلها هي فكرة امتلاك. تملك ملكية معينة، تملك المرأة، تملك الرجل، تملك الطفل. والتملك أمر مرضي، إنه سامّ، لذلك أنا أقف ضد مفهوم العائلة. لكنني لا أقول إن أولئك الذين يشعرون بالسعادة الحقيقية في عائلاتهم

وهم يفيضون بالحياة والحب عليهم أن يدمروا العائلة. لا، ليست هناك من حاجة لذلك. إن عائلاتهم سلفاً هي عبارة عن (كميون)، (كميون) صغير.

بالطبع يكون (الكميون) الأكبر أفضل بكثير، فيه الكثير من الإمكانيات والكثير من الناس، أشخاص مختلفون يجلبون أغاني أكثر، يجلبون نماذج حياة مختلفة، يجلبون نسمات عليلة متعددة الأنواع، يجلبون أنواعاً مختلفة من أشعة الضوء ـ والأطفال فيه يُغمَرون بأكبر قدر ممكن من نماذج الحياة، بحيث يمكنهم الاختيار وتكون لديهم حرية الاختيار.

كما أن باستطاعتهم أن يثروا تجربتهم بتعرفهم على الكثير من النساء بحيث لا يصبحوا مهووسين بشكل الأم أو نموذج الأم. بعدها ستكون لديهم القدرة على أن يحبوا الكثير من النساء الأخريات، الكثير من الرجال الآخرين. ستصبح الحياة أشبه بمغامرة.

تزور امرأة مخزن المدينة وقد أخذت معها ابنها إلى قسم الألعاب. عندما لمح الولد حصاناً خشبياً هزازاً تسلقه وتأرجح عليه لساعة تقريباً.

"تعال إلى هنا يا بني" توسلت المرأة: "عليّ أن أذهب إلى البيت لتحضير العشاء لوالدك." لكن الصبي رفض أن يتزحزح، وكل جهودها ذهبت سدى. كما أن مدير المخزن حاول أن يلاطف الصبي الصغير بدون أن يلاقي أيَّ نجاح. أخيراً وبحالة من فقدان الأمل طلبوا الطبيب النفسي الخاص بالمخزن.

ذهب الطبيب بلطافة إلى الطفل وهمس بضع كلمات في أذنه، وقفز الولد وركض باتجاه والدته فوراً.

سألت المرأة بذهول "كيف فعلت ذلك؟، ماذا قلت له؟"

تردد الأخصائي للحظات ثم قال: "كل ما قلته كان التالي، إن لم تقفز عن الحصان الخشبي على الفور يا بني، فسوف أضربك".

إن الناس يتعلمون عاجلاً ام آجلاً أن الخوف يجدي، والسلطة والقوة تجديان. وأن الأطفال عاجزون وهم أيضاً يتكلون على أهلهم كثيراً بحيث يمكنك

إخافتهم. أصبح هذا هو التكتيك الذي تستخدمه لإرهابهم أو قمعهم، وليس لهم من مكان ليذهبوا إليه.

في (الكميون) ستكون لديهم أمكنة عديدة ليذهبوا إليها. سيكون لديهم الكثير من الأعمام والأخوال والكثير من العمات والخالات والكثير من الناس – لن يكونوا عاجزين. لن يكونوا تحت سيطرتك بقدر ما هم الآن. سيكونون أكثر استقلالية وأقل عجزاً. لن تكون قادراً على إجبارهم بسهولة.

كل ما يرونه في البيت هو التعاسة. في بعض الآحيان يكون الزوج والزوجة متحابين، لكن عندما يكونان متحابين يحدث هذا في خصوصيتهما دوماً، والأطفال لا يعرفون أي شيء عن هذا. الأطفال لا يشاهدون إلا الوجوه القبيحة، الجانب البشع دائماً. عندما يكون الأب والأم متحابين فهما يفعلان ذلك خلف الأبواب المغلقة، يبقيان هادئين، لا يسمحان للأطفال برؤية ما هو الحب. يرى الأطفال فقط الصراعات، الإزعاج، الشجار، وأذية أحدهما للآخر، إهانة أحدهما للآخر بطرق غير مهذبة وسيئة، والأطفال يستمرون في مشاهدة ما يحدث.

كان الرجل يجلس في غرفة المعيشة يقرأ الصحيفة اليومية عندما أتت زوجته وصفعته.

سأل الزوج الساخط. "لماذا فعلت ذلك؟"

"لأنك عاشق سيء."

لاحقاً وبعد فترة، ذهب الزوج إلى المكان الذي تجلس فيه زوجته لمشاهدة التلفزيون ووجه إليها صفعة قوية.

صرخت بوجهه. "لماذا فعلت ذلك؟"

أجابها... "لأنك تعرفين الفرق."

إن هذا يستمر ويستمر، والأطفال يتابعون مراقبة ما يحدث. هل تلك هي الحياة؟ هل هذا ما تعنيه الحياة؟ هل هذا كل ما فيها؟ لقد بدؤوا يفقدون الأمل. قبل أن يدخلوا في الحياة الفعلية أصبحوا فاشلين سلفاً، لقد تقبلوا الفشل.

إن كان الوالدان الحكيمان والقويان لم ينجحا، فما هو الأمل الموجود بالنسبة لهم؟ إنه مستحيل.

لقد تعلموا حيل التعاسة وحيل العدوانية. إن الأطفال لا يشاهدون حالات الحب تحدث. في (الكميون) ستكون هناك إمكانيات أكبر. سوف يتجلى الحب في العلن أكثر، على الناس أن يعرفوا أن الحب يمكن أن يحدث، على الصغار أن يعرفوا ما هو الحب. يجب أن يروا الناس يهتمون بعضهم ببعض.

لكنها فكرة عتيقة جداً، فكرة قديمة، تلك التي تقول إن باستطاعتك أن تقاتل في العلن لكن لا تستطيع أن تحب في العلن. القتال مسموح، يمكنك أن ترتكب جريمة، إن ذلك مسموح. في الواقع عندما يتصارع شخصان فإن حشداً من الناس سيقف ليتابع ما سيحدث، وكل شخص سوف يستمتع بذلك! وهذا ما يجعل الناس تتابع قراءة قصص جرائم القتل وقصص التشويق وتستمتع بها.

الجريمة مسموحة لكن الحب غير مسموح. إن أحببت في العلن فسيُعتبر ذلك ارتكاباً للفاحشة. هذا سخيف مضحك ـ الحب فاحشة والجريمة ليست فاحشة؟ لا يمكن للمحبين أن يتحابا أمام عموم الناس، بينما يستطيع قادة الجيش أن يسيروا في الأماكن العامة مظهرين كل أوسمتهم؟ إن هؤلاء هم المجرمون وتلك الأوسمة قد نالوها على جرائمهم! تلك الأوسمة تظهر كم من الجرائم قد ارتكبوا وكم من الناس قتلوا. والسؤال المطروح، أليس ذلك فاحشة؟

يجب أن يتم اعتبار ذلك فاحشة كبيرة. لا ينبغي أن نسمح بالقتال والصراع أمام العامة، فالعنف فاحشة. كيف أمكن تسمية الحب بالفاحشة؟ لكن بحسب الاعتقاد السائد فإن الحب هو الفاحشة. عليك ان تخفيه في عمق الظلام. عليك أن تمارس الحب بشكل لا يراك فيه أحد. عليك القيام به بصمت، بخفيه..... لذلك لا يمكنك الاستمتاع به طبعاً. والناس لا يصبحون مدركين لماهية الحب. الأطفال بشكل خاص ليس لديهم من طريقة لمعرفة ما هو الحب.

في عالم أفضل، وبفهم أكبر للحياة، سوف يغمر الحب كل شيء. الأطفال سوف يرون ما هوالاهتمام، سوف يرون السعادة التي تحصل عليها عندما تعتني بشخص ما، سيكون الحب مقبولاً بشكل أكبر كما أنه سوف يتم نبذ العنف بشكل أكبر، سوف يتوافر الحب بشكل أكبر. يجب ألا يقلق شخصان يمارسان الحب من أن يعرف أحد بهما، عليهما أن يضحكا، أن يغنيا ويصرخا فرحاً بشكل يعرف فيه كل الجيران أن هناك شخصاً محبوباً من شخص آخر ـ أن هناك من يمارس الحب.

يجب أن يصبح الحب كهدية. كشيء سماوي. إنه مقدس.

يمكنك أن تنشر كتاباً حول رجل تم قتله، هذا جيد. إنه ليس نوعاً من الخلاعة ـ بالنسبة لي، إنه فجور. إنك لا تستطيع أن تنشر كتاباً حول رجل في حالة عناق محب عميق مع امرأة وهما عاريان ـ هذه خلاعة. إن هذا العالم يحيا بشكل مضاد للحب حتى الآن. إن عائلتك هي ضد الحب، مجتمعك و بلدك هما ضد الحب. إنها لمعجزة أن بعض الحب لا يزال باقياً، أمر لا يصدق أن الحب لا يزال مستمراً ـ ليس كما يجب، إن هناك بضع قطرات وهو ليس متواجداً كمياه المحيط. لكن نجاته وسط العدد الكبير من الأعداء هو معجزة. لم يتم تدميره بشكل كامل ـ إنها معجزة.

إن نظرتي عن الكميون هي عن أناس محبين يعيشون معاً بدون أية خصومات ولا تنافس، يعيشون مع فيضان الحب المتواجد بشكل أكبر، بدون غيرة أو تملكية. والأطفال سوف ينتمون إلى الجميع لأنهم ينتمون إلى الوجود ـ والجميع يعتنون بهم. أولئك الأطفال رائعون، من يرفض الاعتناء بهم؟ سيكون لديهم الكثير من الإمكانيات ليروا الكثير من الناس المحبين، وكل منهم يعيش بطريقته الخاصة، سيكونون أكثر غنى. وأنا أقول لك ما يلي: إذا تواجد هؤلاء الأطفال في العالم فلن يقرأ أحد منهم مجلة (بلاي بوي)، لأنه لن تكون هناك

حاجة لذلك. كما لن يقوم أحد منهم بقراءة (الكاماسوترا)(*)، لن يكون هناك حاجة لها أيضاً. سوف تختفي صور العراة. إنها ببساطة تظهر الجنس الجائع، والحب الجائع. العالم سيصبح عالماً غير جنسي تقريباً، سيكون العالم عالماً للحب.

لقد خلق رجال الدين ورجال السياسة كل أنواع القذارات في العالم. إنهم المصدر الرئيسي لكل ما هو قميء وبشع، وقد لعبت عائلتك دوراً في هذا الأمر. على العائلة أن تتلاشى داخل (الكميون)، عليها أن تتلاشى داخل حياة لا تقوم على أساس هويات صغيرة، عليها أن تعوم في المحيط الكبير.

في (الكميون)، سيكون هناك شخص ما ذو انتماء بوذي وآخر هندوسي، مسلم، مسيحي، يهودي. إن تلاشت العائلات، فإن أماكن العبادة سوف تتلاشى آلياً، لأن العائلات تنتمي أساساً إلى أماكن العبادة. يتواجد في الكميون كل أصناف البشر، كل الأديان، كل أنواع الفلسفات ستطوف حولك، سيكون أمام الأطفال فرصة مناسبة ليتعلموا. سيذهب الطفل يوماً مع خاله أو عمه إلى الكنيسة، وفي يوم آخر سيذهب مع آخر إلى معبد، سوف يتعلم من الجميع ويكون لديه الخيار. سوف يختار ويقرر لأي دين أو مذهب سوف ينتمي. لا شيء يأتي بالإكراه.

يمكن للحياة أن تصبح جنة رائعة، هنا والآن. لكن يجب أن تزال كل الحواجز. والعائلة هي من أكبر الحواجز.

(*). الكاماسوترا: هو فصل من كتاب الفيدا المقدس في الديانة الهندوسية تمت كتابته في القرن الخامس قبل الميلاد ويُعتبر دليلاً في فن الحب.

اسئلة

سؤال:

ـ لقد قلت إن الحب يمكن أن يجعلك حراً. لكننا نرى أن الحب يصبح نوعاً من التعلق بشكل عادي، وبدلاً من أن يحررنا يجعلنا مقيدين. لذلك هل لك أن تخبرنا شيئاً بخصوص التعلق والحرية؟

يتحول الحب إلى تعلق لأنه لم يكن هناك شيء من الحب. كنت تمارس فقط نوعاً من اللعب، تخدع نفسك. إن التعلق هو الحقيقة والحب هو مجرد مداعبة.

لذلك فعندما تقع في الحب، عاجلاً أم آجلاً، سوف تكتشف أنك أصبحت عبارة عن أداة ـ وعندها تبدأ التعاسة كلها. ما هي الآلية؟ لماذا يحدث كل ذلك؟

منذ أيام مضت جاء رجل إلي وكان لديه شعور كبير بالذنب. قال لي: "أحببت امرأة. أحببتها بشكل كبير. في اليوم الذي توفيت فيه كنت أبكي وأنتحب، ولكن وبشكل مفاجئ أصبحت مدركاً لمقدار كبير من الحرية يتواجد في داخلي، وكأن هناك عبئاً قد أزيح عني. أخذت نفساً عميقاً، وكأني أصبحت حراً."

في تلك اللحظة أدرك هذا الرجل للطبقة الثانية من مشاعره. ظاهرياً كان يبكي وينتحب قائلاً: لا أستطيع الحياة بدونها. سيكون هذا مستحيلاً، ستكون الحياة أشبه بالموت." لكن في عميق شعوره قال: "لقد أصبحت مدركاً أني أشعر بشعور أفضل، وأنني أصبحت الآن حراً."

طبقة ثالثة من وعيه بدأت تشعر بالذنب و قالت له: "ما الذي تفعله؟" قال لي: إنه بدأ يشعر بذنب كبير منذ أن كان الجسد الميت مسجّى أمامه. قال لي: "ساعدني. ما الذي حدث لعقلي؟ هل خنتها خلال هذه الفترة القصيرة."

لم يحدث أي شيء، لا توجد خيانة من أي شخص. عندما يصبح الحب تعلقاً يصبح نوعاً من العبء، نوعاً من العبودية. لكن السؤال هو: لماذا يصبح الحب تعلقاً؟ أول شيء يجب أن نفهمه هو أنه عندما أصبح الحب تعلقاً، صار مجرد وهم. لقد كنتَ مجرد شخص تخدع نفسك وتعتقد أن ذلك كان حباً.

الواقع هو أنك كنت في حاجة للتعلق. فإن فكرت بروية أكبر وعمق أكثر، فسوف تجد أيضاً أنك كنت في حاجة إلى أن تكون مستعبداً أيضاً.

هناك خوف خفي من الحرية، وكل منا يريد أن يكون عبداً. بالطبع، الجميع يتكلم عن الحرية، لكن لا أحد يمتلك الشجاعة لأن يكون حراً بشكل حقيقي، لأنك عندما تصبح حراً بشكل حقيقي سوف تصبح وحيداً. إن كانت لديك الشجاعة لتصبح وحيداً، حينها فقط يمكنك أن تكون حراً.

لكن لا أحد لديه الشجاعة الكافية لأن يكون وحيداً. أنت بحاجة لشخص ما. لماذا أنت بحاجة لشخص ما؟ لأنك تخاف من وحدتك الخاصة، سوف تشعر بالملل من نفسك. وحقيقة، عندما تكون وحيداً فلا شيء يكون ذا معنى. لكن مع شخص ما تصبح منشغلاً، كما أنك تخلق معاني زائفة حولك.

ليس باستطاعتك أن تعيش من أجل نفسك لذلك تبدأ بالعيش من أجل شخص آخر. والأمر نفسه بالنسبة للآخر أيضاً ـ هو أو هي لا تستطيع العيش لوحدها، لذلك هي في حالة من البحث عن شخص ما. شخصان خائفان من

وحدتهما الخاصة يجتمعان معاً وتبدأ بينهما لعبة ـ لعبة الحب. لكن في عمق شعور كل منهما فإن كلاً منهما يبحث عن التعلق، الالتزام، العبودية.

عاجلاً أم آجلاً يحدث أي كان ما ترغب بحدوثه. إنها واحدة من أكثر الأشياء سوءاً في العالم. ومهما كان ما تتمناه فسوف يحدث. ستحصل عليه عاجلاً أم آجلاً وستختفي المداعبة. عندما تنتهي وظيفتها، ستختفي. عندما أصبحتما زوجاً وزوجة، صار كل منكما عبداً للآخر. عندما تحدث عملية الزواج سوف يختفي الحب، لأن الحب كان مجرد تضليل تمكن فيه شخصان أن يكون كل منهما عبداً للآخر.

ليس باستطاعتك أن تطلب العبودية بشكل مباشر، إنه أمر مُذِلّ جداً. كما أنك لن تستطيع أن تطلب من شخص ما بشكل مباشر بأن يصبح عبداً لك. سوف يثور! ولا يمكنك أن تقول لشخص ما: "أنا أريد أن أكون عبداً لك". لذلك فإنك تقول: "أنا لا أستطيع العيش بدونك". لكن المعنى الحقيقي في هذا هو نفسه في الكلام السابق. لكن عندما يحدث أن تتحقق الرغبة الحقيقية سوف يختفي الحب. وعندها تشعر بالعبودية، بالتسلط، وعندها تبدأ بالنضال من أجل حريتك.

تذكر ذلك. إنها إحدى تناقضات العقل، أياً كان ما تحصل عليه سوف تمل منه لاحقاً، وكل ما لا تستطيع الحصول عليه سوف تتوق له. عندما تكون وحيداً سوف تتوق لبعض الاستعباد، وعندما تكون مستعبداً سوف تتوق للحرية. في الواقع، العبيد هم فقط من يتوق إلى الحرية ـ والناس الأحرار يحاولون مجدداً أن يتم استعبادهم. يستمر العقل كرقاص الساعة متنقلاً من تطرّف إلى آخر.

لا يمكن للحب أن يصبح تعلقاً، التعلق كان هو الحاجة والحب كان مجرد طعم. لقد كنت في حالة بحث عن سمكة اسمها التعلق، وما كان الحب إلا الطعم اللازم لاصطياد تلك السمكة. وعندما يتم الإمساك بتلك السمكة سوف

يلقى بالطعم في سلة المهملات. عليك أن تتذكر ذلك. وبينما أنت تقوم بعمل شيء ما حاول أن تغوص عميقاً في ذاتك لتكتشف الأسباب الرئيسة.

إن كان هناك حب حقيقي فلن يكون هناك تعلق. ما هي الآلية التي يتحول فيها الحب إلى تعلق؟ في اللحظة التي تقول فيها للحبيب، "لا تحب شخصاً غيري" فأنت تبدأ بعملية التملك. وفي اللحظة التي تتملك فيها شخصاً ما فأنت تهينه بعمق، لأنك تحوّله إلى شيء.

عندما أتملكك، فهذا يعني أنك لست إنساناً، إنك مجرد شيء مادي يضاف إلى أثاث المنزل ـ شيء. عندها سوف أستخدمك، وأنت شيء لي، ملكيتي، وأنا لن أدع أي شخص آخر يستخدمك. إنها صفقة أصبحت وفقها ملكاً لك وحولتني إلى شيء، ولم يعد يُسمَحُ لأي شخص باستخدامي. كلا الشريكين يشعر بالقيد والاستعباد. أنا صنعت منك عبداً، وأنت بدورك صنعت مني عبداً لك.

بعدها يبدأ الصراع. أريد أنا أن أكون حراً، ولا زلت أريدك أن تكون مملوكاً من قبلي، أنت تريد أن تحتفظ بحريتك وأن تمتلكني ـ ذلك هو الصراع. إن تملكتك أنا، فسوف أكون ممتلكاً من قِبَلك. إن كنت لا أرغب بأن أكون ممتلكاً من قِبَلك فعلي ألا أمتلكك.لا ينبغي أن يدخل موضوع التملك فيما بيننا. علينا أن نبقى منفصلين كما يجب علينا أن نتحرك كشخصين مستقلين، ذوي وعي حر. بإمكاننا أن نصبح معاً، يمكن أن يندمج أحدنا بالآخر، لكن بدون أي تملك. عندها لن تكون هناك عبودية ولن يكون هناك تعلق.

التعلق من أبشع الأشياء في الوجود. وعندما أقول أبشع، فأنا لا أقصد فقط من الناحية العقائدية، أنا أقصد من الناحية الجمالية أيضاً. عندما تتعلق فإنك تفقد فردانيتك، أنت تفقد كل شيء. مجرد أن تشعر بالسرور لأن شخصاً ما يحتاجك وأن شخصاً ما معك، تكون قد فقدت كل شيء ـ فقدت نفسك.

لكن الخدعة هي في أنك تحاول أن تكون مستقلاً وأن تجعل من الآخر ملكية لديك ـ والآخر يفعل الشيء نفسه معك.

إذن، لا تتملك أحداً إن كنت لا ترغب بأن يمتلكك أحد. قال المسيح في مكان ما: "لا تدينوا لئلا تُدانوا" والشيء نفسه يُقال هنا: "لا تتملكوا لكي لا يتملككم أحد"، لا تجعل من أي شخص عبداً، وإلا فسوف تكون أنت عبداً.

الأسياد المزعومون هم دائماً عبيدٌ لعبيدهم. ليس باستطاعتك أن تكون سيداً على شخص ما بدون أن تصبح عبداً ـ ذلك الأمر مستحيل. يمكنك أن تكون سيداً فقط عندما لا يكون لديك أي عبد.

إن هذا يبدو كنوع من التناقض، لأنني عندما أقول لك إنك تكون سيداً فقط،عندما لا تستعبد أي شخص، سوف تقول لي، "ماهي تلك السيادة؟ كيف أكون سيداً إن لم يكن هناك من أستعبده؟" لكن أنا أقول، فقط عندها تكون سيداً. عندها لا يوجد عبد لديك ولا يوجد شخص يحاول استعبادك.

أن تعشق الحرية، أن تحاول أن تكون حراً، يعني بشكل أساسي حصولك على مستوى عميق من الفهم حول ذاتك. أصبحت تعرف أنك مكتفٍ بذاتك. يمكنك أن تتشارك مع شخص آخر لكنك لست معتمداً. باستطاعتي أن أشارك نفسي مع شخص ما. يمكنني أن أشارك الآخر بحبي، يمكنني أن أشارك الآخر بسعادتي، ببهجتي، أن أشارك الآخر بصمتي، لكن تلك مشاركات، وليست اعتماداً. إن لم يكن معي أحد، فسوف أكون بالمستوى نفسه من السعادة، بالمستوى نفسه من البهجة. إن كان معي أحد، فسوف يكون ذلك أمراً جيداً وباستطاعتي أن أشارك الآخر.

عندما تدرك وعيك الداخلي، جوهرك، عندها فقط لن يتحول الحب إلى تعلق. وإن لم تعرف جوهرك وداخلك فسيتحول الحب إلى تعلق. إن كنت تعرف جوهر ذاتك، فإن الحب سيصبح تفانياً. لكن على ذاتك أولاً أن تكون حاضرة حتى تتمكن من الحب، وهي ليست كذلك.

حتى الآن ذاتك ليست حاضرة. عندما تقول: "عندما أحب شخصاً ما سيصبح الأمر تعلقاً" فإنك تقول إن ذاتك ليست حاضرة. لذلك، أياً كانَ ما تفعله فهو

خاطئ، لأن الفاعل غير موجود. أي إن النقطة الأساسية من الإدراك ليست هناك، لذلك يكون كل ما تفعله خطأ. أولاً كن موجوداً وبعدها يمكنك أن تتشارك مع الآخرين بكينونتك، وتلك المشاركة ستكون حباً. قبل ذلك، كل شيء تفعله سيصبح تعلقاً.

وأخيراً، إن كنت تقاتل ضد موضوع التعلق، فإنك اتخذت طريقاً خاطئاً. تستطيع أن تقاتل ـ هناك الكثير من النسّاك، والمعتكفين، يفعلون الشيء نفسه. إنهم يشعرون بأنهم متعلقون ببيوتهم، بملكياتهم، بنسائهم وأطفالهم، يشعرون وكأنهم مسجونون في أقفاص. إنهم يهربون، يتركون بيوتهم وزوجاتهم، يتركون أطفالهم وممتلكاتهم، يصبحون شحاذين ويهربون إلى الغابة، إلى الوحدة. لكن اذهب وراقبهم. سوف يصبحون متعلقين بأجوائهم الجديدة.

كنت أزور صديقاً، وهو ناسك يعيش تحت شجرة في عمق الغابة، لكن هناك نسّاكاً آخرين أيضاً. حدث ذات يوم أن كنت أقيم مع صديقي الناسك تحت تلك الشجرة، وأتى طالب جديد بينما كان صديقي غائباً. كان قد ذهب إلى النهر ليأخذ حماماً. وتحت تلك الشجرة بدأ الطالب الجديد بممارسة التأمل.

عاد الرجل من النهر ودفع بالطالب الجديد بعيداً عن الشجرة وقال: "إنها شجرتي. اذهب وابحث عن واحدة أخرى في مكان آخر. ليس باستطاعة أحد أن يجلس تحت شجرتي." كان هذا الرجل قد غادر منزله، زوجته، أطفاله ـ والآن أصبحت الشجرة ملكية: "ليس باستطاعتك أن تمارس التأمل تحت شجرتي."

ليس باستطاعتك الهرب بسهولة من التعلق. سوف يأخذ التعلق أشكالاً ونماذج جديدة. سوف يتم خداعك، لكن التعلق سيكون موجوداً. إذن لا تتقاتل مع موضوع التعلق، حاول أن تفهم سبب وجوده. وبعدها تعرّف على السبب العميق، لأن ذاتك ليست حاضرة إن كان التعلق موجوداً.

ذاتك غائبة كثيراً بحيث تحاول أن تتمسك بأي شيء من أجل أن تشعر بالأمان. أنت لست متجذراً، لذلك تحاول أن تجعل من أي شيء جذوراً لك.

عندما تكون متجذراً بذاتك، عندما تعرف تماماً من أنت، ما هي تلك الكينونة الموجودة في داخلك، ماهو ذلك الإدراك الموجود لديك، عندئذٍ لن تحاول التمسك بأي شخص.

سؤال:

ـ يشعر صديقي برغبة أقل في ممارسة الحب، وهذا يجعلني منزعجة ومحبطة، حتى وصلت إلى الحد الذي يجعلني أتصرف فيه بشكل عدواني معه. ماذا عليّ أن أفعل؟

أولاً: هناك دائماً لحظة في الحياة يكون فيها أحد الشريكين غير راغب بممارسة الحب. وهذا يحدث لكل ثنائي. عندما لا يرغب أحد الطرفين بممارسة الحب، سوف يتمسك الآخر به كما لم يفعل من قبل. وهنا يشعر الآخر بأنه إن لم يكن هناك جنس، فإن العلاقة سوف تنتهي.

كلما طالبت بممارسة الحب أكثر كلما ازداد خوف الشريك أكثر. إن العلاقة سوف تختفي ولكن ليس لأن الجنس قد اختفى منها، بل لأنك مستمرة بالمطالبة وهو يتذمر بشكل مستمر.

كذلك، إن لم يشعر بالرغبة في ممارسة الحب ـ من الممكن أن يجبر نفسه على ذلك وعندها سوف يشعر بالسوء، وإذا تصرف كما يريد فسوف يشعر بالسوء أيضاً، لأنه يسبب لك الحزن والتعاسة، سوف يشعر بالذنب.

هناك أمر مهم علينا فهمه: إن ممارسة الجنس ليس لها علاقة بالحب. وعلى أبعد تقدير تكون هي البداية. إن الحب أعظم من الجنس، أرقى من الجنس. يمكن للحب أن يزهر بدون جنس.

(تقاطع السائلة وتقول: "لكنه لا يقول أبداً إنه يحبني؟.")

لا، أنت التي جعلته خائفاً، لأنه إن قال لك إنه يحبك ستكونين مستعدة لتطلبي منه الجنس. في عقلك، الحب مرادف للجنس تقريباً، هذا ما أراه فيك. بسبب هذا أصبح خائفاً حتى من مجرد ملامستك أو معانقتك. إن عانقك أو لامسك، تكونين جاهزة.

أنت تجعلينه خائفاً مع أنك لا ترين الأمر كذلك. أنت تدفعين به بعيداً عنك بدون أن تعي ذلك. سيكون خائفاً حتى من مجرد الحديث معك، لأنه عندما يتكلم يعود الموقف نفسه، ويبدأ الجدال في هذا وذاك.

لا يمكنكم أن تتجادلوا حول الحب. ليس باستطاعتك إقناع أي شخص بالحب، إن هو لم يشعر بذلك فلن يشعر. هو يحبك، وإلا فهو سيتركك. وأنت تحبينه، لكن لديك فهم خاطئ حول الجنس.

إن مفهومي حول هذا الموضوع هو كما يلي: إن الحب يبدأ بالنمو لأول مرة عندما ينتهي الجنس المحموم، عندما يتباطأ الجنس شيئاً فشيئاً. بعدها يترسخ الحب شيئاً فشيئاً، ويصبح أرقى وأسمى. يبدأ بالحدوث شيئاً فشيئاً لكنك لا تعطينه المجال للحدوث. إنه مستعد لأن يحبك، لكنك متشبثة بالجنس. إنك تتابعين دفعه باتجاه الأسفل. وذلك الدفع باتجاه الأسفل ربما يؤدي إلى تدمير كامل العلاقة.

أستطيع أن أفهم، لأن عقل الأنثى يكون متعلقاً بالجنس دوماً، فقط عندما يكون الذكر غير مهتم. إن كان الذكر مهتماً، فسوف تكون المرأة غير مهتمة بشكل كامل. أنا أشهد ذلك كل يوم. إن كان الرجل يلاحقك، فإنك تلعبين لعبة عدم الاهتمام، وبعدها تتغير الأدوار بشكل كامل. بعد ذلك تبدئين بلعبة حاجتك إليه، وأنك بدون الجنس سوف تصابين بالجنون، بأنك لا تستطيعين العيش بدونه. كل ذلك مجرد هراء! ليس هناك من شخص يصاب بالجنون إن لم يقم بذلك.

إن أنت أحببت ذلك الشخص، فإن الطاقة سوف تنتقل، إن أنت لم تحبي الشخص، اتركيه. إن أنت أحببت الشخص، فإن هناك فرصة للطاقة لتنتقل إلى مستوى أعلى، استغلي تلك الفرصة. فالتذمر لن يجدي نفعاً، إنه سيحيل كل شيء إلى بشاعة أكبر وسوف يؤدي إلى عكس ما ترغبين به.

سؤال:

ـ حياتي الجنسية أصبحت هادئة جداً في الفترة الأخيرة، وليس ذلك بسبب عدم رغبتي بالجنس، أو لأني لا أملك الجرأة للوصول إلى امرأة، لكن هذا لا يحدث وحسب. بإمكاني أن أكون سعيداً بوجودي مع امرأة، لكن عندما يأتي الأمر إلى الجنس تتغير الطاقة لدي. يبدو الأمر وكأني أشعر بنعاس شديد. ما هو الخطأ الذي أرتكبه؟

ما يحدث لك ليس لعنة، إنه بركة. إن تفكيرك القديم هو ما يفسر الأمر وكأن شيئاً خاطئاً يحدث معك. كل شيء يسير على طريقه الصحيح، بالطريقة التي يجب أن يسير بها. إن الجنس سيختفي ويظهر بدلاً منه فرح هادئ لعوب، حالة تناغم بين كينونتين صامتتين، ليس عبر لقاء الجسدين، بل بين الروحين بالذات. إن ذلك سيحدث لكل شخص ممارس للتأمل. لا تجبر نفسك على القيام بأي شيء ضد ما يحدث تلقائياً. أي إجبار أو ضغط من طرفك سوف يؤدي إلى إعاقة في نموك الروحي.

من المهم جداً أن تتذكر هذا، وسوف يفسر لك سبب معاداة جميع الأديان لموضوع الجنس. لقد كان ذلك عبارة عن سوء فهم، لكنه سوء فهم طبيعي تماماً. كل شخص يكون في حالة من التأمل يمر بحالة من نقل الطاقات ـ الطاقات التي تتحرك هبوطاً تبدأ بالتحرك صعوداً، فاتحة مراكز أعلى من الإدراك لديك، تفتح لكينونتك آفاقاً جديدة لكنك لا تعرفها. إنها شيء غير مفهوم بالنسبة لك، لذلك

تصاب بحالة من الرعب. وإن حدث ذلك فقط لأحد الشريكين، فستحدث مشكلة. يجب أن يتحول كلا الطرفين معاً إلى حالة التأمل، فقط حينها يستطيعان أن يحافظا على سلامهما معاً، وإلا فهما سيتباعدان.

هذا ما خلق فكرة العفة. فقد تبين أنه في الزواج إن أصبح أحد الشريكين مهتماً بالتأمل فسيتعرض الزواج للخطر. من الأفضل عدم التورط في هذا الأمر كي لا تؤذي شعور الآخر، من الأفضل البقاء وحيداً. لكن ذلك كان قراراً خاطئاً.

القرار الصائب هو أنه إذا نضج أحد شريكي حالة الزواج أو الصداقة فإن عليه أن يساعد الشخص الآخر أيضاً ليتحرك في فضاءات جديدة. عليه أن لا يترك الشريك الآخر خلفه. إن ذلك سيكون ثورة ضخمة في الوعي الإنساني، ولكن لأن الأديان اختارت العزوبية، فإن العالم كله بقي بدون الدخول في حالة التأمل.

لقد أصبح أولئك الذين اختاروا حالة العفة ـ لقد كان شيئاً مختاراً ولم يكن شيئاً حدث لهم من تلقاء نفسه ـ منحرفين. إنهم لم يتجاوزوا الموضوع الجنسي، وبعدها أصبحوا عفيفين. هم حاولوا عكس ذلك، حاولوا العفة أولاً، معتقدين أن التحول يأتي بعدها. الأمر لا يحدث بتلك الطريقة. يجب أن يكون التحول هو الذي يحدث أولاً، بعدها، وبدون أي كبت، بدون صراع مع الجنس، بدون إدانة للجنس، يأتي التحول تلقائياً. لكنه لا يأتي من خلال العفة، إنه يأتي بالتأمل. إنه لا يأتي بالكبت، إنه يأتي من خلال بيئة محبة. إن العفة تعيش في بيئة من الكبت، القمع، الإخضاع، إنها بيئة مريضة نفسياً تماماً. تلك كانت إحدى النقاط الأساسية التي أخطأت فيها كل الأديان.

ثانياً: كل من مارس التأمل وجد أن الجنس يبدأ بالتلاشي متحولاً إلى شيء أفضل ـ يتحول من حالة بيولوجية إلى شيء روحاني. إنه يفتح أبواب الحرية بدلاً من خلق حالة من العبودية والتملك. كل العلاقات تختفي ويشعر المرء في وحدانيته بالرضا الكامل، يشعر بإشباع من نوع لم يكن يستطيع حتى أن يحلم به.

ولكن لأن ممارسي التأمل وجدوا أن هذا يحدث بدون أي استثناءات، فإن الناس الذين أرادوا التأمل استنتجوا بشكل خاطئ أنه ربما أمكن لحالات كبت الجنس أن تساعدهم في تحويل طاقاتهم. لذلك فإن كل الأديان المنظمة بدأت تُعَلّم حياة الإدانة والقمع والتخلي، الحياة التي تقوم على السلبية بشكل أساسي. وقد كان ذلك نوعاً من سوء الفهم.

من خلال كبتك للجنس يمكنك أن تجعل الطاقة منحرفة، لكن ليس باستطاعتك أن تقوم بتحويلها. التحول يأتي عندما تصبح أكثر صمتاً، وعندما يصبح قلبك أكثر تناغماً، وعقلك يصبح أكثر وأكثر سلاماً. وعندما تصبح أقرب وأقرب إلى نفسك، إلى جوهرك، ذلك التحول الذي لا يكون من صنعك يحدث من تلقاء نفسه. إن الطاقة التي كنت تعرفها على أنها جنسية تصبح روحانيتك الحقيقية. إنها نفس الطاقة، وليس هناك إلا تغيير بالاتجاه. إنها لا تتحرك نحو الأسفل، إنها حركة نحو الأعلى.

إن ما يحدث لك سوف يحدث لكل باحث بدون استثناء. لذلك فإن سؤالك سيصبح عاجلاً أم آجلاً سؤال كل شخص. وأينما حدث ذلك فإن الشريك الذي تركته وراءك لن يشعر بالإهانة، سيشعر بالبهجة لأن تجربة جميلة تحدث لصديقه أو حبيبه على الأقل. ويأمل بأن تنضم إليه أو ينضم إليها بأسرع وقت ممكن. يجب أن توجه جهدك إلى التعمق بالتأمل، بحيث تحافظ على رفقة شريكك، وباستطاعتكما أن تتابعا الرقص معاً متجهين نحو الهدف الأقصى للحياة.

لكن تذكر دائماً أنه مع نمو روحانيتك فإن جنسيتك سوف تسير باتجاه الزوال. سيكون هناك نوع آخر من الحب ـ النقاء، البراءة الخالصة، بدون أي تملك، بدون غيرة، لكن بكل ما في العالم من تعاطف. فليساعدْ كل منا الآخر في نموه الداخلي.

لذلك ليس عليك أن تشعر بأن هناك شيئاً سيئاً يحدث معك، إن شيئاً جيداً قد حدث فجأة. أنت لم تكن مدركاً، لقد حدث لك على حين غرة.

كان هايمي يسير في الطريق مع بيتي الصغيرة ذات الأعوام الأربعة. وبينما هما يهمان بقطع الشارع، تذكر هايمي الصغير تعليمات والدته، فخاطب بيتي: "دعيني أمسك يدك،" عارضاً عليها تصرفاً شهماً.

"حسناً،" أجابت بيتي. "لكن أريدك أن تعرف أنك تلعب بالنار."

إن أي علاقة بين رجل وامرأة هي لعب بالنار، وبالأخص إن كنت قد بدأت في تحولك إلى متأمل أيضاً. حينها تكون محاطاً بنار مستعرة، لأن هناك الكثير من التغيرات على وشك الحدوث وأنت غير مستعد لها، ولا يمكن أن تكون مستعداً لها.

أنت على وشك الانتقال إلى عوالم مجهولة في كل لحظة، في كل يوم. سيكون هناك العديد من المرات التي يتركك فيها الشريك وراءه، أو تترك فيها شريكك وراءك، وهذا ما سيسبب ألماً كبيراً للاثنين معاً.

في البداية، عندما تبدأ هذه الحالة يكون الاستنتاج الطبيعي أن العلاقة توشك أن تنتهي، وأنك لم تعد مغرماً. بالتأكيد أنت لم تعد مغرماً بالطريقة التي كنت عليها سابقاً ـ ذلك العشق القديم لم يعد ممكناً. كان ذلك حباً حيوانياً ومن الجيد أنه انتهى. والآن سوف يحدث ما هو أرقى وأكثر قدسية. لكن على كل منكما أن يساعد الآخر.

تلك هي الأوقات الصعبة الحقيقية: عندما تعرف ما إن كنت تحب شريكك، أو ما إن كان الشريك يحبك، عندما تظهر تلك الفجوات الكبيرة بينكما وتشعران بأنكما تتباعدان كثيراً. إنها لحظات حاسمة، اختبار النار، عندما يتعين عليك أن تقرب الآخر منك، ذلك الذي تركته وراءك. عليك أن تساعد الشخص الآخر ليصبح تأملياً.

الفكرة الطبيعية هي أن تهبط بنفسك حتى لا يشعر الآخر بالإهانة. لكنه تصرف خاطئ تماماً. إنك بهذا لا تساعد الآخر، بل إنك تؤذي نفسك. إنك تخسر

فرصة جيدة. عندما كان بإمكانك رفع الآخر باتجاه المرتفعات فقد هبطت بنفسك.

لا تقلق من أن الآخر سيشعر بالإهانة. لقد بذلت كل ما في وسعك لتسحب الآخر إلى نفس المكان الذي أصبحت فيه، إلى نفس العقل التأملي، والآخر سيكون ممتناً وليس مهاناً. لكن هذه ليست اللحظة التي يجب أن تنفصلا فيها. إنها اللحظة التي يكون عليك فيها أن تبذل جهداً لتبقى على تواصل مع الآخر، بأكبر قدر ممكن من التعاطف. لأنه إن لم يكن باستطاعة الحب أن يساعد الآخر في تحويل الطاقة الحيوانية إلى طاقة روحانية بمستوى أعلى، عندها فإن حبك لن يكون حباً، ولا يستحق أن يسمى حباً.

سيواجه كل شخص المشاكل نفسها. لذلك عندما تظهر المشكلة، لا تفكر مرتين. اسأل السؤال بشجاعة مهما بدوت غبياً. لأن ذلك لن يساعدك أنت فقط، بل يساعد الكثير من الآخرين الذين يناضلون بالوضع نفسه، ولكن ليست لديهم الشجاعة الكافية ليقوموا بهذا. إنهم يحاولون تسوية الوضع بجهودهم الشخصية، بطريقة ما.

إنها ليست تسوية. ومن الجيد أنها فقدت حالتها القديمة. من الجيد أنها غير ثابتة وأن مشكلة قد ظهرت. الأمر الآن يعتمد عليك وعلى ذكائك، كيف تستغل الفرصة: في مصلحة النمو الذي تحققه أم ضده؟ إن طرح السؤال قد يساعدك.

هناك أمران: الأول، تذكر أنك محظوظ لأن الجنس يبدو وكأنه يزول من حياتك. ثانياً، لا تعتقد بأن الشخص الآخر يشعر بالإهانة. اكشف قلبك للشخص الآخر، لا تحاول أن تجلب نفسك إلى مكان تواجد الآخر، بل ابذل ما بوسعك لتمسك بيده، خذها، أو خذه إلى درجة أعلى، إلى المكان الذي وجدت نفسك فيه بشكل فجائي.

يكون الأمر صعباً فقط في البداية، لاحقاً سيصبح سهلاً جداً. عندما يكون لدينا شخصان ينموان ويرتقيان معاً فستظهر الفجوات فيما بينهما عدة مرات، لأنه

ليس بوسع الناس مماشاة بعضهم بعضاً بنفس الوقع، لكل شخص سرعته الخاصة به، كل شخص له تميزه الخاص في نموذج النمو أو التطور. لكن إن كنت تحب فعلاً، يمكنك أن تنتظر قليلاً حتى يصل الآخر إليك، وعندها يمكنكما الوصول إلى مكان أبعد يداً بيد.

أريد من جماعتي بشكل خاص ألا يفكروا أبداً بموضوع العفة. إن أتت حالة العفة من تلقاء نفسها فتلك قضية أخرى، أنت لست مسؤولاً عنها. وعندها فهي لن تجلب معها أي شذوذات، عندها سوف تجلب معها تحولاً عظيماً للطاقات.

سؤال:

ـ كيف لي أن أعرف إن كان الانفصال أو اللامبالاة هما نمو داخلي؟

ليس من الصعب أن تعرف. كيف تستطيع أن تعرف أن لديك صُداعاً أم ليس لديك صُداع؟ إنه واضح ببساطة. عندما تنمو بحالة الانفصال فإنك تصبح أكثر صحة، أكثر سعادة، تصبح حياتك هي حياة من المتعة. تلك هي المعايير التي تدلّ على أن كل هذا هو جيد.

الفرح هو معيار. إن كنت ترتقي بحالة من الفرح، فإنك ترتقي وتذهب باتجاه منزلك. في حالة اللامبالاة ليست هناك إمكانية لنمو الفرح. في الواقع، إن كان لديك قبلها قليل من البهجة فسوف تختفي.

السعادة هي الصحة، وبالنسبة لي، التدين هو بشكل رئيسي طلب للسعادة. إن مبدأ البحث عن اللذة هو جوهر الدين. أن تكون سعيداً هو كل شيء. عليك أن تتذكر، إن كانت الأمور تسير بشكل صحيح، وإن كنت تتحرك بالاتجاه الصحيح، فسوف تجلب لك كل لحظة المزيد من البهجة، وكأنك تسير باتجاه حديقة جميلة. كلما اقتربت كلما أصبح الهواء أنقى، أكثر إنعاشاً، أذكى رائحة.

ستكون هذه إشارة إلى أنك تسير بالاتجاه الصحيح. إن أصبح الهواء أقل إنعاشاً، أقل برودة، أقل عطراً، فهذا يعني أنك تسير بالاتجاه المعاكس.

الوجود مكون من السعادة وتلك هي مادته تحديداً. الفرح هو المادة التي يتكون منها الوجود. لذلك كلما تحركت باتجاه أن تصبح أكثر وجودية سوف تصبح سعيداً أكثر فأكثر، وذلك بدون أي سبب. إن تحركت باتجاه الاستقلال فإن الحب سينمو، الفرح سينمو، ولن يسقط إلا التعلق لأن التعلق يجلب التعاسة، لأن التعلق يجلب العبودية، لأن التعلق يدمِّر حريتك.

لكن إن أصبحت لا مبالياً... فاللامبالاة عبارة عن نقود مزيفة، إنها تبدو مشابهة للاستقلال. لكن لا شيء ينمو وينضج في وجودها. ببساطة سوف تتقلص وتموت. اذهب وشاهد: هناك الكثير من النساك في العالم ـ كاثوليكيون، هندوس، جاينا، بوذيون ـ راقبهم. إنهم لا يعطونك شعوراً بأنهم متألقون، ليست لديهمَ هالة من العطر، لا يبدون أكثر حياة منك، في الواقع، يبدون أقل حياة، مقعدين، مشلولين. مسيطرين بالطبع، لكن ليس في العمق، نظامهم الداخلي منضبط، لكنهم يتبعون وعياً محدداً هو الوعي الذي أعطاه المجتمع لهم لكنهم لم يصبحوا مدركين ولا أحراراً ولا أفراداً متميزين. إنهم يعيشون كما لو أنهم في قبورهم، إنهم ينتظرون موتهم. حياتهم أصبحت نكدة، رتيبة و حزينة. إنه نوع من اليأس.

احترس. عندما يحدث خطأ فإن هناك مؤشرات ما في كيانك. الحزن مؤشر، الاكتئاب مؤشر، الفرح و الاحتفال، هما مؤشران أيضاً. ستغني أكثر إن أنت تحركت باتجاه الانفصال. سوف ترقص أكثر وستكون محباً أكثر.

تذكر، الحب ليس تعلقاً. الحب لا يعرف التعلق، وذلك الذي يعرف التعلق ليس حباً. إنه نوع من التملك، الهيمنة، التشبث، الخوف، الطمع، ويمكن أن نعدّ الكثير من الأشياء، لكنها ليست حباً. باسم الحب تتظاهر أشياء أخرى، باسم الحب تختبئ الأشياء الأخرى، لكن وُضِعَ على الصندوق ملصق مكتوب عليه

كلمة "حب". في الداخل توجد الكثير من الأشياء المخبأة، لكنها ليست حباً على الإطلاق.

راقب: إن حدث وتعلقت بشخص ما، هل أنت واقع في الحب؟ أم إنك خائف من فردانيتك لذلك تتعلق بذلك الشخص؟ لأنه ليس باستطاعتك أن تبقى وحيداً، فأنت تستخدم الشخص فقط من أجل ألا تصبح وحيداً. بعدها تصبح خائفاً. إن انتقل هذا الشخص إلى مكان ما أو وقع في حب شخص ما، فسوف تقتل ذلك الشخص وستقول: "لقد كنت متعلقاً بشكل كبير." أو ربما تقتل نفسك وتقول: "كنت متعلقاً جداً لدرجة لم أستطع بها أن أعيش بدونها أو بدونه."

إنه مجرد غباء، إنه ليس حباً، إنه شيء آخر. أنت خائف من فردانيتك، لست قادراً على البقاء مع نفسك، أنت بحاجة إلى شخص ما ليلهيك، وتريد أن تمتلك ذلك الشخص، تريد أن تستخدم الشخص الآخر كأداة من أجل غاياتك الخاصة. أن تستخدم شخصاً ما كأداة هو نوع من العنف.

لقد جعل (عمانوئيل كانت) هذه القضية من أساسياته للحياة الأخلاقية ـ إنه كذلك. لقد اعتاد أن يقول إن التعامل مع شخص ما كأداة هو من أكثر التصرفات اللا أخلاقية الموجودة. إنها كذلك حقاً، لأنك عندما تعامل الشخص الآخر كأداة ـ من أجل سعادتك، من أجل رغباتك الجنسية، من أجل خوفك أو من أجل أي شيء آخر ـ عندما تستخدم شخصاً ما كأداة فإنك تقلل من شأن هذا الشخص لدرجة تحويله إلى شيء. إنك بهذا تدمر حريته أو حريتها، إنك بهذا تقتل روحه أو روحها.

لا يمكن للروح أن تنمو إلا في الحرية ـ الحب يمنح حرية. وعندما تعطي الحرية تكون حراً، ذلك ما يعنيه الاستقلال. إن فرضت العبودية على الآخر فإنك بهذا تسجن نفسك بالوقت نفسه. إن أنت قيدت الآخر فسوف يقوم الآخر بتقييدك، إن أنت حددت الآخر، إن حاولت تملك الآخر فإنه سيتملكك بالمثل.

هكذا تستمر الثنائيات في الصراع بين الناس من أجل الهيمنة طوال حياتهم. الرجل على طريقته والمرأة على طريقتها، كلاهما يصارعان. إنها حالة من التذمر والصراع المتواصلين. يعتقد الرجل أنه يستطيع بطريقة ما أن يسيطر على المرأة، والمرأة تعتقد أنها بطريقة ما تستطيع السيطرة على الرجل. إن السيطرة ليست حباً.

لا تعامل أي شخص وكأنه أداة. عامل كل شخص على أنه غاية بنفسه، حينها لن تتمسك ولن تكون متعلقاً. أنت تحب، لكن حبك يمنحك الحرية ـ وعندما تمنح الحرية للآخرين تصبح حراً. من خلال الحرية فقط يمكن لروحك أن تنمو. سوف تشعر بالكثير الكثير من السعادة.

لقد أصبح العالم مكاناً غير سعيد أبداً، ليس لأنه مكان غير سعيد، بل لأننا فعلنا به شيئاً سيئاً. يمكن لهذا العالم نفسه أن يصبح مكاناً للاحتفال.

لقد سألتني، كيف لي أن أعرف ما إن كان الانفصال واللامبالاة تعني نمواً في الداخل؟

إن شعرت بالسعادة، إن كنت تشعر بالسعادة مع أي ما كان ينمو بداخلك، إن شعرت بأنك أكثر توازناً وأكثر استقراراً وحياة مما كنت عليه، عندها استمر بما تفعله. عندها ليس هناك من خوف. لتكن السعادة محكك، لتكن المعيار ـ لا يوجد شيء آخر يمكن أن يكون معياراً.

مهما كان ما كُتِبَ في الكتاب المقدس فلن يكون معياراً ما لم ينبض قلبك بالسعادة. مهما يكن ما أقوله فليس باستطاعتنا أن نجعله معياراً لك ما لم ينبض قلبك بالسعادة. في اللحظة التي وُلِدتَ فيها فإن المؤشر الدقيق وُضِعَ في داخلك. إنه جزء من الحياة الذي باستطاعتك دائماً ومن خلاله أن تعرف ما يحدث، باستطاعتك دائماً أن تشعر فيما إذا كنت سعيداً أم لا. لا أحد يسأل كيف لي أن أعرف إن كنت سعيداً أم لا. لم يطرح أحد هذا السؤال قط. عندما تكون غير سعيد، فأنت تعرف، وعندما تكون سعيداً، تعرف أيضاً. إذاً تلك هي قيمة

جوهرية. أنت تعرفها، لقد وُلِدتَ وأنت تعرفها، لذلك استخدم ذلك المؤشر الجوهري ولن يخدعك طوال حياتك.

سؤال:

- في رؤياك عن نموذج اجتماعي، هل هناك (كميون) كبير أم سلسلة من (الكميونات)؟ إن كان هناك أكثر من واحد، فكيف ستكون العلاقات بين كميون وآخر؟ هل تتخيل أشخاصاً من (كميونات) مختلفة قادرين على الاعتماد بعضهم على البعض، يتشاركون الأفكار والمهارات؟

يطرح هذا السؤال لنا شيئاً مهماً جداً، هو مبدأ المشاركة. لقد عاش الإنسان في حالة من التبعية ورغب الإنسان بالاستقلالية وصارع من أجلها، لكن لا أحد يبحث في الواقع. كلاهما: التبعية والاستقلالية أمران متطرفان.

إن الواقع هو في الوسط تماماً، إنه التكافل. كل شيء يقوم على التكافل. إن أصغر نبتة في الأرض وأكبر نجم في السماء يتكافلان. هذا هو أساس علم البيئة. لأن الإنسان تصرف بدون أن يفهم حقيقة التكافل، فقد دمرالكثير من الوحدة العضوية للحياة. كان يقطع يديه وقدميه بدون أن يعرف.

لقد اختفت الغابات. تُقطع ملايين الأشجار في كل يوم. إن العلماء يحذرون، لكن لا أحد مستعد للإصغاء. إن اختفت كل الأشجار عن سطح الأرض فلن يكون باستطاعة الإنسان أن يعيش. نحن في حالة تبادل داخلي عميق. الإنسان يتابع عملية استنشاق الأكسجين وطرح غاز الكربون، الأشجار تتابع استنشاق الكربون وطرح الأكسجين. ليس باستطاعتك أن تحيا بدون الأشجار، وبالطريقة نفسها ليس باستطاعة الأشجار أن تعيش بدونك.

ذلك مثال بسيط، لكن الحياة محبوكة بالكثير من الطرق. بسبب اختفاء الكثير من الأشجار تجمع المزيد من غاز الكربون في الجو مما أدى إلى ارتفاع

الحرارة على الأرض بمقدار أربع درجات. ربما كان هذا المقدار من الارتفاع تافهاً بالنسبة لك، لكنه ليس تافهاً. لاحقاً ستصبح تلك الحرارة كافية لتذيب الجليد، فيرتفع مستوى الماء في كل المحيطات. وستفيض وتغمر كل المدن الموجودة على شواطئ تلك المحيطات ـ كل المدن الكبيرة هي هناك.

إن تابعت الحرارة بالارتفاع كما هو الاحتمال المرجح لأنه ما من أحد يستمع.... وإذا ظلت الأشجار تُقطع من أجل أشياء عديمة الفائدة وبدون أي فهم ـ من أجل صحف من الدرجة الثالثة نحتاج ورق الجرائد ـ فأنت تدمر الحياة. إذا ما ذاب الجليد الموجود على جبال الهيمالايا، وذلك لم يحدث أبداً في الماضي، فهناك إمكانية لارتفاع منسوب مياه المحيطات بمقدار عشرين قدماً، وبالتالي سوف تغمر على الأغلب كامل الأرض. ستغمر جميع المدن: بومباي وكالكتا، نيويورك ولندن.... وسان فرانسيسكو. ربما ينجو القليل من السكان البدائيين الذين يعيشون في مستوى أعلى في الجبال.

هذا هو التكافل. عندما وصل أول رواد فضاء إلى القمر أصبحنا مدركين ولأول مرة أن كامل الكرة الأرضية محاطة بطبقة ثخية من الأوزون، وهو نوع من الأكسجين. تلك الطبقة من الأوزون تحيط بالأرض كما لو أنها غطاء. إن وجود تلك الطبقة من الأوزون هو ما جعل الحياة على الأرض ممكنة، لأن الأوزون يمنع وصول الأشعة المميتة من الشمس. إنه يسمح فقط للأشعة الضرورية للحياة ويمنع الأشعة المميتة، إنه يرجعها إلى الفضاء.

لكن من خلال غبائنا في وصولنا إلى القمر، صنعنا ثقباً في تلك الطبقة، وتتابعت الجهود. والآن نحن نحاول الوصول إلى المريخ! كلما اخترق الصاروخ طبقة الأتموسفير المحيطة بالأرض ـ سماكته حوالي مئتي ميل ـ فهو يخلق ثقوباً كبيرة. ومن خلال تلك الثقوب تتمكن الأشعة المميتة من دخول الأرض. الآن يقول العلماء إن تلك الأشعة المميتة سوف تزيد من نسبة السرطان بمقدار ثلاثين بالمئة، وهناك أمراض أخرى لا تعدّ.

السياسيون الأغبياء لا يستمعون. وإن وصفتهم بالأغبياء فإنك تُوضع بالسجن، تُعاقب، يتم اتهامك بالادعاءات الكاذبة. لكني لا أجد ما أستطيع أن أصفهم به. كلمة أغبياء تبدو ألطف كلمة والأكثر حضارية مما يمكن أن يطلق عليهم. إنهم لا يستحقونها، إنهم يستحقون شيئاً أسوأ.

الحياة هي تكافل عميق.

رؤيتي عن (الكميون) هي أن تلك الأمم تختفي والمدن الكبيرة تختفي، لأنها لا تسمح بما يكفي من المساحة لكل إنسان، وكل إنسان لديه حاجة نفسية محددة لوضع حدود معترف بها، تماماً كما هي الحيوانات الأخرى. في المدن الكبيرة يتحرك الإنسان باستمرار ضمن حشد. ذلك يخلق قلقاً كبيراً، توتراً، ألماً، ولا يسمح له بأي وقت من أجل الاسترخاء، ولا بمكان ليكون بمفرده، ليكون مع الأشجار التي هي مصادر مانحة للحياة، ليكون مع المحيط، الذي هو مصدر مانح للحياة.

رؤيتي لعالم جديد، عالم (الكميونات)، تعني أنه ليست هناك أمم، ولا مدن كبيرة، ولا عائلات، بل الملايين من الكميونات الصغيرة تنتشر على سطح الأرض في الغابات الكثيفة، الغابات المورقة الخضراء، في الجبال، على الجزر. أصغر كميون يمكن إدارته، وقد جربناه سلفاً، يمكن أن يتألف من خمسة آلاف شخص، وأكبر كميون يحوي خمسين ألف شخص. من خمسة آلاف إلى خمسين ألف ـ الأكثر من ذلك سوف يصبح غير قابل للتنظيم، حينها مجدداً يظهر موضوع النظام والقانون، والشرطة، والمحكمة، كل تلك الأمور يجب أن تعاد.

الكميون الصغير... المكون من خمسة آلاف شخص يبدو أنه مثالي، لأننا جربنا ذلك. يعرف كل شخص منهم الأشخاص الآخرين، كان الجميع أصدقاء. ليس هناك زواج ـ الأطفال ينتمون للكميون. يتواجد في الكميون مستشفيات، مدارس، كليات. الكميون هو الذي يعتني بالأطفال، وباستطاعة الأهل زيارتهم. ببساطة،

ليس مهماً إن كان الوالدان يعيشان معاً أم أنهما منفصلان. بالنسبة للطفل، هما موجودان، بإمكانه زيارتهما وبإمكانهما زيارته.

يجب أن تكون جميع الكميونات تكافلية. لكن يجب عدم تبادل النقود، على النقود أن تتلاشى. لقد سببت ضرراً كبيرة للإنسانية وحان الوقت الآن لتوديعها! على تلك الكميونات أن تتبادل الأشياء. إن كان لديك فائضٌ من إنتاج الحليب فبإمكانك أن تعطيه للكميون الآخر، لأنك تحتاج إلى مزيد من الملابس وذلك الكميون يستطيع تزويدك بها. إنه نظام مقايضة بسيطة، ولن يستطيع أي كميون أن يصبح غنياً.

إن النقود شيء غريب جداً. باستطاعتك تكديسها، ذلك هو السر الأغرب للنقود. ليس باستطاعتك تكديس منتجات الحليب ولا الخضار. إن كان لديك فائضٌ من الخضار يمكنك أن تتشارك بها مع كميون ما ليس لديه كمية كافية منها. لكن يمكن تكديس النقود. وإن أصبح أحد الكميونات أغنى من البقية، عندها سيدخل من الباب الخلفي كل من الفقر والغنى وكل كوابيس الرأسمالية، وطبقات الغنى والفقر ورغبات السيطرة والهيمنة. لأنك غني تستطيع استعباد الكميونات الأخرى، إن المال واحد من أعداء الإنسان.

سوف تتبادل الكميونات منتجاتها. سوف يبث الكميون على محطات الراديو التي تخصه أن منتجاً ما متوفر لديه. والكميون الذي لديه منتجٌ آخر يحتاجه الكميون الأول يمكنه الاتصال به، ويمكن بهذا تبادل المنتجات بطريقة لطيفة، ليس هناك من مساومات أو استغلال. لكن الكميون يجب ألا يصبح كبيراً جداً، لأن الضخامة خطرة أيضاً. ومعيار حجم الكميون يقوم على أن كل شخص يعرف كل الاشخاص الآخرين، هذا يجب أن يكون حداً. وعندما يتم تجاوز هذا الحد، على الكميون أن ينقسم إلى اثنين. كما ينفصل أي أخوين يعيشان في بيت واحد، عندما يصبح الكميون كبيراً بما يكفي فإنه يقسم نفسه إلى كميونين، كميونين متآخيين.

سيكون هناك تكافلٌ عميقٌ، مشاركة في الأفكار والمهارات، بدون كل تلك المواقف التي تنمو وتزدهر بالتملك، كالقومية، والتعصب. ليس هناك من شيء لتتعصب ضده. ليس هناك من أسباب لتواجد الأمم.

يمكن لمجموعة صغيرة من الناس أن تستمتع بالحياة بسهولة أكبر، أن يكون لديك الكثير من الأصدقاء والمعارف هو فرح بحد ذاته. في هذه الأيام في المدن الكبيرة، تعيش في البيت نفسه ولا تعرف جيرانك. ربما يعيش ألف شخص في بناء واحد، وهم غرباء بشكل كامل بعضهم عن بعض. إنهم يعيشون في تجمع كبير ومع ذلك هم وحيدون.

فكرتي عن الكميون تعني العيش في تجمعات صغيرة وهذا يعطيك فسحة كافية، ومع ذلك لا نزال نعيش في علاقة قرب ومحبة. إن أطفالك يتلقون رعاية الكميون، حاجاتك وطبابتك أيضاً. يصبح الكميون هو عائلتك الأصلية بدون تلك الأمراض التي خلقتها العائلة في الماضي، إنها عائلة غير مقيّدة وحركة مستمرة.

ليس هناك أي نوع من الزواج أو الطلاق. إن رغب شخصان بالعيش معاً يمكنهما أن يكونا معاً، وفي أي يوم يرغبان بالانفصال فلا بأس بذلك أبداً. كان العيش معاً خيارهما، الآن بإمكانهما اختيار صديقين جديدين. لماذا لا نعيش حقاً عدة حيوات في حياة واحدة؟ لماذا لا نجعل حياتنا أغنى؟ لماذا على رجل أن يتشبث بامرأة أو على امرأة أن تتشبث برجل ما لم يستمتع أحدهما بالآخر، بحيث يرغبا بالبقاء معاً إلى نهاية الحياة؟

لكن إن نظرنا إلى العالم فإننا نجد الوضع واضحاً. يريد الناس أن يكونوا مستقلين عن عائلاتهم، يريد الأطفال أن يستقلوا عن عائلاتهم. منذ عدة أيام قام طفل صغير في كاليفورنيا بشيء متميز وخاص. أراد أن يخرج للعب. ليس في هذا شيء مميز، يجب أن يتم السماح لجميع الأطفال أن يخرجوا للعب. لكن الأب والأم أصرّا: "لا، لا تخرج للعب، عليك أن تلعب داخل البيت." فأطلق الطفل النار على والديه. لقد لعب داخل البيت! هناك حد، يسمع دائماً كلمة لا، لا، لا...."

إن النسبة المتوسطة لتغيير الزوج والزوجة في أميريكا هي ثلاث سنوات. إنها النسبة نفسها التي يغير فيها الناس عملهم، النسبة نفسها التي يغير فيها الناس مدينتهم. يبدو وكأن هناك شيئاً خاصاً حول تلك النسبة (ثلاث سنوات)! يبدو وكأنها الحد الذي يمكن به للشخص أن يتحمل. بعد ذلك، يصبح الوضع غير محمول. لذلك يغير الناس زوجاتهم وأزواجهم، مدنهم، ويغيرون أعمالهم.

لكن في الكميون ليست هناك حاجة لإثارة ضجة حول الموضوع. يمكنك أن تقول وداعاً بأي وقت، ويمكنك أن تبقى صديقاً، فمن يعرف؟ بعد سنتين ربما تقع في حب الشخص نفسه أو المرأة نفسها، خلال سنتين ربما تنسى كل تلك المشاكل، وربما ترغب بتذوق الطعم مجدداً، أو ربما تكون قد وقعت في يد امرأة أسوأ أو رجل أسوأ، وندمت، وتريد العودة مجدداً! لكن سوف تكون الحياة أغنى، سوف تكون قد عرفت الكثير من الرجال والكثير من النساء. لكل رجل تميزه الخاص، لكل امرأة تميزها.

يمكن للكميون أيضاً أن يبادل الأشخاص المقيمين به، إن أراد أي شخص أن ينتقل إلى كميون آخر وكان الكميون الآخر مستعداً للقبول. ربما يقول الكميون الآخر: "إن كان هناك شخص ما آخر يريد أن ينتقل إلى كميونك، فإن الاستبدال ممكن، لأننا لا نريد أن نزيد عدد السكان لدينا." يمكن للناس أن يقرروا. يمكن أن تذهب وتقدم نفسك، ربما أُعجبت بك امرأة ما، بعض الناس ربما يصبحون أصدقاء. ربما أصبح بعض الناس متململين في ذلك المكان، ويريدون أن يغيروا كميونهم.

يجب أن يصبح العالم كله كتلة إنسانية واحدة، يقسم الناس فيه فقط إلى كميونات صغيرة على أسس عملية، بدون تعصب ولا عنصرية ولا أممية. عندها وللمرة الأولى يمكننا أن نتخلص من فكرة الحروب. يمكننا أن نجعل الحياة شريفة، تستحق العيش وتستحق السعادة، حياة لعوبة وتأملية وخلاقة، تعطي كل رجل وكل امرأة فرصاً متساوية للنمو والازدهار وإظهار إمكانياتهم.

القسم الرابع

الفردانية

كل جهد تم توجيهه باتجاه تجنب الوحدة قد فشل، وسوف يفشل، لأنه أساساً ضد مبادئ الحياة. ما أنت بحاجة له ليس شيئاً يمكنك به أن تنسى وحدتك. ما تحتاجه هو أن تصبح مدركاً وواعياً لفردانيتك، والتي هي الواقع. ومن الجميل أن تختبرها وتعيشها، أن تشعر بها لأنها حريتك من الازدحام البشري، حريتك من الآخر. لأنها حريتك من الخوف من أن تكون وحيداً.

الفصل الرابع عشر

الفردانية هي طبيعتك

الشيء الأول الذي علينا إدراكه هو أنه إن كنت ترغب بذلك أم لا، فأنت فرداني. إن الفردانية هي طبيعتك. يمكنك أن تنساها، يمكنك أن تحاول ألا تكون وحيداً بأن تكوّن صداقات، أن تقع في الحب، أن تختلط بالناس... لكن مهما فعلت فسوف كل ذلك يبقى مجرد شيء على السطح. أما في العمق، فإن فردانيتك لا يمكن الوصول إليها ولا المساس بها.

شيء غريب يحدث لكل إنسان على وجه الأرض، وهو أنه يولد بحالة خاصة جداً، وهي أنه موجود في عائلة منذ ولادته. ليس هناك من طريقة أخرى، لأن المولود البشري أضعف المخلوقات في الوجود. إن الحيوانات الأخرى تولد مكتملة. الكلب يستمر في حياته ككلب ولن ينضج أو يتطور. نعم سوف يصبح أكبر عمراً، هرماً، لكنه لن يصبح أذكى، لن يصبح أكثر وعياً، ولن يصبح متنوراً. بهذا المعنى

فإن كل الحيوانات تبقى تماماً كما هي في لحظة الولادة، لا تحدث تغيرات جوهرية فيها. إن ولادتها وموتها يسيران في خط أفقي.

الإنسان وحده لديه الإمكانية ليتطور بشكل عمودي، للأعلى، وليس فقط بشكل أفقي. معظم البشر يتصرفون مثل الحيوانات، تكون الحياة مجرد نمو حتى مرحلة الهرم، وليس تطوراً في النمو. إن النضج والتقدم في السن هما تجربتان مختلفتان تماماً.

يولد الإنسان في عائلة بين البشر. وهو منذ لحظة حياته الأولى لا يكون وحيداً، لذلك يحصل على حالة نفسية معينه تقوم على البقاء دائماً مع الناس. في حالة الفردانية يبدأ بالشعور بالخوف... خوف غير مفهوم. هو لا يدرك تماماً ما هو الشيء الذي يخاف منه، لكن في اللحظة التي يبتعد فيها عن الناس فإن شيئاً ما بداخله يصبح قلقاً. إن وجوده بين الأخرين يشعره بشيء لطيف، يشعره بالراحة.

ولهذا السبب فهو لا يتعرف على جمالية الفردانية، الخوف يمنعه من رؤيتها. لأنه قد وُلِدَ في مجموعة فهو يبقى فرداً من مجموعة، ومهما كبر بالعمر يستمر بتشكيل المجموعات، اتحادات جديدة، أصدقاء جدد. إن التجمعات الموجودة سلفاً لا ترضي رغباته ـ كمجموعات الأمة، الدين، الأحزاب السياسية ـ لذلك يقوم بتشكيل اتحاداته الخاصة، نادي الآلات (نادي روتري) أو (نادي ليونز)، نادي الأسود. لكن كل هذه الاستراتيجيات تأتي فقط لخدمة شيء واحد ألا وهو: عدم البقاء وحيداً.

كل تجربة الحياة تقوم على البقاء ضمن مجموعات. تبدو الفردانية على الأغلب مشابهة للموت. بطريقة ما هي الموت، إنها موت الشخصية التي قمت بتشكيلها ضمن الناس، إنها هدية الآخرين لك. في اللحظة التي تخرج بها من بين الناس فإنك تخرج فيها من شخصيتك.

بين الناس أنت تعرف تماماً من أنت. أنت تعرف اسمك، تعرف شهادتك، تعرف مهنتك، تعرف كل ما هو مطلوب منك من أجل جواز سفرك، تعرف بطاقة هويتك، لكن في اللحظة اللتي تبتعد فيها عن الناس، ما هي هويتك؟ من أنت؟ تصبح مدركاً فجأة أنك لست اسمك. إن اسمك قد أعطي لك. أنت لست عرقك البشري. ما علاقة عرقك بوعيك؟ قلبك ليس هندياً أو مسلماً، كينونتك ليست محصورة ضمن أية حدود سياسية لأمة، إن وعيك ليس جزءاً من أية مجموعة أو أية كنيسة. من أنت إذاً؟

فجأة تبدأ شخصيتك بالتشتت. ذلك هو الخوف، إنه موت الشخصية. الآن عليك أن تكتشف من جديد، عليك أن تسأل وللمرة الأولى: من أنت؟ سوف يكون عليك أن تبدأ عملية تأمل على سؤالك: من أنا؟ ـ وهنالك خوف من ألا تكون موجوداً على الإطلاق! ربما لم تكن شيئاً إلا تشكيلة من كل الآراء الخاصة بالناس، لم تكن شيئاً سوى شخصيتك.

لا أحد يرغب بأن يكون لا شيء. لا أحد يرغب بأن يكون لا أحد، أما في الواقع فإن كل شخص هو لا أحد.

لدينا قصة جميلة جداً....

وصلت (أليس) إلى أرض العجائب. أتت لزيارة الملك وسألها الملك: "أليس، هل قابلت رسولاً قادماً نحوي؟"

قالت له: "قابلت لا أحد."

سأل الملك: "إذا كنت قد قابلت (لا أحد) فلماذا لم يصل حتى الآن؟"

كانت أليس مرتبكة جداً. قالت: "أنت لم تفهمني بشكل جيد. لا أحد هو لا أحد."

قال الملك: "من الواضح أن لا أحد هو لا أحد، لكن أين هو؟ من المفروض أن يكون قد وصل حتى الآن. هذا يعني ببساطة أن لا أحد يمشي أبطأ منك."

وبشكل طبيعي كانت أليس منزعجة جداً ونسيت أنها كانت تتكلم مع الملك، قالت: "لا أحد يمشي أسرع مني؟"

ويستمر الملك بالتحدث عن "لا أحد". تفهم أنه يقول، "لا أحد يمشي أبطأ منك."

"... وأنا سريعة بالمشي. أنا أتيت من عالم آخر إلى بلاد العجائب، وهو عالم صغير - وهو يهينني." وبشكل طبيعي ردت بالمثل، "لا أحد يمشي أسرع مني!"

قال الملك: "إن كان ذلك صحيحاً، لماذا إذن لم يصل؟"

واستمر النقاش بهذه الطريقة.

كل شخص هو لا أحد.

إذن المشكلة الأولى للباحث هي أن يفهم طبيعة الفردانية. إنها تعني (اللا أحدية)، إنها تعني أن تتخلى عن شخصيتك، التي هي هدية لك من الناس. عندما تبتعد خارج المجتمع لن تتمكن من أخذ تلك الهدية معك في فردانيتك. في فردانيتك سوف تعيد الاكتشاف من البداية، مرة أخرى، ولا أحد يضمن ما إن كنت ستجد أحداً فيها أم لا.

أولئك الذين وصلوا إلى الفردانية وجدوا أن لا أحد هناك. أنا أعني صراحة: لا أحد، لا اسم، لا شكل، لكن هناك حضور صافٍ وحياة صافية، لا اسم لها ولا شكل. ذلك تماماً هو الانبعاث الحقيقي، وهو يحتاج بالتأكيد إلى شجاعة، فقط الناس الشجعان جداً استطاعوا تقبل لا أحديتهم، لا شيئيتهم، بسعادة. لا شيئيتهم هي كينونتهم النقية، إنها الموت والانبعاث معاً.

اليوم تماماً كان السكريتير في مكتبي يريني فِلم كرتون جميلاً وصغيراً: المسيح معلق على الصليب ينظر إلى السماء ويقول: "يكون من الأفضل لو كان لي عمّ إلى جانب الآب، سيكون هذا أفضل، على الأقل إن كان الآب لا يستمع، فلربما قدم لي العم عوناً".

هناك حقيقة معروفة جيداً أنه في الدول الفقيرة يتزايد التعداد السكاني بشكل انفجاري وباستمرارلأن الرجال الفقراء ليس لديهم أية تسلية مجانية أخرى. التسلية المجانية الوحيدة هي إنجاب الأطفال. رغم أنها مكلفة جداً على المدى الطويل، حالياً ليس هناك تذاكر وليس هناك من مشكلة ولا وقوف في الطابور.

على الصليب أدرك يسوع أنه كان "كان باستطاعتي طلب المساعدة من شخص آخر." إنه يصلي وهو غاضب قائلاً: "لماذا نسيتني؟ هل تخليت عني؟" لكن ليس هناك من إجابة. كان بانتظار معجزة. كل الحشد الذي اجتمع لرؤية المعجزة بدأ بالتفرق شيئاً فشيئاً. الجو حارٌ جداً، ولا ضرورة لانتظارهم. لا شيء سيحدث، لو أن شيئاً ما كان سيحدث لكان قد حدث.

بعد ست ساعات بقيت ثلاث سيدات فقط. كنّ لا زلن يعتقدن أن هناك معجزة قد تحدث. الأولى كانت والدة المسيح - تستمر الأمهات بالاعتقاد بشكل طبيعي أن أطفالهن عباقرة. كل أم بدون استثناء تعتقد بأنها وهبت الحياة لطفل عملاق. المرأة الأخرى التي كانت تحب المسيح كانت (مومساً)، مريم المجدلية. تلك المرأة بالرغم من كونها مومساً، لا بد أنها أحبت المسيح. حتى الأتباع، التلاميذ المزعومون، الذين أصبحوا بالمرتبة الثانية بعد يسوع في الأهمية في التاريخ المسيحي، الاثنا عشر جميعهم فرّوا خوفاً من أن يقبض عليهم ويتم التعرف عليهم ـ لأنهم كانوا يلازمون يسوع دوماً في كل مكان. ليس بإمكانك الوثوق بالناس إطلاقاً، إن تم الإمساك بهم، ربما صُلِبوا، وإن لم يصلبوا فعلى الأقل سيضربون ويرجمون حتى الموت. بقيت ثلاث نساء فقط. الثالثة كانت امرأة أخرى أحبت المسيح. كان الحب هو الذي بقي في اللحظات الأخيرة مجسداً في أولاء النساء الثلاث.

لا بد أن كل أولئك الأتباع بقوا مع المسيح فقط من أجل الدخول إلى الجنة. من الجيد دائماً أن يكون لك علاقات جيدة، وليس باستطاعتك أن تجد من هو

أفضل من (الولد الأوحد لله). وبوجودهم خلفه فقط سيتمكنون من عبور بوابات الجنة. لقد كانت تبعيتهم نوعاً من الاستغلال ليسوع، لذلك لم تكن هناك من شجاعة. كان مكراً ودهاء لكنه ليس شجاعة.

باستطاعة الحب فقط أن يكون شجاعاً. هل تحب نفسك؟ هل تحب الوجود؟ هل تحب هذه الحياة الجميلة التي هي هدية لك؟ لقد أعطيت لك بدون أن تكون مستعداً لها. بدون أن تكون مستحقاً لها. بدون أن تكون جديراً بها. إن أنت أحببت الوجود الذي أعطاك الحياة والذي يتابع تزويدك كل لحظة بالحياة والغذاء فسوف تمتلك الشجاعة. وتلك الشجاعة سوف تساعدك على الوقوف وحدك، شامخاً مثل أرز لبنان، تساعدك على أن تصل إلى النجوم ولكن وحدك.

في الفردانية سوف تختفي وتتلاشى كـذات وكشخصية، وسوف تجد نفسك كالحياة نفسها، خالداً لا تموت. ومالم تكن لديك القدرة على أن تكون وحدك فإن بحثك عن الحقيقة سيكون عملية فاشلة.

إن فردانيتك هي حقيقتك وقدسيتك.

إنّ وظيفة المعلم هي مساعدتك على أن تقف وحدك. وما التأمل إلا استراتيجية تخلصك من شخصيتك، من أفكارك، من عقلك، من تعريفك كجسد، ويتركك التأمل وحيداً تماماً من الداخل، تماماً كنار متقدة. وفي اللحظة التي تكتشف فيها نارك المتقدة، سوف تعرف كل أنواع المتع والنشوة التي يمكن لإدراك البشر أن يصل إليها.

امرأة مسنّة راقبت حفيدها يتناول حساءه بالملعقة الخطأ، ويمسك بسكينه من الجهة الخاطئة، ويأكل وجبته الرئيسة بيديه، ويسكب الشاي في صحن الفنجان وينفخ عليه.

سألته الجدة: "ألم تتعلم أي شيء من مراقبة والدك ووالدتك على طاولة العشاء؟"

أجاب الصبي وهو يمضغ الطعام بفم مفتوح: "نعم، تعلمت ألا أتزوج أبداً".

لقد تعلم درساً رائعاً! ابق وحيداً.

من الصعب جداً في الواقع أن تكون مع الآخرين، لكننا اعتدنا منذ ولادتنا أن نكون مع الآخرين. ربما تكون تعاسة، ربما تكون معاناة، ربما تكون عذاباً، لكننا اعتدنا على ذلك، على الأقل نحن نعرف هذا جيداً. يخاف الإنسان أن يخطو خارج منطقته في الظلام، لكن ما لم تذهب خارج منطقة (القناع الجمعي)[1]، فلن تستطيع أن تعرف نفسك.

لقد قال (غروشو ماركس) قولاً جميلاً عليك تذكره: "رأيت أن التلفاز أداة تثقيفية. فكل مرة يقوم شخص ما بتشغيله أذهب أنا إلى الغرفة الأخرى لأقرأ كتاباً."

بدت المدّرسة لطلاب من عمر عشر سنوات خجولة جداً من إعطاء درس في الثقافة الجنسية لذلك طلبت من تلاميذها أن يقوموا بهذه المهمة كواجب منزلي.

سأل هيمي الصغير أباه: من أين جئت أنا؟ تمتم الأب بشيء ما عن طيور اللقلق، وقالت جدته للطفل: إنه أتى من حقل الملفوف، ووالدة جدته خجلت وتمتمت بأن الأطفال يأتون من محيط الوجود العظيم.

في اليوم التالي، استدعت المعلمة هيمي ليقدم تقريره. قال هيمي لمعلمته: "أنا أخشى أن هناك خطباً ما في عائلتنا. من الواضح أنه لم يمارس أي شخص منهم الحب منذ ثلاثة أجيال!".

في الواقع قلة من الناس قد أحبوا. الجميع يتظاهرون، إنهم مراؤون ويخدعون، ليس فقط الآخرون بل هم أنفسهم أيضاً. يمكنك أن تحب بصدق عندما تكون حقيقياً. حتى الآن أنت مجرد فرد من المجتمع، ترس في آله. كيف تستطيع أن تحب؟ ـ لأنك لست حاضراً. أولاً كن موجوداً، أولاً تعرفْ على نفسك.

---

[1]. (القناع الجمعي): هو الشكل السلوكي للعلاقات الاجتماعية الخاصة بكل عائلة أو مجتمع والتي تكون عادة زائفة وغير مفيدة، إلا أنها تحدد قبول الفرد وأهميته بالمجتمع. م.

في فردانيتك سوف تكتشف ما هو الحب. ومن خلال ذلك الإدراك لكينونتك يفيض الحب، وأشياء أخرى كثيرة. يجب أن يكون بحثك القادم عن الفردانية.

لا يعني ذلك أن عليك أن تصعد إلى الجبال. يمكنك أن تكون فردانياً في السوبرماركت. إنها ببساطة مسألة وعي، إدراك، مراقبة، متذكراً أنك عبارة عن يقظتك فقط. بعد ذلك تكون فردانياً أينما كنت. يمكنك أن تكون وسط الناس، يمكنك أن تكون في الجبال، ليس هناك من فرق، إنك عبارة عن اليقظة نفسها. بين الناس تراقب الناس، في الجبال تراقب الجبال. بعينين مفتوحتين تراقب الوجود، بعينين مغلقتين تراقب نفسك. أنت فقط شيء واحد: المراقب.

ذلك المراقب هو أعظم إنجاز. إنها طبيعة بوذا في داخلك، تنورك، يقظتك. يجب أن يكون هذا تعليمك الوحيد. هذا فقط ما يجعل منك تلميذاً، تلميذاً في تعلم فردانيتك. وإلا، ما الذي يجعلك تلميذاً؟ لقد خُدِعتَ في كل مجالات حياتك. لقد قيل لك إن الإيمان بمعلم هو ما يجعل منك تلميذاً، وهذا شيء خاطئ تماماً، وإلا، لأصبح كل من على الأرض تلاميذ. بعض الناس يؤمنون بالمسيح، والبعض يؤمن ببوذا، والبعض بكريشنا، والبعض بالمهافيرا، كل شخص يؤمن بشخص ما، لكن ليس بينكم أي تلميذ، لأنك من أجل أن تكون تلميذاً لا يعني أن عليك الإيمان بمعلم. أن تكون تلميذاً يعني أن تتعلم كيف تكون نفسك، أن تكون حقيقة ذاتك.

في تلك التجربة يختبئ الكنز الكبير الخاص بالحياة. في تلك التجربة تصبح لأول مرة إمبراطوراً، وإلا ستبقى شحاذاً وسط الحشود. هناك نوعان من الشحاذين: الشحاذ الفقير والشحاذ الغني، لكن الجميع شحاذون. حتى الملك والملكة في موطنك هما شحاذان.

فقط أولئك الناس، القلة الذين وقفوا وحدهم في كينونتهم، في صفائهم، في ضوئهم، الذين وجدوا نورهم الخاص، الذين اكتشفوا إزهارهم الخاص، الذين وجدوا مكانهم الخاص الذي يمكن أن يسمى موطنهم، موطنهم الأبدي ـ أولئك

القلة هم الأباطرة الذين يكون الكون بأكمله هو إمبراطورياتهم. إنهم ليسوا بحاجة للاستيلاء عليها، لأن الاستيلاء عليها قد تم سلفاً وهي لهم.

بمعرفة نفسك تكون قد استوليت عليها.

الفصل الخامس عشر

غرباء عن أنفسنا

نولد فردانيين ونعيش فردانيين ونموت فردانيين. الفردانية هي طبيعتنا الأساسية، لكننا لسنا مدركين لذلك. وبسبب عدم إدراكنا لذلك نبقى غرباء عن أنفسنا، وبدلاً من أن نرى فردانيتنا كحالة جمالية رائعة، كسعادة، كصمت وسلام، كهدوء في الوجود، كان سوء الفهم يجعلنا نراها على أنها وحدة.

الوحدة هي فردانية أسيء فهمها. وعندما تسيء فهم الفردانية معتقداً أنها وحدة، فإن كل السياق يتغير. الفردانية فيها جمال وعظمة، فيها إيجابية، الوحدة هي فقر، سلبية، ظلام، كآبة.

الوحدة هي فجوة، شيء ما مفقود، وهناك حاجة لشيء ما ليملأها، ولا شيء أبداً يمكن أن يملأ الفجوة لأنها سوء فهم في المقام الأول. وبينما أنت تكبر في العمر، تكبر تلك الفجوة أيضاً. الناس يخافون جداً من أن يكونوا مع أنفسهم بحيث يقومون بأي تصرف من تلك التصرفات الغبية. كنت قد رأيت أناساً

يلعبون الورق وحدهم، بينما الفريق الآخر غير موجود. لقد اخترعوا ألعاباً يقوم بها الشخص نفسه بلعب الدور من الجانبين معاً.

أولئك الذين عرفوا معنى الفردانية يقولون شيئاً مختلفاً تماماً. إنهم يقولون إنه ليس هناك شيء أجمل، ولا شيء أكثر سلاماً أو أكثر متعة من أن تكون فردانياً.

إن الإنسان العادي مستمر بمحاولاته لنسيان وحدته، بينما يبدأ من يمارس التأمل بالتعرف أكثر فأكثر على فردانيته. لقد ترك العالم كله، رحل إلى الكهوف، إلى الجبال والغابات، فقط من أجل أن يبقى فردانياً. إنه يريد أن يعرف تماماً من هو. من الصعب القيام بذلك بين الناس، هناك الكثير من العوائق. وأولئك الذين عرفوا معنى الفردانية قد عرفوا أعظم سعادة ممكنة للبشر، لأن أساس كينونتك هو السعادة.

بعد أن تتناغم مع فردانيتك، يمكنك أن تتواصل، عندها ستثمرعلاقتك بهجة عظيمة لك، لأنها ليست ناتجة عن الخوف. باكتشافك لفردانيتك يمكنك أن تُبدع، يمكنك أن تنهمك في الكثير من الأشياء كما يحلو لك، لأن الانهماك لم يعد أبداً نوعاً من الهروب من ذاتك. سيصبح تعبيرك إظهاراً لكل إمكانياتك.

لكن الشيء الأساسي الأول هو أن تدرك فردانيتك بشكل كامل.

لذلك أنا أُذكِرك، لا تسء فهم فردانيتك على أنها وحدة. الوحدة هي مرض بكل تأكيد، الفردانية هي حالة الصحة الكاملة. إن أول وأهم خطوة أساسية باتجاه إيجاد معنى وأهمية الحياة هي عبر الدخول في فردانيتك. إنها معبدك، إنها المكان الذي يسكن فيه إلهك، وليس باستطاعتك أن تجد ذلك المعبد في أي مكان آخر.

الفصل السادس عشر

المعتزلون والمختارون

يقول المسيح: طوبى لكم أيها المعتزلون والمختارون، لأنكم ستجدون ملكوت الله، ولأنكم أتيتم منه ستعودون إليه.

من إنجيل القديس توما

إن أعمق توق في داخل الإنسان هو لأن يكون حراً تماماً. الحرية، moksha[1]، هي الهدف. المسيح أسماها "ملكوت الله" ـ لتكونوا كالملوك، فقط من الناحية الرمزية، يعني أنه ليس هناك من قيود على وجودك، لا عبودية، لا حدود، أنت موجود إلى مالا نهاية، لن تصطدم مع أي شخص آخر في أي مكان... أي كأنك شخص موجود بمفردك.

---

[1]. moksha: بالهندوسية والجاينية تعني التحرر من دورة التقمص، حالة سمو يتم الوصول إليها بالتحرر من التقمص. وهي الهدف الروحي الأقصى. م.

الحرية والفردانية مظهران لشيء واحد. لذلك سمى الصوفي الجايني (مهافيرا) مفهومه عن الحرية باسم: "kaivalya" و معناها أن تكون وحيداً بشكل كامل، وكأنه ليس هناك من أحد آخر. عندما تكون وحدك تماماً، من سيجعل منك عبداً؟ عندما لا يكون هناك شيء آخر، من سيكون ذلك الآخر؟

لذلك فإن أولئك الذين يبحثون عن الحرية عليهم أن يجدوا عزلتهم، عليهم أن يجدوا طريقاً، وسيلة، منهجاً ما ليصلوا إلى وحدانيتهم.

يولد الإنسان كجزء من هذا العالم، كعضو في المجتمع، في عائلة، كجزء من الآخرين. لم تتم تربيته على أنه كيان معتزل. لقد تربّى ككائن اجتماعي، كل أنواع التربية والثقافة والتعليم تتألف من كيفية جعل الطفل مناسباً لذلك التكوين الاجتماعي، وكيفية جعله مندمجاً مع الآخرين. وهذا ما يدعوه علم النفس بـ " التوافق". وأينما وُجِدَ شخص معتزل يبدو وكأنه غير منسجم.

يتواجد المجتمع كشبكة، نموذج من عدة أشخاص، كحشد. يمكنك الحصول على بعض الحرية ـ بالكلفة الأكبر. إن اتبعت قوانين المجتمع، إن أصبحت نسخة عن الآخرين وكنت مطيعاً فسوف يؤجرونك عالماً صغيراً من الحرية. إن أصبحت عبداً، تُعطى بعض الحرية لك لكنها حرية معطاة، أي يمكن أن تؤخذ منك في أية لحظة. والثمن غالٍ جداً، إنه التوافق مع الآخرين، لذا ستكون هناك حدود بشكل حتمي.

في المجتمع، في الوجود الاجتماعي، لا يمكن لأحد أن يكون حراً تماماً. مجرد وجود الآخر سوف يخلق مشكلة. يقول سارتر، " الآخر هو الجحيم" وهو على حق لدرجة كبيرة، لأن الآخر يخلق التوتر فيك، أنت قلق بسبب الآخر. سيحدث تصادم لأن الآخر في حالة بحث عن الحرية المطلقة، وأنت أيضاً في حالة بحث عن الحرية المطلقة ـ كل شخص بحاجة إلى الحرية الكاملة ـ والحرية الكاملة يمكن أن توجد لشخص واحد فقط.

حتى ملوكك المزعومون ليسوا أحراراً بشكل كامل. لا يمكنهم أن يكونوا كذلك. ربما كان هناك بعض الظهور لحالة الحرية لكن ذلك مزيف. يجب أن يكونوا محميين، هم يعتمدون على الآخرين. وحريتهم ليست إلا زيفاً. لكن مع ذلك، بسبب هذا التوق ليكون الإنسان حراً تماماً، يرغب الإنسان في أن يكون ملكاً، إمبراطوراً. الإمبراطور يعطي انطباعاً زائفاً بأنه حر.

يريد الإنسان أن يكون غنياً، لأن الغنى أيضاً يعطي انطباعاً زائفاً للشخص بأنه حر. كيف يمكن للشخص الفقير أن يكون حراً؟ إن حاجاته ستكون قيداً وليس باستطاعته أن يشبع حاجاته. في أي مكان ينتقل إليه سيواجه جداراً لن يستطيع اجتيازه، من هنا تأتي الرغبة في الغنى. لكن في العمق هناك الرغبة في الحرية المطلقة، وكل تلك الرغبات الأخرى تم خلقها من تلك الرغبة الأساسية. لكن إن تحركت في الاتجاهات الخاطئة، يمكنك متابعة المسير، لكنك لن تصل أبداً إلى الهدف، لأنه منذ الخطوة البدائية الأولى كان الاتجاه خاطئاً ـ لقد أخطأت في الخطوة الأولى.

في اللغة العبرية القديمة، كلمة (إثم) كلمة جميلة جداً. وهي تعني الشخص الذي فقد العلامة. ليس فيها إحساس بالذنب فعلاً، الشخص الآثم هو الشخص الذي فقد الدلائل وتاه. والدين يعني أن تعود إلى الطريق القويم بحيث لا تخطئ الهدف.

الهدف هو الحرية المطلقة، والدين هو وسيلة توصلك إليه. لذلك عليك أن تفهم أن الدين الحقيقي موجود كقوة مضادة للمجتمع، طبيعته بحد ذاتها معارضة للمجتمع، لأنه من غير الممكن أن تكون هناك حرية تامة ضمن المجتمع[2].

---

[2]. يقصد هنا مفهوم الدين بمعناه الذي يجب أن يكون؛ أي العودة إلى الطريق بحيث لا تخطئ الهدف، وليس الأديان المعروفة لدينا الآن. م.

من جهة أخرى يكون علم النفس في خدمة المجتمع. إن الطبيب النفسي يحاول بكل الطرق الممكنة جعلك متأقلماً مع المجتمع مرة أخرى. إنه في خدمة المجتمع. السياسة طبعاً، في خدمة المجتمع. إنها تقدم لك القليل من الحرية التي تصنع منك عبداً. تلك الحرية هي مجرد رشوة ـ ومن الممكن أن تسترجع منك في أية لحظة. إن كنت تعتقد أنك حر بشكل حقيقي، لاحقاً سوف يلقى بك في السجن.

السياسة، علم النفس، الثقافة، التعليم...، كلها تخدم المجتمع. الدين وحده معارض بشكل أساسي. لكن المجتمع قد خدعك، لقد خلق أديانه الخاصة به" المسيحية، الهندوسية، البوذية،... ـ كل ذلك هو خدع اجتماعية. انظر إلى المسيح كان متشرداً، شخصاً غريب الأطوار، لأنه لم يستمع إلى المجتمع ولم يستطع أن يصبح متوافقاً معه. لقد أسس مجتمعاً بديلاً، مجموعة صغيرة تتبعه. لقد وجدت المعتزلات الدينية كقوة ضد المجتمع، ولكن ليس كل المعتزلات، لأن المجتمع دائماً يحاول أن يعطيك نقوداً مزيفة. إن كان هناك مئات المعتزلات فربما، وأؤكد على كلمة ربما ـ كان واحد منها معتزلاً حقيقياً، لأن ذلك المعتزل سوف يتواجد على شكل مجتمع بديل، ضد المجتمع السائد، ضد ذلك الحشد الذي لا اسم له. لقد تواجدت المدارس ـ كمثال، صوامع بوذا في (بيهار) ـ تلك التي تحاول أن تخلق مجتمعاً وهو ليس بمجتمع على الإطلاق. لقد أسسوا طرقاً ووسائل ليجعلوا منك حراً بشكل كامل وحقيقي ـ ليس هناك من استعباد لك، لا يوجد نظام من أي نوع، ليس هناك من حدود، يُسمح لك أن تكون غير محدود، أن تكون كلياً.

إن المسيح ضد المجتمع وبوذا أيضاً ـ لكن المسيحية والبوذية ليستا كذلك. إن المجتمع ماكر جداً، إنه يمتص فوراً أية ظاهرة غير اجتماعية ويحولها إلى اجتماعية. إنه يخلق واجهة أو قناعاً،إنه يقدم لك عملة مزيفة وتصبح عندها سعيداً، كطفل صغير أعطوه حلمة صدر بلاستيكية كمهدئ له. إنه يتابع مص

الحلمة البلاستيكية ويشعر بأنه يتلقى الغذاء. هذه العملية تهدئه، بالطبع سوف يغط في النوم. ومتى كان الطفل غير مرتاح يُفعَل هذا له، يُعطى حلمة صدر بلاستيكية. يمص الحلمة معتقداً أنه يتلقى الغذاء. يتابع المص ويصبح المص عملية رتيبة، لا شيء يتحرك خلالها، مجرد مص وتصبح بمثابة (مانترا)! ويغط بعدها في النوم. ينام لأنه يشعر بالملل والنعاس.

المسيحية، البوذية، الهندوسية كل ما ينتهي بتلك اللاحقة "....ـية" والتي أصبحت ديانات هي مجرد (مصاصات تهدئة). إنها تقدم لك العزاء، تهبك النوم الجيد، إنها تمنحك وجوداً لطيفاً وسط كل تلك العبودية المشوهة المعذِّبة المحيطة بك، إنها تعطيك شعوراً بأن كل شيء بخير، لا شيء سيء. إنها أشبه بالمهدئات، إنها مخدرات.

ليس الـ (LSD)[3] بالمخدر الوحيد، الديانة المسيحية كذلك أيضاً - وهي مخدر أكثر تعقيداً وسوءاً، إنها تسبب لك نوعاً من العمى، لا يمكنك أن ترى ما يحدث، لا يمكنك أن تشعر بنفسك وأنت تهدر حياتك، لا يمكنك أن ترى المرض الذي تراكم من خلال أوجه عديدة لوجودك، كطالب، كابن، كأب. إنك تجلس على بركان وهم يقولون لك دوماً "كل شيء بخير". الله في السماء والحكومة على الأرض ـ "وكل شيء بخير". ورجال الدين يستمرون بالقول لك: "ليس هناك من داع للاضطراب، نحن هنا. ببساطة اترك كل شيء في أيدينا وسوف نعتني بك في هذا العالم وفي العالم الآخر أيضاً". وقد تركت كل شيء لهم، لهذا أنت تقبع في كل هذا البؤس.

لا يمكن للمجتمع أن يعطيك الحرية. هذا مستحيل، لأن المجتمع لا يستطيع أن يتدبر أمر جعل كل شخص حراً تماماً. عندها ما العمل؟ كيف يمكن تجاوز المجتمع؟ هذا هو سؤال الأشخاص المتدينين. لكن يبدو هذا مستحيلاً. أينما تحركت يكون المجتمع موجوداً. يمكنك الانتقال من مجتمع إلى آخر، لكن

---

(3). LSD: (Lysergic Acid Diethylmide) أحد أنواع المخدرات المسببة للهلوسة. م.

المجتمع سيكون موجوداً. بإمكانك الذهاب إلى جبال الهيمالايا، عندها سوف تؤسس مجتمعاً هناك. سوف تبدأ بالتحدث مع الأشجار، لأنه من الصعب أن تكون وحدك. سوف تشكل علاقات صداقة مع الطيور والحيوانات، وعاجلاً أم آجلاً ستكون لديك عائلة. بشكل يومي ستنتظر وصول الطائر الذي يأتي في الصباح ويغني.

أنت لا تفهم حينها أنك أصبحت معتمداً، لقد دخل الآخر. إن لم يأت الطائر فستشعر بالقلق: ما الذي حدث لذلك الطائر؟ لماذا لم يأت؟ يدخل التوتر، هذا لا يختلف عن قلقك سابقاً بشأن زوجتك أو طفلك. هذا لا يشكل فرقاً، إنه النموذج نفسه. حتى لو ذهبت إلى جبال الهيمالايا فسوف تشكل مجتمعاً.

هناك شيء ما عليك أن تفهمه: المجتمع ليس أمراً خارجك، إنه شيء تحمله معك. وطالما لم تختف جذوره من داخلك، فأينما تذهب ستأخذه معك مرة ثانية وثالثة ورابعة. حتى ولو ذهبت مع المجتمعات الوجودية، سوف يدخل المجتمع وسيصبح قوة اجتماعية. إن ذهبت إلى صومعة، سوف يأتي المجتمع معك. ليس المجتمع هو الذي يتبعك، إنه أنت، أنت دائماً تخلق مجتمعك حولك ـ إنك خالق. إنه شيء موجود في تكوينك كبذرة، تلك التي تخلق المجتمع. هذا يظهر لك حقيقة أنه ما لم تتغير بشكل كامل فإنك لن تتجاوز المجتمع، سوف تخلق باستمرار مجتمعك الخاص. وكل المجتمعات تتشابه، هي نفسها، المظهر يختلف لكن النموذج الأساسي هو نفسه.

لماذا لا تستطيع أن تعيش بدون مجتمع؟ هنا تكمن الصعوبة! حتى في الهيمالايا سوف تنتظر كائناً ما. ربما تكون جالساً تحت شجرة وتنتظر شخصاً ما، مسافراً، صياداً، عابر سبيل. وإن اقترب أحدٌ منك، فسوف تشعر ولو بقليل من السعادة. في عزلتك، تصبح حزيناً ـ وإن أتى صياد ما، فسوف تثرثر. سوف تسأل: "ماذا يحدث في العالم؟ هل لديك آخر صحيفة؟" أو "أخبرني ما تعرف! أنا جائع وعطش للأخبار."

لماذا؟ يجب إخراج الجذور إلى الضوء كي تفهم.

هناك شيء واحد: أنت بحاجة لأن تكون مفيداً، هناك حاجة عميقة بداخلك لأن تكون مفيداً. إن لم يكن أحد بحاجة فسوف لك تشعر بأنك بلا فائدة، بلا معنى. إن كان هناك شخص ما بحاجة لك، فهو يعطيك أهمية، تشعر بالأهمية. إنك تستمر بالقول: "علي أن أعتني بزوجتي وأطفالي"، وكأنك تحملهم معك كعبء ـ أنت مخطئ. تتكلم وكأنها مسؤوليات عظيمة وأنت تنجز واجباتك. أنت مخطئ! فكر فقط، إن حدث ولم تعد الزوجة موجودة واختفى الأولاد، ماذا ستفعل؟ فجأة سينتابك شعور بأن حياتك أصبحت بلا معنى. لأنهم بحاجة لك، أطفال صغار كانوا ينتظرونك، كانوا يعطونك أهمية ومعنى، كنت مهماً. الآن بما أنه لا أحد بحاجة لك، سوف تتقلص. لأنه إن لم يكن أحد بحاجة لك فإن أحداً لا يهتم بك، سواء كنت موجوداً أم لا فليس هناك من فرق.

إن كل ما في التحليل النفسي وما يتبعه من عمل يعتمد على الإصغاء. ليس هناك أكثر من ذلك، ليس هناك أكثر من ذلك حقيقة في التحليل النفسي، وكل ما فيه هو عبارة عن هراء. لكن لماذا هو مستمر؟ لأن هناك شخصاً يهتم بك، وليس شخصاً عادياً، إنه طبيب نفس مشهور، معروف جداً، له عدة مؤلفات(*). لقد عالج العديد من الأشخاص المعروفين جداً، لذلك أنت تشعر بشعور جيد. ليس هناك من شخص آخر يستمع لك ولا حتى زوجتك، لا أحد يستمع إليك، لا أحد يهتم ولو بشكل بسيط بك، إنك تسير في هذا العالم وكأنك شيء تافه، لا أحد ـ وأنت تدفع الكثير لذلك الطبيب. إنها رفاهية، فقط الأثرياء جداً يستطيعون تحمل نفقاتها.

ولكن لماذا يفعلون ما يفعلونه؟ إنهم ببساطة يستلقون على الأريكة ويتحدثون، والمحلل النفسي يصغي ـ لكنه يصغي، إنه يهتم بك. طبعاً عليك أن

(*). لا تخفى الإشارة هنا إلى إيريش فروم وكتابه (فن الإصغاء) الذي صدر عن دار الحوار عام 2012 بترجمة محمود منقذ الهاشمي. المترجم

تدفع له، لكنك تشعر بشعور جيد. ببساطة، لأن الآخر يهتم بك، فأنت تشعر بشعور أفضل. إنك تسير بشكل مختلف عندما تغادر عيادته، إن ميزاتك الشخصية قد تغيرت. إنك تسير بخطوات راقصة، بإمكانك أن تدندن، أن تغني. ولكن ربما ليس إلى مالا نهاية ـ في الأسبوع التالي عليك أن تأتي مجدداً إلى عيادته ـ لكن عندما يستمع إليك شخص آخر، ويهتم بك، فهو يقول لك: "إنك شخص، إنك شخص تستحق أن يُستَمَعَ إليه." إنه لا يبدو متململاً. ربما هو لا يقول أي شيء، ولكن، ومع ذلك، هذا أمر جيد جداً.

إن لديك حاجة عميقة لأن تكون مفيداً. يجب أن يحتاج إليك شخص ما وإلا ستكون كمن ليس تحت قدميه أرض ثابتة ـ إن حاجتك العميقة هي المجتمع. حتى لو كان هناك شخص ما يتصارع معك فهذا جيد، هذا أفضل من البقاء وحدك، لأنه في النهاية يهتم بك ـ العدو، يمكنك أن تفكر به.

عندما تكون غارقاً في الحب، انظر إلى هذه الحاجة. انظر إلى شخصين متحابين، راقب، لأن المراقبة ستكون صعبة إن كنت أنت نفسك غارقاً في الحب. عندها من الصعب أن تراقب لأنك ستكون مجنوناً تقريباً، لن تكون في كامل رشدك. لكن راقب المتحابين، سوف يقول أحدهما للآخر: "أنا أحبك،" لكن في الشعور العميق لكل منهما رغبة بأن يكون محبوباً. أن تحب ليس شيئاً مهماً، أن تكون محبوباً هو الشيء الحقيقي ـ وهما يحبان فقط من أجل أن يكونا محبوبين. الأمر الأساسي هو أن تكون محبوباً وليس أن تحب.

هذا ما يجعل كل فرد من ثنائي يتذمر من الآخر: "أنت لا تحبني بالشكل الكافي" لا شيء يكفي، لا شيء يمكن أن يكون كافياً لأن الحاجة لانهائية، إذن فالعبودية لا نهائية، وأياً يكن ما يفعله المحب، سوف تشعر دائماً بأن هناك المزيد مما يمكن فعله، بإمكانك أن تأمل بالمزيد، بإمكانك أن تتخيل المزيد. وعندها تكون هناك حاجة وتشعر بالإحباط. إن كل محب يفكر: "أنا أحب، لكن الآخر لا يستجيب بشكل كافٍ" والآخر يفكر بالطريقة نفسها. ما هي المشكلة؟

لا أحد يحب، ومادام تصبح المسيح أو بوذا فلن تستطيع أن تحب، لأنه فقط من تختفِ الحاجة لديه بأن يكون مفيداً، هو من يستطيع أن يحب.

في الكتاب الجميل لجبران خليل جبران (يسوع ابن الإنسان)، أبدع جبران قصة خيالية ولكن جميلة ـ وفي بعض الأحيان يكون الخيال أكثر واقعية من الواقع نفسه. أطلت مريم المجدلية من خلال نافذتها ورأت المسيح جالساً في حديقة بيتها تحت شجرة. كان الرجل جميلاً. كانت مريم قد عرفت الكثير من الرجال، لقد كانت مومساً معروفة ـ حتى الملوك اعتادوا أن يطرقوا بابها، كانت واحدة من أجمل الزهرات. لكنها لم تعرف أبداً رجلاً كهذا ـ لأن شخصاً مثل المسيح يحمل هالة غير مرئية حوله تعطيه جمالاً خاصاً، إنه من عالم آخر، هو لا ينتمي لهذا العالم. هناك هالة من نور تحيط به، نعمة، طريقته في المشي، الجلوس، كان يبدو وكأنه إمبراطور في ملابس متسول. بدا كثيراً أنه من عالم آخر بحيث طلبت المجدلية من خدمها أن يذهبوا إليه ويدعوه، لكن المسيح رفض. قال: "أنا بخير هنا. إن الشجرة جميلة وذات ظلال وافرة."

بعدها كان على المجدلية أن تذهب بنفسها وتدعو المسيح. لم تكن لتصدق أن هناك شخصاً يمكن أن يرفض دعوتها. قالت له: "تفضل إلى بيتي وكن ضيفي."

قال المسيح: "لقد دخلت سلفاً إلى بيتك وأصبحت سلفاً ضيفك. ليس هناك من حاجة أخرى."

لم يكن بمقدورها أن تفهم. قالت له: "لا، تفضل بالدخول ولا ترفض. لم يرفض أحد أبداً دعوتي. أليس باستطاعتك أن تفعل أمراً بسيطاً كهذا؟ كن ضيفي. تناول طعامك معي اليوم، ابق معي لهذه الليلة."

قال المسيح: "لقد قبلت. وتذكري: أولئك الذين يقولون إنهم قبلوك، لم يقبلوك في الواقع، وأولئك الذين يقولون إنهم يحبونك، لم يحبك أحد منهم. وأنا أقول لك، أنا أحبك وأنا فقط أستطيع أن أحبك." لكنه لم يدخل البيت، وبعد أن استراح، غادر.

ما الذي قاله المسيح؟ هو قال: "أنا فقط أستطيع أن أحبك. وأولئك الآخرون الذين يقولون دوماً إنهم يحبونك، ليس باستطاعتهم أن يحبو"، لأن الحب ليس بالشيء الذي باستطاعتك فعله ـ إنه ميزة من مزايا كينونتك."

يحدث الحب عندما تحرز روحاً أو ذاتاً بلورية. مع وجود الذات (الأنا) لا يحدث الحب، الذات تريد أن تكون محبوبة لأن الحب هو غذاء الذات. أنت تحب كي تصبح شخصاً هناك حاجة إليه. أنت تهب الحياة لأطفال ليس لأنك تحب الأطفال، بل كي تصبح شخصاً هناك من يحتاج إليه، وهذا يعني أن باستطاعتك أن تقول للناس: "انظروا المسؤوليات التي أنجزها، انظروا الأعباء التي أتحملها! أنا أب، أنا أم....." إن ذلك هو مجرد تمجيد (لأناك).

ما لم تنته تلك الحاجة لأن تكون شخصاً هناك حاجة له، فلن تستطيع أن تكون معتزلاً. ولو ذهبت إلى الهيمالايا، سوف تؤسس مجتمعاً. وإن انتهت تلك الحاجة، أينما كنت، سواء عشت في سوبرماركت، أو في قلب المدينة، فستكون فردانياً.

الآن حاول أن تفهم كلمات المسيح:

طوبى لكم أيها المعتزلون والمختارون، لأنكم ستجدون الملكوت، ولأنكم أتيتم منه ستعودون إليه ثانية.

عليك أن تفهم كل كلمة من تلك العبارة. (طوبى لكم أيها المعتزلون.... من هو المعتزل؟ إنه من أسقط حاجته لأن تكون هناك حاجة إليه، الشخص الذي أصبح راضياً بنفسه كما هي. شخص ليس بحاجة لأن يقول له أي شخص، "أنت شخص لوجوده معنى." إن معنى وجوده في داخله، معنى وجوده لا يأتي من الآخرين، لا يتوسل في طلب معنى وجوده ولا يطلبه ـ إن معنى وجوده يأتي من كينونته الخاصة، من ذاته. إنه ليس متسولاً وباستطاعته العيش مع نفسه.

ليس باستطاعتك أن تعيش مع نفسك. كلما أصبحت وحيداً تشعر بالقلق، وسرعان ما ستشعر بالإزعاج، عدم الراحة، القلق العميق. ماذا عليك أن تفعل؟

أين تذهب؟ اذهب إلى ملهى، إلى الكنيسة أو إلى مسرح، لكن اذهب إلى مكان ما وقابل أشخاصاً، اذهب وتسوق. بالنسبة للأشخاص الأغنياء، التسوق هو مجرد تسلية، مجرد رياضة، إنهم يذهبون للتسوق. إن كنت فقيراً فأنت لا تحتاج للدخول إلى متجر، تستطيع فقط أن تسير في الشارع وتنظر إلى واجهات المحلات. لكن اذهب!

أن تكون وحيداً هو أمر صعب، شيء غريب، فوق العادة. لماذا هذا التوق؟ لأنه كلما كنت وحدك فإن معنى وجودك يختفي. اذهب واشترِ شيئاً من المتجر. بالحد الأدنى فإن البائع سيعطيك أهمية... ليس الأشياء، وذلك لأنك تشتري دوماً أشياء عديمة الفائدة. أنت تشتري فقط من أجل الشراء، لكن البائع أو مالك المتجر ينظر إليك كملك، إنه يتصرف وكأنه يعتمد عليك، وأنت تعرف تماماً أن ذلك ليس إلا زيفاً. هذه هي طريقة تصرف الباعة عادة. البائع لا يهتم بك إطلاقاً، ابتسامته ليست إلا ابتسامة مرسومة، إنه يبتسم لكل شخص، ليس هناك من شيء خاص بك. لكنك لا ترى تلك الأشياء. إنه يبتسم لك ويرحب بك ويستقبلك كضيف مرحب به، أنت تشعر بالراحة، أنت شخص ما، هناك أشخاص يعتمدون عليك، إن صاحب المتجر ينتظرك.

إنك تبحث حولك في عيون الجميع عن نظرة يمكنها أن تعطيك قيمة. كلما نظرت امرأة إليك فإنها تعطي وجودك معنى. لقد اكتشف علماء النفس أنك عندما تدخل غرفة ما ـ غرفة الانتظار في المطار، أو محطة قطار أو فندق ـ إن نظرت امرأة إليك مرتين فهي تكون جاهزة لأن تقوم بإغوائها. لكن إن نظرت المرأة مرة واحدة فلا تزعجها، انسها. لقد صنعوا أفلاماً وكانوا يراقبون، وتلك حقيقة، لأن المرأة تنظر مرتين فقط إن كانت تريد أن تتلقى إعجاباً وأن يُنظر إليها.

يدخل رجل إلى مطعم ـ تستطيع المرأة أن تنظر مرة، لكن إن لم يكن الرجل جديراً بالاهتمام فهي لن تنظر مرة ثانية. والرجال صيادو النساء يعرفون هذا

الأمر جيداً، يعرفونه منذ قرون! علماء النفس عرفوا هذا الأمر الآن فقط. إنهم يراقبون العيون ـ إن نظرت المرأة مرة أخرى فهذا يعني أنها مهتمة. والآن يمكن توقع الكثير، لقد أعطت الإيحاء: إنها مستعدة الآن أن تسير معك أو أن تلعب لعبة الحب. لكن إن لم تنظر مرة ثانية فهذا يعني أن الباب مغلق، هذا الباب مغلق في وجهك أنت، من الأفضل أن تقرع باباً آخر.

أينما حدث ونظرت امرأة إليك، فإنك تصبح شخصاً مهماً، أصبحت ذا قيمة كبيرة، أنت متميز وفريد في هذه اللحظة. ولهذا السبب يعطي الحب الكثير من الإشعاع، يعطي الحب الكثير من الحياة، الحيوية.

لكن هذه مشكلة، لأنه لن يكون من المفيد أن تنظر إليك المرأة نفسها كل يوم. ولهذا يسأم الأزواج زوجاتهم وتسأم الزوجات أزواجهن، والسبب هو: كيف تستطيع أن تحصل على الأهمية نفسها من العيون نفسها مرة بعد مرة؟ إنك تصبح معتاداً على الأمر، إنها زوجتك، ليس هناك من شيء لغزوه، من هنا تأتي الحاجة لتكون (بايرون) أو (دون جوان) وأن تنتقل من امرأة إلى أخرى.

تلك ليست حاجة جنسية، تذكر، ليس هناك من شيء عائد للجنس على الإطلاق ـ لأن الجنس يتعمق أكثر مع امرأة واحدة في حالة من الحميمية العميقة. إنه ليس جنساً، ليس حباً، ليس كذلك إطلاقاً، لأن الحب يريد أن يكون مع واحدة أكثر فأكثر، بطريقة أعمق وأعمق، يتحرك الحب بالعمق. إن ذلك ليس حباً ولا جنساً، إنه شيء آخر: حاجات الذات، الأنا. إن كان باستطاعتك أن تغزو امرأة كل يوم فسوف تشعر بالكثير من الأهمية، إنك تشعر بنفسك كغاز من الغزاة.

لكن إن انتهى أمرك مع امرأة واحدة، إن أصبحت عالقاً بامرأة واحدة ولا أحد ينظر إليك، أي بحالة عدم وجود امرأة أو رجل يعطيك الأهمية، فإنك تشعر بالنهاية بأن أمرك انتهى. وهذا سبب كون الأزواج والزوجات يبدون عديمي الحياة وعديمي الشهوة. يمكنك فقط أن تنظر أو تراقب وعن بعد أي ثنائي حتى

تعرف إن كانوا أزواجاً أم لا. إن لم يكونا زوجين فسوف تشعر بذلك، سيكونان سعيدين، ضاحكين، يتكلمان، يستمتع كل منهما بالآخر. وإن كانا زوجين فسيبدوان مجرد شخصين يتحمل أحدهما الآخر.

عندما حلّت الذكرى الخامسة والعشرون لزواج الملاّ نصر الدين، وكان قد خرج من بيته في ذلك اليوم. زوجته منزعجة قليلاً لأنها كانت تتوقع منه القيام بشيء غير اعتيادي، بينما كان هو يقوم ببعض الأعمال الروتينية، لذلك سألته: "نصر الدين، هل نسيت ما هو هذا اليوم؟"

أجابها: "أنا أعرف"

فقالت: "إذن افعل شيئاً غير اعتيادي!"

فكر نصر الدين قليلاً ثم قال: "ما رأيك بدقيقتين من الصمت؟"

كلما شعرت بأن الحياة قد توقفت لديك فهذا يُظهِر أنك ربما اعتقدت أنك تعيش حباً، لكن ذلك ليس حباً، إنه حاجة من حاجات الأنا، الحاجة إلى الغزو: أن يكون هناك حاجة لك في كل يوم من قبل رجل جديد أو امرأة جديدة، أشخاص جدد. إن نجحت، فسوف تشعر بالسعادة لفترة لأنك كنت رجلاً غير عادي. إنها الرغبة، رغبة رجل السياسة ـ أن يكون هناك حاجة له من قبل الدولة بكاملها. ماذا كان يحاول (هتلر) فعله؟ أن تكون هناك حاجة له من قبل العالم كله!

لكن تلك الحاجة لا تستطيع أن تسمح لك بأن تكون معتزلاً. إن السياسيين ليس باستطاعتهم أن يكونوا متدينين. إن السياسي والمتدين يسيران باتجاهين متعاكسين. ولهذا السبب قال المسيح: "من الصعب جداً على الرجل الغني أن يدخل ملكوت الله. يمكن للجمل أن يدخل في ثقب الإبرة، لكن لن يستطيع غني أن يدخل ملكوت الله." لماذا؟ لأن الرجل الذي يحاول أن يراكم الثروة إنما يحاول أن يصبح مهماً من خلال الثروة. إنه يحاول أن يكون شخصاً مهماً، وأياً كان الشخص الذي يحاول أن يكون شخصاً مهماً، فإن باب مملكة الله سيكون مغلقاً في وجهه.

لن يدخل إلى هناك إلا الأشخاص النكرات، فقط أولئك الذين حققوا لا شيئيتهم، أولئك الذين تكون قواربهم فارغة من رغباتهم، الذين فهموا أن حاجات (أناهم) عقيمة وعصابية، وصلوا إلى حاجات أناهم ووجدوا أنها عديمة الفائدة ـ ليس مجرد عديمة الفائدة بل مؤذية أيضاً. يمكن لحاجات الأنا أن تصيبك بالجنون، لكنها لن تحقق لك ما تريد أبداً.

من هو المعتزل؟ إنه الشخص الذي انتفت عنده الحاجة لأن تكون هناك حاجة إليه، لا يطلب أي معنى منك، لا من عينيك ولا من استجاباتك. لا! إن قدمت له حبك فسيكون شاكراً، لكن إن لم تقدم شيئاً فلن يكون هناك أي تذمر. إن لم تقدم له حبك سيكون بحالة جيدة بالمستوى نفسه الذي كان به سابقاً. إن أتيت لزيارته فسيكون سعيداً، لكن إن لم تأت فسيكون بالمستوى نفسه من السعادة. إن مشى بين الناس فسوف يكون سعيداً، لكن إن عاش مع النساك فسيكون سعيداً أيضاً.

ليس بمقدورك أن تجعل الرجل المعتزل غير سعيد، لأنه تعلّم أن يعيش مع نفسه وأن يكون سعيداً مع نفسه. إنه مكتفٍ بنفسه. هذا ما يجعل الناس المرتبطين بعضهم ببعض لا يريدون من الآخر أن يصبح متديناً. إن بدأ الزوج مثلاً بالتحرك باتجاه ممارسة التأمل فإن الزوجة تشعر بالاضطراب. لماذا؟ ربما لم تدرك أبداً ما يحدث أو لماذا هي مضطربة. وإن تحركت الزوجة باتجاه التدين فإن الزوج يشعر بالاضطراب. لماذا؟

إن هناك خوفاً في اللاوعي قد تحرك إلى منطقة الوعي. والخوف هو أنه أو أنها تحاول أن تكون مكتفية بنفسها أو بنفسه، ذلك هو الخوف. إذن، إن كان للزوجة أن تختار. "هل ترغبين أن يمارس زوجك التأمل أو أن يكون سكيراً؟" فسوف تختار أن يكون سكيراً أكثر من أن يكون ممارساً للتأمل. أو إن خُيّر الزوج

"هل ترغب بأن تصبح زوجتك (sannyasin)[4]، أم أن تضل الطريق وتكون منحرفة؟" فسوف يختار أن تكون منحرفة.

إن (sannyasin) يعني أنها مكتفية بنفسها، مشبعة بنفسها، لا تحتاج أي شخص آخر، هي شخص غير اتكالي بأي شكل من الأشكال. وهذا يسبب الخوف ـ من أن تصبح بلا فائدة. إن حياتك كلها كانت تتمحور حول حاجات الآخر وأنه يحتاج إليك، بدون وجودك يصبح هو لاشيء، بدون وجودك تكون حياته تافهة، صحراء، إنه ينمو ويثمر بوجودك. لكن إن فهمت أن باستطاعته أن ينمو ويثمر في انعزاله، فسيكون هناك اضطراب لأن أناك سوف تتأذى.

من هو المعتزل؟ قال المسيح: طوبى لكم أيها المعتزلون..... الأشخاص الذين باستطاعتهم أن يعيشوا مع أنفسهم بالسهولة نفسها التي يعيشون فيها والعالم كله معهم، الذين باستطاعتهم أن يستمتعوا بأنفسهم وكأنهم أطفال صغار.

الأطفال الصغار باستطاعتهم أن يستمتعوا بأنفسهم. إن لفرويد مصطلحاً خاصاً لهم: (polymorphous)[5]. الطفل الصغير يستمتع بنفسه، إنه يتسلى ويلعب بجسده، إنه يحفز نفسه جنسياً، يمص إبهامه. إن كان يحتاج شخصاً آخر فتلك الحاجة تخص الجسد فقط. أنت تعطينه الحليب، تقلبينه، تبدلين ملابسه... كل تلك حاجات جسدية. ليس فيها أية حاجات نفسية سيكولوجية حقاً حتى الآن. إنه ليس قلقاً بشأن ما يظنه الناس به، ما إن كانوا يرونه جميلاً أم لا. ذلك هو السبب الذي يجعل كل طفل جميلاً، لأنه لا يهتم برأيك.

لا يولد أي طفل بشع على الإطلاق، وجميع الأطفال يصبحون بشعين شيئاً فشيئاً. من الصعب جداً أن نجد شخصاً كبيراً بالسن وجميلاً ـ نادراً جداً. من الصعب جداً أن نجد طفلاً بشعاً ـ نادراً جداً. كل طفل جميل وكل شخص كبير

---

[4]. (sannyasin): عضو في تنظيم أو أخوية دينية تعيش على الصدقات. والمعنى هنا هو الشخص الذي يسلك طريق الاعتزال والذي يكون سعيداً بشكل كامل في وحدته. م.

[5]. (polymorphous) : متعدد الأشكال أو الهيئات. م.

بالسن يصبح بشعاً. أين تكمن المشكلة؟ إن كان كل طفل يولد جميلاً فيفترض أن يموت جميلاً! لكن الحياة تقوم بشيء ما....

جميع الأطفال لديهم اكتفاء ذاتي ـ ذلك هو جمالهم، إنهم موجودون كالضياء بالنسبة لأنفسهم. كل كبار السن غير مفيدين، لقد أدركوا أنهم غير مفيدين أو أنه ما من أحد بحاجة إليهم. وكلما كبروا أكثر كلما ازداد شعورهم بالأمر. إن الأشخاص الذين احتاجوهم قد اختفوا، الأطفال كبروا، إنهم الآن مع عائلاتهم، الزوجات ماتوا أو أن الأزواج ماتوا. العالم الآن ليس بحاجة لهم، لا أحد يأتي إلى بيتهم، لا أحد يقدم الاحترام. حتى لو ذهبوا في نزهة، فلا أحد يتعرف عليهم، ربما كانوا مدراء عظيمين يوماً ما، رؤساء في مكاتبهم، مدراء بنوك، لكن لا أحد يتعرف عليهم الآن. لا أحد أيضاً يفتقدهم. ولأن أحداً لا يحتاجهم يشعرون بأنهم عديمو الفائدة، إنهم مجرد أشخاص ينتظرون الموت. ولا أحد سوف يهتم... حتى لو ماتوا، لا أحد سوف يهتم. حتى الموت يصبح شيئاً بشعاً.

حتى لو كان باستطاعتك أن تتخيل أنك عندما تموت فإن ملايين الناس سوف يندبونك ويبكون عليك، فإن ذلك سيعطي شعوراً بالسعادة ـ الكثير جداً من الناس سوف يقدمون لك الاحترام عندما تموت.

لقد حدث الأمر مرة، إذ خطط رجل من أمريكا لذلك، وهو الرجل الوحيد في تاريخ العالم الذي قام بهذا. أراد أن يعرف كم من الناس سوف يتأثرون بموته. قبل موته وعندما أخبره الطبيب أنه سيموت خلال اثنتي عشر ساعة، أعلن موته. كان رجلاً يمتلك الكثير من عروض السيرك، المعارض، المحلات، وكالات الإعلان، لذلك كان يعرف كيف عليه أن يعلن عن الأمر. في الصباح أعلن وكيله لجميع الصحف وأقنية الراديو والتلفزيون أنه قد توفي. تمت كتابة المقالات، افتتاحيات الصحف، بدأت المكالمات الهاتفية تتزاحم، كان هناك هياج كبير وقد قرأ كل شيء، واستمتع بذلك فعلاً!.

يتحول الناس دائماً إلى أشخاص جيدين عند وفاتهم، إنك تصبح ملاكاً في الحال لأنه ما من أحد يعتقد أنه من المهم قول أي شيء يسيء لك عندما تموت. عندما تكون حياً ترزق، لا أحد يقول لك أي شيء. تذكر ذلك، عندما تموت سيكونون سعداء ـ على الأقل قمت بشيء جيد لهم، لقد توفيت!

. كل شخص قد قدم احترامه لذلك الرجل، كل شخص قام بهذا أو ذاك، ظهرت الصور في الصحف ـ لقد استمتع بشكل كبير. وبعد ذلك مات شاعراً باطمئنان تام بأن الأمور تسير بشكل جميل.

أنت لا تحتاج الآخرين في حياتك فقط ـ أنت تريدهم حتى في موتك.... فكر بموتك، مجرد شخص أو اثنين، خادمك وكلب يتبعانك إلى مثواك الأخير. ليس هناك من شخص آخر، ليس هناك من رجال صحافة، لا صور، لا شيء، حتى أن أصدقاءك ليسوا معك. وكل شخص يشعر بالسعادة الغامرة لأن هذا العبء قد انتهى. مجرد التفكير بالأمر سيحزنك. حتى في وفاتك تبقى هناك الحاجة لأن يكون الآخرون بحاجة لك. ما هذا النموذج من الحياة؟ فقط آراء الآخرين تكون مهمة، وليس أنت؟ إن وجودك لا يعني أي شيء.

عندما قال المسيح: طوبى لكم أيها المعتزلون... فقد قصد بذلك: الإنسان الذي يبقى سعيداً بشكل كامل مع نفسه، الشخص الذي بإمكانه أن يكون وحده على الأرض وبدون أي تغيير في مزاجه، لن يتغير المناخ. لو اختفى العالم كله في الحرب العالمية الثالثة ـ من الممكن أن يحدث ذلك في أي يوم ـ وتُركتَ أنت وحيداً، فماذا ستفعل؟ إلا أن تنتحر بشكل فوري ماذا ستفعل؟ لكن (المعتزل) باستطاعته أن يجلس تحت شجرة وأن يصبح بوذا بدون العالم كله. إن المعتزل سوف يغني و يرقص ويتحرك، إن مزاجه لن يتغير. ليس بإمكانك أن تغير مزاج المعتزل، ليس باستطاعتك أن تغير مناخه الداخلي.

قال المسيح: طوبى لكم أيها المعتزلون والمختارون..." وهؤلاء هم الناس المختارون، لأن أولئك الذين هم بحاجة للتجمعات سوف يلقى بهم إلى تلك

التجمعات مرة بعد مرة، سوف ينتقلون من مجتمع إلى آخر أو من تجمع إلى آخر، لن يستطيعوا العيش بدون اعتماد على الآخرين، تلك هي حاجتهم، إن ذلك هو مطلبهم، تلك هي رغبتهم. إن الوجود يحقق ما تطلبه، وكيفما كنت فهذا مجرد إنجاز وتحقيق لرغبة سابقة. لا تضع اللوم على أحد آخر. إن ذلك هو ما صليت من أجل أن يتحقق. وتذكر: إن هذا واحد من أخطر الأمور في العالم. أياً كانت رغباتك فسوف تتحقق.

عليك أن تفكر قبل أن ترغب بشيء ما. هناك إحتمال كبير لأن تتحقق رغتبك، وبعدها سوف تعاني. إن هذا ما قد حصل للرجل الغني. لقد كان فقيرا ورغب في أن يصبح غنياً، رغب ورغب وقد تحقق ما يريده. الآن هو غير سعيد، الآن هو شخص يبكي وينتحب ويقول: "لقد أمضيت كل حياتي في تكديس.أشياء لا قيمة لها، وأنا غير سعيد!" لكن تلك كانت رغبته. إن كنت تتوق للمعرفة سوف تتحقق، إن رأسك سوف يصبح مكتبة عظيمة تحتوي العديد من الكتب المقدسة. لكن بعد ذلك في النهاية فسوف تبكي وتنتحب وتصرخ: "إنها مجرد كلمات، كلمات وكلمات، لا شيء جوهري وأساسي. لقد أضعت حياتي كلها في هذا."

عليك أن ترغب ضمن إطار من الوعي الكامل، لأن كل رغبة سوف تتحقق بشكل حتمي بوقت أو بآخر. ربما يحتاج الأمر لوقت أطول لأنك تقف دوماً في طابور، وكثير من الأشخاص رغبوا قبلك بالأمر، لذلك ربما تنتظر بعض الوقت. في بعض الأحيان ربما تتحقق رغبتك التي رغبتها في هذه الحياة في حياة أخرى، لكن الرغبات تتحقق دائماً، إنه واحد من القوانين الخطيرة. لذلك قبل أن ترغب بشيء، فكر بما تريد! قبل أن تطلب، عليك أن تفكر! تذكر جيداً بأن ما تريده سوف يتحقق يوماً ما، وعندها سوف تعاني.

المعتزل يصبح هو المختار، إنه المنتقى، الشخص المنتقى من الوجود. لماذا؟ لأن المعتزل لا يرغب بأي شيء من هذا العالم وليس بحاجة لذلك. لقد تعلم كل

ما عليه تعلمه من هذا العالم، لقد انتهت مدرسته، لقد اجتازها، تجاوزها. لقد أصبح كالذروة العالية التي تبقى شامخة في السماء ـ لقد أصبح مختاراً، أصبح (Gourishankar)[*]، أصبح كقمة إفيريست، أصبح بوذا، أصبح المسيح، إنهم قمم عالية، قمم منعزلة. إن ذلك هو جمالهم، إنهم موجودون وحدهم.

المعتزلون هم المختارون. ما الذي يختاره المعتزل؟ إنه يختار فقط كينونته الخاصة. وعندما تختار كينونتك الخاصة فإنك تختار كينونة الكون كله. كينونتك وكينونة الكون ليسا أمرين منفصلين. عندما تختار ذاتك تكون قد اخترت الله، وعندما تختار الله، فإن الله يكون قد اختارك ـ وعندها تصبح مختاراً.

طوبى لكم أيها المعتزلون والمختارون، لأنكم ستجدون الملكوت، ولأنكم منه ستعودون إليه.

إن المعتزل هو (Sannyasin) ـ وهذا ما تعينه كلمة (Sannyasin)، كيان المعتزل، السعيد بشكل كامل في وحدته. إن كان شخص ما يسير إلى جانبه فهذا جيد، وإن غادر أحدهم فسيكون ذلك أيضاً جيداً. إنه لا ينتظر شخصاً ما ولا ينظر خلفه. هو شخص كلي وحده. تلك الكينونة، وتلك الكلية، تجعل منك عبارة عن حلقة. هنا تلتقي البداية والنهاية، تلتقي الألف بالياء.

إن المعتزل لا يشبه الخط المستقيم. أنت تشبه الخط المستقيم ـ إن بدايتك ونهايتك لا تلتقيان. لكن المتعزل يشبه الحلقة، حيث تلتقي البداية والنهاية. وهذا سبب قول السيد المسيح: لأنكم منه ستعودون إليه. ـ سوف تصبح متحداً مع المصدر، لقد أصبحت دائرة.

هناك قول آخر للمسيح: "عندما تصبح البداية والنهاية متحدتين، تصبح أنت الأب." ربما كنت قد رأيت تلك الصورة ـ إنها واحدة من أقدم الأختام التي تعود

---

[*]. غوري شنكار: هم اسم قمة في جبال الهيمالايا، كما أنه اسم علم مذكر في اللغة البنغالية ويعني (اللورد شيفا). ويعتبر (شيفا) أحد الآلهة الرئيسية في الديانة الهندوسية معروف بأنه المحيي والمدمر للبشر.

إلى المجتمعات السرية في مصر - إنها لأفعى تأكل ذيلها. ذلك ما يعنيه لقاء البداية بالنهاية، وهذا ما تعنيه فكرة الولادة الجديدة، هذا ما يعنيه أن نصبح كالأطفال: تتحرك في دائرة، تعود إلى المصدر، تصل إلى هناك من حيث أتيت.

الفصل السابع عشر

الأسد والخراف

الفردانية هي الحقيقة النهائية. الإنسان يولد فردانياً، يموت فردانياً، بين هاتين الفردانيتين نخلق كل أنواع العلاقات والصراعات فقط من أجل أن نخدع أنفسنا، لأننا في الحياة أيضاً نبقى فردانيين. لكن الفردانية ليست شيئاً يجب أن يحزننا وجوده، إنه شيء يجلب السعادة. هناك كلمتان لهما في القاموس المعنى نفسه، لكن الوجود يعطيهما معنيين متعاكسين تماماً. إنهما كلمتا (الوحدة) و(الفردانية)[1]. إنهما غير مترادفتين.

الوحدة حالة سلبية، تشبه العتمة. الوحدة تعني أنك تفتقد شخصاً ما، أنت فارغ، خائف في هذا الكون الفسيح. بينما الفردانية لها معنى مختلف تماماً، فهي

---

[1]. (الوحدة) و(الفردانية): الوحدة (loneliness)هي أن تعيش وحدك مرغماً، بمعنى أن تكون مهملاً من قِبَلِ الآخرين بينما أنت في حاجة ماسة إليهم. أما الفردانية (aloneness) فهي أن تكون مكتفياً بنفسك، سعيداً بكل ما تفعله وتفكر به دون الحاجة إلى وجود الآخر، وإن تواجد الآخر فإنك تكون سعيداً بنفس الطريقة. م.

لا تعني فقدانك لشخص ما، تعني أنك قد وجدت ذاتك. إنها ذات معنى إيجابي بشكل كامل.

اكتشاف الشخص لذاته هو اكتشاف الشخص لمعنى الحياة، قيمة الحياة، متعة الحياة، عظمة وروعة الحياة. اكتشاف الذات هو أعظم اكتشافات الإنسان. وهذا الاكتشاف ممكن فقط عندما يكون الإنسان فردانياً، عندما يكون وعيك غير مشتت بأي شي آخر، بأي شخص آخر، عندما يكون وعيك فارغاً تماماً، في هذا الفراغ وهذا اللاشيء تحدث المعجزة، وتلك المعجزة هي الأساس لكل تدين.

إن المعجزة هي أنه عندما لا يكون هناك شيء آخر ليعيه وعيك، يصبح الإدراك في مجابهة ذاته، يصبح كالحلقة، يواجه ذاته دون عقبات، دون اعتراضات، بحيث يعود إلى المنبع. في اللحظة التي تكتمل فيها الدائرة، لم تعد أنت مجرد كائن بشري عادي، تصبح جزءاً من الإلوهية التي تحيط بالوجود. أنت لم تعد نفسك، تصبح جزءاً من الكون الكلي - إن نبضات قلبك تصبح نبضات الكون بحد ذاته.

تلك التجربة كان قد بحث عنها المتصوفون طوال حياتهم على مر العصور. ليس هناك من تجربة أخرى تحتوي نشوة أو سعادة أكثر من هذه التجربة. إن تلك التجربة تغير كل وجهة نظرك: حيث كانت هناك ظلمة أصبح هناك ضوء، حيث كان هناك بؤس أصبحت هناك نشوة وسعادة، حيث كان هناك غضب وكره وتملك وغيرة، أصبحت هناك زهرة الحب الجميلة فقط. كل تلك الطاقة التي كانت تضيع في المشاعر السلبية لم تعد تضيع الآن، إنها تأخذ منعطفاً إيجابياً وخلاقاً.

من جهة ما أنت لم تعد ذاتك القديمة، ومن جهة أخرى أنت وللمرة الأولى ذات حقيقية. القديم ذَهبَ، والجديد الأصلي قد وصل. القديم مات، والجديد ينتمي إلى الأبدية، ينتمي إلى الخلود.

وبسبب تلك التجربة أعلن المطلعون على الأبانيشاد أن الإنسان هو(amritasya putrah) أي أبناء وبنات الخلود.

ما لم تتعرف على ذاتك، على أنك من الكائنات الأبدية، على أنك جزء من الكل، فستبقى خائفاً من الموت، وسبب الخوف من الموت هو ببساطة عدم إدراكك لمنبع الحياة الأبدية التي لديك. في اللحظة التي تدرك فيها الأبدية المتعلقة بكينونتك يصبح الموت أكبر كذبة في الوجود. الموت لم يحدث، لا يحدث الآن ولن يحدث في المستقبل، لأن ما يكون موجوداً يبقى دائماً بأشكال مختلفة وعلى مستويات مختلفة لكن ليس هناك انقطاع في الاستمرارية. إن الخلود في الماضي والخلود في المستقبل كلاهما عائدان إليك. واللحظة الحاضرة تأتي كنقطة لقاء بين الحالتين السابقتين من الخلود: واحد يذهب نحو الماضي والآخر يسير باتجاه المستقبل.

إنّ تَذَكُّرَ فردانيتك لا ينبغي أن يكون فقط في العقل، بل في كل جزء من كينونتك، بكل خلية من جسدك يجب أن تتذكر الفردانية، ليس ككلمة، بل كإحساس عميق. إن نسيان ذاتك هو الخطيئة الوحيدة الموجودة، بينما يكون التذكر هو الفضيلة الوحيدة.

لقد شدد (غاوتاما بوذا) على كلمة واحدة باستمرار ولمدة اثنين وأربعين سنة، نهاراً وليلاً، والكلمة هي (sammasati) ـ وهي تعني "التذكر الصحيح". إنك تتذكر الكثير من الأمور ـ بإمكانك أن تصبح وكأنك الموسوعة البريطانية، عقلك لديه القدرة على تذكر كل المكتبات في العالم ـ لكن ذلك ليس بالتذكر السليم. هناك فقط تذكر واحد صحيح: إنه اللحظة التي تتذكر فيها نفسك.

اعتاد (غاوتاما بوذا) أن يوضح النقطة التي يريدها بقصة قديمة عن لبؤة كانت تقفز من رابية إلى رابية، وكان هناك قطيع كبير من الخراف يتحرك بين الربوتين. كانت اللبؤة حاملاً وقد أنجبت بينما كانت تقفز. وسقط شبلها بين قطيع الخراف وكبر ونما بين الخراف. وبشكل طبيعي اقتنع بأنه خروف. كان

غريباً لأنه كان كبيراً جداً، مختلفاً ـ لكن ربما كان مجرد مسخ من الطبيعة. لقد نشأ في القطيع كحيوان عاشب.

كبر الشبل، وفي أحد الأيام كان هناك أسد عجوز في طريقه للبحث عن طعامه، اقترب من قطيع الخراف. لم يكن باستطاعته أن يصدق عينيه. في وسط تلك الخراف كان هناك أسد يافع يسير في كامل عظمته والخراف غير خائفة منه. نسي أمر طعامه وركض خلف قطيع الخراف. أصبح أكثر حيرة وارتباكاً لأن الأسد اليافع كان يركض هارباً مع الخراف. أخيراً أمسك بالأسد اليافع، الذي كان يبكي وينتحب قائلاً للأسد العجوز: "أرجوك، دعني أذهب مع جماعتي"

لكن الأسد العجوز جرَّ الأسد اليافع إلى بحيرة قريبة ـ بحيرة هادئة ليس فيها من أمواج، تشبه بسكونها مرآة صافية ـ وأجبره على رؤية صورته بالإضافة إلى صورة وجه الأسد العجوز، حدث تحول مفاجئ. في اللحظة التي رأى فيها الأسد اليافع حقيقة حاله أصدر زئيراً عظيماً، حتى أن كل أنحاء الوادي رددت صدى زئير هذا الأسد اليافع. لم يكن قد زأر قبل ذلك لأنه لم يكن يعتقد ليس إلا خروف صغير.

قال الأسد العجوز: "عملي قد انتهى والأمر الآن منوط بك. هل تريد العودة إلى قطيعك الذي كنت معه؟"

ضحك الأسد اليافع وقال: "سامحني، كنت قد نسيت تماماً من أنا على حقيقتي، وأنا ممتن امتناناً كبيراً لك لأنك ساعدتني على أن أتذكر".

اعتاد (غاوتاما بوذا) على القول، "وظيفة المعلم هو أن يساعدك على أن تتذكر من أنت على حقيقتك." إنك لست جزءاً من هذا العالم الدنيوي، بيتك هو البيت السماوي، لقد تهت في عالم من النسيان، حتى أنك نسيت أن الله مختبئ بداخلك. أنت لم تبحث أبداً في داخلك. ولأن كل شخص يبحث في الخارج، أنت أيضاً تبحث في الخارج.

أن تكون فردانياً، فتلك فرصة عظيمة، بركة، ففي فردانيتك من المحتم أنك ستصادف ذاتك، وللمرة الأولى تتذكر فعلاً من أنت حقيقة. إن معرفة أنك جزء من الوجود الإلهي هي تحررٌ من الموت، تحررٌ من البؤس، من القلق، تحرر من كل ما كان يشكل كابوساً بالنسبة لك في العديد والعديد من الحيوات.

كن أكثر ثباتاً في عمق فردانيتك. هذا ما يدعى بالتأمل، إنه التركيز في الفردانية الشخصية للشخص. الفردانية على أن تكون نقية تماماً، لا يعيقها لا فكرة واحدة ولا حتى شعورٌ واحد. في اللحظة التي تكتمل فيها فردانيتك، فإن تجربتك بها سوف تصبح تنورك. والتنور ليس شيئاً يأتي من الخارج، إنه شيء ينمو وينضج في داخلك.

أن تنسى نفسك هو الإثم الوحيد. وأن تتذكر نفسك في جمالها المطلق، تلك هي الفضيلة الوحيدة، التدين الوحيد. ليس عليك أن تكون هندوسياً، أو مسلماً، أو مسيحياً ـ كل ما تحتاجه لأن تكون متديناً هو أن تكون ذاتك.

في الواقع نحن لم ننفصل، حتى الآن ـ لم ينفصل أي شخص، إن كل الوجود هو عبارة عن وحدة عضوية. وفكرة الانفصال أتت بسبب حالة نسياننا. الفكرة على الأغلب مشابهة لورق الشجر، فكل ورقة من الشجرة تعتقد أنها منفصلة، منفصلة عن الأوراق الأخرى.... لكن في العمق تتغذى الورقة من نفس الجذور. إنها شجرة واحدة وهناك الكثير من الأوراق. إنها وجود واحد، لكن تظاهراتها قد تكون متعددة.

من خلال معرفة نفسك، يتضح أمر واحد بشكل كامل، لا أحد يعيش كما لو أنه جزيرة ـ إننا قارة، قارة واسعة، وجود لا متناهٍ بدون أية حدود. الحياة نفسها تجري في الجميع، الحب نفسه يملأ كل قلب، الفرح نفسه يتراقص في كل حياة. ولكن بسبب سوء فهمنا نعتقد بأننا منفصلون.

فكرة الانفصال هي وهمنا، فكرة وحدتنا سوف تكون تجربتنا للحقيقة القصوى. تحتاج إلى القليل من الذكاء وسوف تخرج من كل ذلك الظلام، من كل

تلك الكآبة، من الجحيم الذي تعيش فيه الإنسانية جمعاء. والسر في الخروج من هذا الجحيم هو في تذكر ذاتك. والتذكر سيكون ممكناً إن فهمت فكرة أنك كائن وجداني.

ربما تكون قد عشت مع زوجتك أو زوجك لمدة خمسين عاماً، مع ذلك أنتما اثنان. إن زوجتك وحدها وأنت وحدك. أنت تحاول أن تخلق واجهة تقول: "إننا لسنا وحيدين،" وأننا "عبارة عن عائلة،" أو تقول: "إننا مجتمع أو أننا حضارة، ثقافة، دين منظم، حزب سياسي"، لكن كل تلك الأوهام لن تساعد.

عليك أن تدرك مهما بدا ذلك مؤلماً في البداية: "أنا وحدي وفي أرض غريبة". ذلك الإدراك وللمرة الأولى يكون مؤلماً. إنه يذهب بكل تلك الأوهام ـ التي كانت عزاء عظيماً. لكن عندما تتجرأ على قبول تلك الحقيقة سوف يختفي الألم. وما كان مختفياً خلف الألم هو أعظم بركة في العالم، أنت على وشك اكتشاف ذاتك.

إنك عقل الوجود الذكي، إنك وعي الوجود ويقظته، إنك روح الوجود، إنك جزء من الألوهية التي تتظاهر في آلاف النماذج، الأشجار، الطيور، الحيوانات، البشر.... لكنه الوعي نفسه في مراحل مختلفة من التطور. والإنسان الذي يدرك ذاته ويشعر بأن الله الذي كان يبحث عنه في كل أنحاء العالم هو في قلبه، هذا الإنسان يصل إلى أعلى نقطة من التطور. ولا شيء أرقى من هذا.

إن ذلك يجعل حياتك للمرة الأولى ذات معنى، ذات أهمية، متدينة. لكنك لن تصبح هندوسياً، ولا مسيحياً، ولا يهودياً، ستكون ببساطة متديناً. وعبر تدينك بالهندوسية أو المسيحية أو البوذية، أو الجاينية، فإنك تدمر نقاء التدين ـ لا ضروزة للتوصيفات.

الحب هو الحب ـ هل سمعت مرة عن الحب الهندوسي؟ أو الحب الإسلامي؟ الوعي هو الوعي ـ هل فكرت مرة بالوعي الصيني أو الوعي الهندي؟ التنور هو التنور، سواء تم في الجسد الأبيض أو الأسود، سواء حدث لشاب يافع

أو لرجل عجوز، سواء حصل لذكر أم أنثى، ما من فرق. إنها التجربة نفسها، الطعم نفسه، الحلاوة نفسها والشذا نفسه.

الشخص الوحيد غير الذكي هو ذلك الشخص الذي يدور حول العالم في حالة من البحث عن شيء ما، وهو لا يعرف تماماً ما هو هذا الشيء الذي يبحث عنه. مرة يعتبر أن ما يبحث عنه هو المال، ومرة تكون القوة، ومرة تكون الهيبة، ومرة يكون الاحترام.

الشخص الذكي يبحث في نفسه قبل أن يبدأ رحلة البحث في العالم الخارجي. إن هذا يبدو بسيطاً ومنطقياً ـ على الأقل ابحث في البداية داخل منزلك قبل أن تبحث في جميع أنحاء العالم. أولئك الذين بحثوا في ذواتهم قد وجدوها، وبدون أي استثناءات.

(غوتاما بوذا) ليس بوذياً. إن كلمة بوذا ببساطة تعني المتنور أو المستيقظ الذي استفاق من نومه. (المهافيرا الجايني)، ليست (جاينياً). إن كلمة (جاينا) ببساطة تعني الشخص الذي تغلب على ذاته. إن العالم يحتاج إلى ثورة عظيمة بحيث يجد كل فرد دينه الخاص داخل ذاته. في اللحظة التي يصبح فيها الدين منظماً يصبح خطيراً، يصبح بالحقيقة تنظيماً سياسياً بوجه ديني مزيف. وهذا هو السبب الذي يجعل كل الأديان في العالم تتابع محاولاتها لهداية المزيد من الأشخاص إلى ديانتها. إنها سياسة الأرقام، والدين الحاصل على أرقام أكبر سوف يصبح أكثر قوة. لكن لا يبدو أن أحداً يكترث لجعل ملايين الأشخاص يبحثون عن ذواتهم.

عملي هنا يهتم بإخراجك من أي نوع من الجهد المنظم، لأن الحقيقة لا يمكن لها أن تنظَّم. عليك أن تتابع رحلة حجك بمفردك، لأن ذلك الحج يجب أن يكون بداخلك. ليس باستطاعتك أن تأخذ أي شخص معك، عليك أن تلقي بكل ما تعلمته من الآخرين، لأن كل الأحكام المسبقة سوف تشوه رؤيتك. لن تكون

قادراً على رؤية الحقيقة العارية لكينونتك. إن الحقيقة العارية لكينونتك هي الأمل الوحيد لديك بالعثور على الله.

الله هو حقيقتك العارية، غير المزينة، بدون أية توصيفات. إنه ليس محدوداً بجسدك، ولا بميلادك، ليس محصوراً بلونك أو جنسك أو بلدك، إنه ببساطة ليس محدداً بأي شيء. هو موجود، وقريب جداً منك، مجرد خطوة واحدة باتجاه الداخل، باتجاه ذاتك وتكون قد وصلت.

قيل لك على مدى آلاف السنوات إن الرحلة لإيجاد الله طويلة جداً. إن الرحلة ليست طويلة والله ليس بعيداً. إن الله موجود في تنفسك، في ضربات قلبك، في دمك، في عظامك، في نخاعك، عليك فقط أن تقوم بخطوة واحدة، وهي إغلاق عينيك والدخول إلى ذاتك.

ربما يحتاج ذلك لبعض الوقت لأن العادات القديمة تقاوم بعناد. حتى لو أغلقت عينيك، فالأفكار سوف تتزاحم في رأسك. تلك الأفكار هي من الخارج، والمنهج البسيط الذي تَبِعَهُ جميع المراقبين العظماء للعالم هو أن تراقب أفكارك. أن تكون مجرد شاهد، لا تدينها، لا تعقلنها، لا تبررها. اتركها بمعزل عنك، تصرف بلامبالاة، دعها تمر ـ وسوف تذهب.

في اليوم الذي يصبح فيه عقلك صامتاً تماماً بدون أية معيقات، تكون قد أخذت الخطوة الأولى التي تأخذك إلى معبد الله.

إن معبد الله مصنوع من وعيك. ليس باستطاعتك الذهاب إليه مع أصدقائك أو أطفالك، أو مع زوجتك أو أهلك.

على كل شخص أن يذهب إليه وحده.

أسئلة

سؤال:

ـ لم أشعر يوماً بالانتماء، لم أشعر أنني في الداخل، لم أشعر أنني متحدة مع شخص آخر، لِمَ كُنتُ وحيدةً طوال حياتي؟

الحياة هي لغز، لكن يمكنك أن تقلصها إلى مشكلة. وفي الوقت الذي تجعل من اللغز مشكلة سوف تقع في المتاعب، لأنه لا يمكن حل تلك المشكلة. اللغز يبقى لغزاً، ليس قابلاً للحل، ولهذا يسمى لغزاً.

الحياة ليست مشكلة، وهذا من الأخطاء الأساسية التي نستمر بارتكابها، إننا نضع فوراً إشارة استفهام، وإن وضعت إشارة استفهام على لغز ما فستبحث عن جواب طوال حياتك ولن تجده، وهذا سيسبب لك إحباطاً كبيراً طبعاً.

من مراقبتي للمُستفهِمة عن هذا الأمر فهمت أنها وُلِدَت تأملية. بدلاً من جعل الأمر مشكلة، ابتهجي! اللاانتماء هو أحد أعظم التجارب في الحياة. كونك منعزلة تماماً ولا تشعرين بأنك تنتمين إلى أي مكان هو تجربة سمو عظيمة.

أتى سائح أميريكي لرؤية معلم صوفي كان قد سمع عنه لعدة سنوات، وكان قد وقع في عشق كلماته ورسالته. قرر أخيراً أن يذهب ليراه. عندما دخل إلى

غرفته فوجئ كانت غرفة فارغة تماماً! كان المعلم جالساً، لم يكن هناك أي أثاث على الإطلاق! لا يستطيع الأمريكي تخيل مكانٍ معيشة بدون أي أثاث. سأل فوراً: "أين أثاثك أيها المعلم،؟"

ضحك المعلم الصوفي وقال: "وأين أثاثك أنت؟" قال الأمريكي: "أنا هنا مجرد سائح وليس باستطاعتي أن أحمل أثاثي معي طبعاً!"

قال المعلم: "مثلي تماماً، فأنا سائح لعدد من الأيام فقط، وبعدها سوف أمضي، كما ستذهب أنت أيضاً."

هذا العالم عبارة عن رحلة حج ـ ذو أهيمة عظيمة، لكنه ليس مكاناً ننتمي إليه، ليس مكاناً لنكون جزءاً منه. ابق كورقة اللوتس.

هذه واحدة من الكوارث التي حدثت للعقل البشري، نحن نصنع مشكلة من كل شيء. يجب أن يكون هذا مصدر بهجة عظيمة لك. لا تقولي عن نفسك "وحيدة". إنك تستخدمين كلمة خاطئة لأن هذه الكلمة تحديداً تتضمن الإدانة، إنك فردانية وكلمة "فردانية" فيها جمال عظيم. أنت لست حتى "وحيدة". أن تكوني وحيدة يعني أن لديك حاجة للآخرين، أن تكوني "فردانية" يعني أن تكوني متجذرة بشكل كامل في ذاتك، متوازنة في ذاتك، ومكتفية بنفسك.

أنت لم تتقبلي حتى الآن تلك الهدية من الحياة، لذلك تعانين معاناة غير ضرورية. وتلك هي ملاحظتي: الملايين من الناس يعانون بدون ضرورة.

انظري إلى الأمر من منظور آخر. أنا لن أعطيك جواباً، أنا لا أقدم أية أجوبة، ببساطة أنا أقدم لك منظوراً جديداً لتري من خلاله، زاوية رؤية مختلفة.

فكري بنفسك على أنكِ مخلوق تأملي قادرعلى أن يكون فردانياً، قوي بما يكفي لكي يكون فردانياً، وبأنك متوازنة ومتجذرة جداً بحيث لن تكون هناك حاجة للآخر على الإطلاق. نعم، باستطاعة الشخص أن يتواصل مع الآخر، لكن ليس بشكل علاقة. إن التواصل أمر جيد جداً. شخصان فردانيان بإمكانهما أن يتواصلا معاً، لكنّ شخصين فردانيين لايمكنهما أن يكونا في علاقة.

العلاقة هي الحاجة الموجودة لدى أولئك الذين ليس باستطاعتهم أن يكونوا فردانيين. إن الشخصين الوحيدين يدخلان في علاقة، لكن الشخصين الفردانيين يتواصلان، ومع ذلك يبقيان فردانيين. إن فردانيتهما تبقى بدون تلويث، تبقى فردانيتهما بكراً ونقية. إنهما يشبهان القمم، قمم الهيمالايا، عالية في السماء فوق الغيوم. ليس هناك من قمتين تتلاقيان، مع ذلك هناك نوع من التبادل من خلال الرياح ومن خلال الأمطار، الأنهار، الشمس، النجوم. نعم، هناك تبادل، الكثير من الحوارات تستمر. يهمس كل منهما للآخر، لكن فردانيتهما تبقى كاملة، إنهما لا يتنازلان أبداً.

كوني مثل قمة عالية في السماء، لماذا عليك أن تتوقي إلى الانتماء؟ إنك لست شيئاً مادياً!، الأشياء هي التي تنتمي.

تقولين: لم أنتم يوماً، لم أكن في الداخل.

ليس هناك من حاجة لذلك. أن تنتمي إلى مجموعة في هذا العالم يعني أن تتوهي. الشخص الدنيوي هو الشخص المنتمي، شخص مثل بوذا سيبقى خارجياً دوماً، كل الشبيهين ببوذا هم خارجيون. حتى إن كانوا متواجدين ضمن حشد من الناس فإنهم يكونون فردانيين، حتى لو كانوا في سوق عام فإنهم ليسوا هناك، حتى إن تواصلوا فإنهم يبقون منفصلين، هناك نوع من المسافة الدقيقة تبقى دائماً موجودة.

تلك المسافة هي الحرية، تلك المسافة هي فرحة عظيمة، هي فسحتك الخاصة، وأنت تقولين عن نفسك إنك وحيدة؟ لا بدّ أنك تقارنين نفسك بالآخرين: "إن لديهم الكثير من العلاقات، إن لديهم علاقات حب. إنهم ينتمون بعضهم لبعض، إنهم ينتمون إلى مجموعة ما وأنا وحيدة. لماذا؟" لا بدّ أنكِ تخلقين ألماً لا داعي له.

مقاربتي دائماً هي: إن كل شيء قدمه لك الوجود يجب أن يكون ضرورة حساسة لروحك، وإلا لم يكن ليعطى لك في المقام الأول.

فكري اكثر بالفردانيه، احتفلي بالفردانيه، ابتهجي بمساحتك النقيه، وبالاغنية العظيمة التي ستظهر في قلبك. وستكون أغنية للإدراك، أغنية للتأمل، أغنية الطير الوحداني الذي ينادي في الفضاء ولا ينادي شخصاً محدداً، إنه ينادي فقط لأن قلبه ممتلئ ويريد أن ينادي، لأن الغيمة ممتلئة بالماء وتريد أن تمطر، لأن الزهرة ممتلئة وقد تفتحت بتلاتها وتحرر شذاها بدون أن يتوجه إلى شخص ما. دعي فردانيتك تصبح كرقصة.

أنا سعيد جداً بك. إن أنت توقفت عن خلق المشاكل لنفسك.... أنا لا أرى أن هناك مشاكل حقيقية. المشكلة الوحيدة هي أن الناس مستمرون بخلق المشاكل! المشاكل لا تحل أبداً، يتم امتصاصها وحسب. أنا أقدم لك وجهة نظر، رؤية. امتصي مشكلتك! اقبليها كهدية من الله، مع الشكر والامتنان، وعيشيها. وسوف تتفاجئين، يا لتلك الهدية النفيسة، حتى أنك لم تقدريها بعد، يا لتلك الهدية النفيسة، إنها موجودة هناك في قلبك بدون تقدير.

راقصي فردانيتك، غنيها، عيشيها!

أنا لا أقول لك لا تحبي. في الواقع، الشخص الذي يكون قادراً على البقاء فردانياً هو وحده القادر على الحب. إن الشخص الوحيد لا يستطيع أن يحب. حاجته كبيرة جداً بحيث يتشبث ـ كيف له أن يحب؟ الشخص الوحيد ليس باستطاعته أن يحب، يمكنه فقط أن يستغل. الشخص الوحيد يتظاهر بالحب، في أعماقه يريد أن يحصل على الحب، ليس لديه الحب ليعطيه، ليس لديه شيء ليعطيه. الشخص الذي يعرف كيف يكون فردانياً وسعيداً هو وحده الشخص الممتلئ بالحب والذي يستطيع أن يشارك هذا الحب. إن باستطاعته أن يتشارك به مع الغرباء.

الجميع غرباء، تذكري ذلك. زوجك، زوجتك، أطفالك، الجميع غرباء. لا تنسي هذا الأمر! أنت لا تعرفين زوجك وأنت لا تعرف زوجتك. لا تعرف أولادك، إن الطفل الذي حملته في رحمك لتسعة أشهر غريب.

إن كل الحياة هي أرض غريبة، لقد أتينا من مصدر مجهول. فجأة أصبحنا هنا، وفي يوم ما وفجأة نمضي عائدين إلى مصدرنا الأصلي. إن ما نحن به هو رحلة لمدة أيام، اجعلها أياماً سعيدة قدر الإمكان. لكن ما نفعله هو العكس ـ نحن نجعلها تعيسة قدر الإمكان. نسخّر كل طاقتنا في جعلها أكثر وأكثر تعاسة.

سؤال:

ـ لماذا يكون إحساسي بالحزن أكثر حقيقية من إحساسي بالفرح؟ أريد كثيراً أن أكون حقيقياً، ألا ألبس أية أقنعة، لكن ذلك يبدو وكأنه يعني حالة من الرفض الكبير من قِبَل الآخرين. هل من الممكن أن أكون فردانياً إلى هذا الحد؟

من المهم جداً أن نفهم أن تلك هي حالة الأغلبية من الناس. إن تعاستك هي بالتأكيد أكثر حقيقية لأنها تخصك، إنها أصلية. إن سعادتك ضحلة، إنها ليست لك لأنها تعتمد على شخص آخر أو شيء آخر. وأي شيء يجعلك معتمداً ـ مهما كان يشعرك بالسعادة للحظات قليلة ـ فإنه سينتهي، سرعان ما ينتهي شهر العسل بفترة أقل مما كنت تتوقع.

أنت سعيد بسبب صديقتك أو بسبب صديقك. لكنهما كائنان منفصلان، ربما لا يتفق معك في جميع الأمور. في الواقع ما يحدث غالباً هو أنه أياً كان ما يحبه الزوج، لا تحبه الزوجة، وأياً كان ما تحبه الزوجة لا يحبه الزوج. غريب..... لأنه على الأغلب كونيّ. هناك بعض المبررات لذلك، في العمق كل منهما يكره الآخر، لسبب بسيط هو أنهما معتمدان بعضهما على بعض للحصول على السعادة، ولا أحد يحب الاعتماد. العبودية ليست رغبة جوهرية أساسية في الطبيعة البشرية. إذا قدم لك الرجل السعادة أو قدمت لك المرأة السعادة وأصبحت معتمداً فأنت في نفس اللحظة تخلق كرهاً عميقاً بسبب الإعتماد. لم يعد باستطاعتك التخلي

عن المرأة لأنها هي التي تجعلك سعيداً كما أنك لا تستطيع التخلي عن الضغينة والكره للمرأة لأنها جعلت منك معتمداً.

لذلك فإن كل علاقات الحب المزعومة هي ظاهرة غريبة ومعقدة جداً. إنها علاقات (حب ـ كره). يحتاج الكره إلى أن يظهر بطريقة أو بأخرى وهذا ما يجعل أي شيء تحبه الزوجة لا تحبه أنت، وأياً كان ما يحبه الزوج لا تحبه الزوجة. من أجل أي شيء صغير يتصارع الزوجان، لحضور أي فلم نذهب؟ ـ يكون هناك صراع هائل. لأي مطعم نتجه؟ ـ يحدث صراع آخر. إنها الضغينة تتحرك تحت الغلاف المخادع من السعادة. السعادة تبقى ضحلة، رقيقة جداً، ما عليك إلا أن تخدشها قليلاً وسوف تجد العكس تماماً.

لكن الحزن أصلي أكثر لأنه لا يعتمد على أي شخص. إنه لك، لك تماماً، وذلك سوف يمنحك تبصراً عظيماً لأن تعاستك يمكن لها أن تساعدك أكثر من سعادتك. أنت لم تنظر إلى التعاسة عن قرب. لقد حاولت تجنب رؤيتها بطرق مختلفة. إن أنت شعرت بالحزن فإنك تذهب لحضور فيلم أو تقوم بتشغيل التلفاز، أو تلعب مع أصدقائك، تذهب إلى النادي، تبدأ بعمل أي شيء يجعلك لا تحتاج إلى رؤية حزنك. إن ذلك ليس بالتصرف الصحيح، إنها ليست المقاربة الصحيحة.

عندما تكون حزيناً فهذه ظاهرة هامة ومقدسة جداً، شيء ما يخصك أنت. تعرف عليها جيداً، ادخل عميقاً بها، وسوف تتفاجأ. اجلس بصمت وكن حزيناً. إن للحزن جماله الخاص.

الحزن صامت، إنه لك، إنه يأتي لأنك وحيد، إنه يعطيك الفرصة لتغوص عميقاً في فردانيتك بدلاً من القفز من سعادة ضحلة إلى أخرى مهدراً حياتك. من الأفضل لك أن تستخدم الحزن كوسيلة من أجل التأمل، راقبه، إنه صديق! إنه يفتح باب فردانيتك الأبدية.

ليست هناك وسيلة تجنبك الفردانية. يمكنك أن تخدع نفسك لكنك لن تنجح. ونحن نخدع أنفسنا بكافة الوسائل: في العلاقات، في الطموح، في الشهرة،

في فعل هذا وذاك. إننا نحاول خداع أنفسنا بأننا لسنا وحدانيين وبأننا لسنا حزينين. لكن عاجلاً أم آجلاً سيهترئ القناع ـ إنه مزيف، ليس بإمكانه البقاء للأبد ـ عندها لا بد من قناع آخر. في حياة واحدة قصيرة كم من الأقنعة عليك أن تلبس؟ وكم منها قد تبدد أو تغير؟ لكنك تتابع التصرف حسب العادة القديمة.

إن رغبت أن تكون إنساناً أصيلاً فاستخدم الحزن، لا تهرب منه، إنه بركة عظيمة، اجلس معه بصمت، استمتع به، لا مشكلة في أن تكون حزيناً. وبقدر ما تكون مطلعاً عليه وعارفاً به وبتفاصيله الدقيقة، سوف تكون متفاجئاً. إنه استرخاء عظيم، راحة كبيرة، وسوف تخرج منه وقد استعدت شبابك ونشاطك وحيويتك، وما إن تتذوقه حتى ترغب بتلك اللحظات الجميلة من الحزن مرة بعد أخرى.سوف تنتظرها، ترحب بها، وسوف تفتح لك أبواباً جديدة باتجاه فردانيتك.

لقد وُلِدت فردانياً وستموت فردانياً. وبين تينك الفردانيتين تستطيع أن تخدع نفسك بأنك لست فردانياً، بأن لديك زوجة وأن لديك زوجاً، أطفالاً، مالاً، سلطة. لكن بين الفردانيتين السابقتين تكون فردانياً. وكل ما تفعله يكون كي تبقي نفسك منشغلاً بشيء أو بآخر، بحيث لا تصبح مدركاً لفردانيتك.

منذ طفولتي لم أتشارك مع الناس أبداً. وكان جميع أفراد عائلتي قلقين جداً: فأنا لا ألعب مع الأطفال ولم ألعب معهم. حتى أن أساتذتي كانوا قلقين: "ما الذي تفعله أنت عندما يمارس الأطفال ألعابهم؟ أنت تجلس تحت الشجرة مع نفسك فقط." لقد اعتقدوا أن هناك مشكلة لدي.

لقد قلت لهم: "ليس عليكم أن تقلقوا، والحقيقة هي أنكم أنتم من يعاني من مشكلة، أنتم وكل الأطفال. فأنا سعيد جداً كوني أجلس وحدي."

شيئاً فشيئاً تقبلوا أن هذا هو أنا ولا يمكن فعل شيء حيال ذلك. لقد حاولوا مساعدتي بكل الطرق كي أندمج مع الأطفال الآخرين من عمري. لكن كنت أستمتع ببقائي فردانياً كثيراً بحيث بدا لي أن لعب كرة القدم أمر عصابيٌّ تقريباً.

وقد قلت لأستاذي: "أنا لا أرى أية فائدة من ذلك. لماذا هذا الركل للكرة بين هذا وذاك؟ ليست هناك من فائدة، حتى إن سجلت هدفاً ماذا يعني ذلك؟ ما الذي تم تحقيقه من ذلك؟ إن كان هؤلاء الناس مغرمين بتسجيل الأهداف إلى هذه الدرجة فالأفضل من وجود كرة واحدة أن يكون لديهم ثماني عشرة كرة. أعطِ كل واحد منهم كرة، دعه يسجل أهدافاً كما يريد، لا أحد يمنعه. دعهم يسجلون أهدافاً من أجل راحة قلوبهم! طريقتكم فيها الكثير من الصعوبة، لماذا تجعل الأمر صعباً بدون ضرورة؟"

وقال معلمي: "أنت لا تفهم إطلاقاً أنه بتلك الحالة لن تكون هناك مباراة، إن كانت هناك ثماني عشرة كرة للأطفال وكل منهم يسجل أهدافاً كما يريد. فهذا لن ينفع."

قلت له: "أنا لا أفهم. بخلق العقبات ومنع الناس... إنهم يسقطون ويصابون بالكسور وكل الأنواع الأخرى من الهراء، وليس هذا فقط ـ عندما تكون هناك مباراة، آلاف الأشخاص يتجمعون لمشاهدتهم، يبدو وكأن هؤلاء الناس لا يعرفون أن الحياة قصيرة جداً ـ وهم يتابعون مباراة في كرة القدم! وهم مثارون بشكل كبير، يقفزون ويصرخون، بالنسبة لي هذا أمر عصابي تماماً. أنا أفضل أن أجلس تحت شجرتي."

كانت لدي شجرتي، شجرة جميلة جداً، خلف مبنى المدرسة. أصبحت معروفة بأنها شجرتي، لا أحد يذهب إلى هناك. لقد اعتدت على الجلوس هناك خلال أوقات اللعب أو خلال أوقات أي نوع من أنواع النشاطات العصابية ـ "النشاطات الإضافية على المناهج". لقد اكتشفت الكثير تحت تلك الشجرة، وعندما كنت أعود إلى بلدتي، اعتدت على عدم الذهاب إلى مكتب المدير ـ كان مكتبه قريباً جداً من الشجرة، لقد كانت خلف مكتبه تماماً ـ لكني اعتدت على الذهاب إلى الشجرة لأشكرها، لإظهار امتناني لها. وهنا خرج المدير وقال لي: "هذا

غريب. لقد أتيت إلى البلدة ـ لم تأتِ لرؤيتي ولم تأتِ لرؤية المدرسة، لكنك تأتي لرؤية الشجرة دائماً."

قلت له: "لقد اختبرت تحت تلك الشجرة أكثر بكثير مما تعلمته تحت إدارتك وتحت إشراف كل أنواع المدرسين المجانين الذين لديك. إنهم لم يقدموا أي شيء لي. في الواقع علي أن أتخلص من كل شيء قد أعطوه لي. لكن كل ما قدمته هذه الشجرة لي بقي معي."

سوف تتفاجأ. لقد حدث ذلك مرتين، ومن غير الممكن أن تكون مصادفة. في عام 1970 توقفت عن الذهاب إلى البلدة لأني كنت قد وعدت جدتي: "سوف آتي إلى هناك فقط أثناء حياتك. وعندما تموتين، فليس هناك من شيء آتي من أجله." لقد أبلغوني بأنه عندما توقفت عن الذهاب إلى البلدة ماتت الشجرة. لقد اعتقدت أنها مجرد مصادفة لأنه من غير الممكن أن يكون هناك اتصال بيني وبينها. لكن ذلك حدث مرتين...

عندما أصبحت بروفسوراً في الجامعة، كان هناك نسق من الأشجار الجميلة. وقد اعتدت أن أوقف سيارتي تحت إحدى تلك الأشجار. كان يبدو وكأن ذلك هو امتياز لي ـ لم أكن أعرف السبب ـ لأنه عندما أكون جالساً في الغرفة الخاصة بالأساتذة لم يكن أحد يجلس على المقعد الذي اعتدت الجلوس عليه، لم يجلس أحد حتى بجانب المقعد. اعتقدوا أني خطير بعض الشيء.

الرجل الذي ليس لديه أصدقاء، ولديه أفكار غريبة، وهو ضد جميع الأديان، ضد كل التقاليد، رجل باستطاعته أن يعارض شخصاً بمفرده مثل المهاتما غاندي الذي قدسّه جميع الناس في الوطن ـ قالوا في أنفسهم: "من الأفضل أن تبقى بعيداً عن هذا الرجل، باستطاعته أن يزرع أفكاراً في دماغك، وربما تقع في المصاعب."

لقد اعتدت على أن أضع سيارتي تحت تلك الشجرة. لا أحد غيري كان يضع سيارته في ذلك المكان، حتى وإن لم آت إلى عملي يبقى هذا المكان فارغاً. كل

الشجرات الأخرى قد ماتت، فقط شجرتي ـ أصبحت تعرف الآن بشجرتي ـ بقيت رائعة.

بعد استقالتي من الجامعة بسنة، قال لي مساعد رئيس الجامعة: "إنه أمر غريب، لقد ماتت تلك الشجرة. منذ أن توقفت عن القدوم إلى الجامعة فإن شيئاً ما قد حدث."

لقد فهمت أن هناك شيئاً من التناغم. إن أنت جلست بصمت مع شجرة... الشجرة صامتة، وأنت صامت.... لا يمكن لصمتين أن يبقيا منفصلين، ليس هناك من إمكانية لتفريقهما.

إنكم جميعاً تجلسون هنا، إن كان الجميع يفكرون بأفكار ما، فإنكم منفصلون. لكن إن كان الجميع صامتين، عندها وفجأة سيكون هناك شيء ما، شيء يشبه الروح الجمعية.

ربما افتقدتني كل من تينك الشجرتين. لم يتقرب منهما أحد من بعدي، لم يتمكن أحد من التواصل معهما. لقد ماتتا لأنهما لم تستطيعا الحصول على الدفء من أي شخص. كان لدي حب هائل واحترام كبير لتينك الشجرتين.

كلما شعرتَ بالحزن، اجلسْ بجانب شجرة، بجانب نهر أو صخرة واسترخِ داخل حزنك بدون أي خوف. بقد ما تسترخي بقدر ما تصبح مدركاً للجمال في حزنك. عندها فإن الحزن سوف يبدأ بتغيير شكله، سوف يصبح فرحاً صامتاً لا يسبب حدوثه أي شخص خارجك. تلك لن تكون سعادة ضحلة، ولا سعادة يمكن لها أن تؤخذ منك بسهولة.

بتَعَمُقِكَ في فردانيتك، ستجد يوماً ما أمراً يتجاوز الفرحة ـ الفرحة هي منتصف الطريق. والسعادة هي شيء سطحي جداً يعتمد على الآخرين، والفرح في الوسط، لا يعتمد على أي شخص. لكن التعمق في الفردانية سوف يوصلك إلى حالة النعيم ـ وهذا ما أدعوه بالتنور.

استعمل أي شيء وسوف تصل إلى التنور. لكن استعمل شيئاً حقيقياً جوهرياً، شيئاً خاصاً بك. وعندها سوف تصل إلى النعيم وهو لك على مدار الوقت. إنه ببساطة يشع من خلالك. بإمكانك أن تشارك الآخرين به الآن، يمكنك أن تمنحه إلى أي شخص تحبه. لكنها هدية غير مشروطة ولا يمكن لأحد أن يجعلك تعيساً.

تنصب جهودي على أن أجعلك تنعم بالنعيم الحر. وهذا لا يعني أن عليك أن تنكر العالم، لا يعني أن عليك أن تترك زوجتك أو صديقتك أو حبك للطعام ـ حتى ولو كان الأيس كريم، ليس للأمر علاقة بكل هذا. إن حالة النعيم لديك تبقى معك مهما كنت تفعل. سوف تعزز كل نشاطاتك، سوف تغني كل تصرف تقوم به، سيكون لحبك نكهة مختلفة، لن يكون هناك أي كره مختبئ خلفه، سيكون حباً ببساطة. لن يكون هناك حتى مجرد توقع بأن هناك شيئاً سيعود عليك من ذلك. لن تكون بحاجة إلى شيء. العطاء سيكون نوعاً من البركة، ليس هناك من حاجة. أنت غني من الداخل حتى أن لا شيء يستطيع أن يجعل منك أكثر غنى.

وبإمكانك أن تتابع مشاركتك للنعيم الذي وصلت إليه. وكلما شاركت به أكثر كلما أصبح لديك أكثر، فلا شيء يجعلك تصبح أفقر. تلك هي المعجزة الوحيدة التي أعرفها.

سؤال:

ـ كلما تعمقت أكثر في التأمل وبحثت عن حقيقة من أنا، أجد صعوبة في الحفاظ على أية علاقة. هل هذا شيء علي أن أتوقعه، أم أنني ارتكبت خطأً في مكان ما؟

عندما تغوص أكثر في حجك الداخلي فإن الطاقات لديك تتحول إلى الداخل، الطاقات نفسها التي كانت تتجه إلى الخارج. فجأة تجد نفسك وحيداً كجزيرة. الصعوبة تظهر لأنك لست مرتاحاً لأن تكون ذاتك وكل العلاقات لديك تبدو تبعية أو عبودية. لكن هذه ليست إلا مرحلة عابرة، لا تجعل منها موقفاً دائماً. عاجلاً أم آجلاً، وعندما ترتاح بداخلك مرة أخرى، سوف تفيض بالطاقة، وسوف ترغب بالعودة إلى العلاقات مجدداً.

إذن، عندما يصبح العقل تأملياً للمرة الأولى يظهر الحب وكأنه عبودية. وبشكل ما هذا صحيح لأن العقل الذي لم يعمل على التأمل ليس باستطاعته حقيقة أن يقع في الحب. ذلك الحب مزيف، مضلل ـ أقرب إلى الافتتان وأبعد عن الحب. لكن ليس لديك ما تقارنه به حتى يحدث الحقيقي، لذلك فعندما يبدأ التأمل يتبدد الحب القائم على الزيف شيئاً فشيئاً، يختفي. لا تكن محبطاً ولا تجعل من ذلك موقفاً دائماً، وهناك إمكانيتان لأجل ذلك.

إن أصبحت محبطاً بسبب اختفاء حياة الحب بينما أنت متعلق بها فسيكون ذلك حاجزاً أمام رحلتك إلى داخل نفسك. تقبل الأمر. إن الطاقة الآن تبحث عن ممر جديد، ولعدة أيام لن تكون متوفرة للحركة الخارجية وللنشاطات.

إن كان شخص ما مبدعاً و مارس التأمل فإن كل الإبداعات لديه سوف تختفي في الوقت الراهن. إن كنت رساماً، فجأة لن تجد نفسك في الرسم. بإمكانك المتابعة، لكن شيئاً فشيئاً ستفقد الطاقة والحماس. إن كنت شاعراً سيتوقف الشعر. إن كنت رجلاً وكنت عاشقاً فالطاقة التي لديك ستنتهي ببساطة. وإن حاولت أن تجبر نفسك على التحرك باتجاه العلاقة ـ لأن تكون ذاتك القديمة ـ فإن الإجبار سيكون خطيراً جداً. عندها فإنك تقوم بالأشياء المتعارضة، من جهة أنت تحاول الدخول ومن جهة أخرى تحاول الخروج. يبدو الأمر وكأنك تقود سيارة وتدوس على دواسة البنزين وبنفس الوقت تدوس على

الفرامل. من الممكن أن تتسبب بكارثة لأنك تقوم بعملين متعاكسين بنفس الوقت.

التأمل هو ضد الحب الزائف فقط، والزيف سوف يختفي. هذا هوالشرط الأساسي كي يظهر الحب الحقيقي. على الزائف أن يذهب، أن يفرغ المكان بشكل كامل. عندها فقط تصبح جاهزاً من أجل الحب الحقيقي. لذلك ولبضعة أيام عليك نسيان أمر العلاقات.

الأمر الثاني والذي هو أيضاً خطر جداً، أنك تستطيع أن تجعله نمطاً لحياتك. حدث ذلك للعديد من الأشخاص، كانوا في صوامع ـ الرهبان القدماء، الأشخاص المتدينون الأورثودكس الذين جعلوا من عدم وجود علاقات حب في حياتهم نمطاً للحياة. اعتقدوا أن الحب يتعارض مع التأمل وأن التأمل يتعارض مع الحب ـ ذلك ليس حقيقياً. التأمل يتعارض مع الحب الزائف لكنه يتوافق تماماً مع الحب الحقيقي.

عندما تستقر، عندما لم يعد هناك مكان أبعد تذهب إليه، تكون قد وصلت إلى نواة كينونتك، الحجر الأساس، عندها تصبح متمركزاً. فجأة تتواجد الطاقة، لكن الآن ليس هناك من مكان تذهب إليه. إن الرحلة الخارجية قد توقفت عندما بدأت بالتأمل، والآن الرحلة الداخلية قد انتهت. أنت الآن مستقر، لقد وصلت إلى موطنك، عندها تلك الطاقة سوف تفيض.

إنه نوع مختلف من التحرك، النوعية مختلفة تماماً لأنها بدون دوافع. قبل ذلك كنت تتحرك باتجاه الآخرين بوجود الدوافع، الآن لم يعد هناك وجود لها. إنك تتحرك ببساطة باتجاه الآخرين لأن لديك الكثير لتشاركهم به.

قبل ذلك كنت تتحرك كمتسول والآن تتحرك كإمبراطور. لا يعني هذا أنك تبحث عن بعض السعادة من شخص ما، تلك السعادة أصبحت تملكها سلفاً. الآن أصبحت السعادة أكثر مما تستطيع احتماله، إن الغيوم مليئة جداً وتريد أن تمطر، الزهرة مفعمة جداً وتريد أن تملأ الرياح بشذاها لتذهب إلى كل زاويا

العالم. إنها المشاركة، نوع جديد من العلاقات ظهر في الوجود. أن تدعوه علاقة ليس بالأمر الصحيح لأنه لم يعد علاقة. بدلاً منها أصبح حالة من الكينونة. لم يعد الأمر أنك تحب، لكن أصبحت أنت الحب.

لذلك لا تكن محبطاً أو تجعل من الأمر نمطاً للحياة، إنه مجرد حالة عابرة. التخلي هو حالة عابرة. الاحتفال هو الهدف من الحياة، التخلي هو أداة. هناك لحظات في الحياة يتوجب فيها عليك أن تتخلى، الأمر مشابه تماماً لحالة أن تكون مريضاً ويطلب منك الطبيب أن تصوم. الصيام هنا لن يكون نمط حياة. تخلَّ عن الطعام وعندما تستعيد صحتك استمتع بالطعام مجدداً.

تنويه

امرأتان وراهب

قصة من الزن

كان هناك امرأة من الصين، وكانت قد ساعدت راهباً لأكثر من عشرين سنة. كانت قد بنت كوخاً له، وقد أطعمته بينما كان منشغلاً بالتأمل.

في أحد الأيام قررت أن تكتشف التقدم الذي أحرزه في كل ذلك الوقت.

طلبت مساعدة فتاة تفيض بالرغبة، وقالت لها: "اذهبي وعانقيه وبعدها اسأليه فجأة، والآن ماذا؟"

ذهبت الفتاة في طلب الراهب، وسرعان ما بدأت بمداعبته، وسألته ماذا يريد أن يفعل حيال ذلك.

أجاب الراهب بشاعرية نوعاً ما: "شجرة هرمة تنمو على صخرة في الشتاء"، "ما من مكان فيه أي دفء."

عادت الفتاة وأخبرت المرأة بجواب الراهب.

"يغضبني التفكير بأني أطعمتُ هذا الشخص لمدةعشرين عاماً!" أجابت المرأة العجوز بغضب. "لم يبدِ أي اهتمام بحاجاتك، ليس هناك من ميل لأن يشرح حالتك. ليس من الضروري أن يستجيب للهوى، لكن على الأقل عليه أن يكون قد اختبر بعض التعاطف".

وذهبت فوراً إلى كوخ الراهب وأحرقته.

مثل قديم يقول: ازرع فكرة تحصد تصرفاً، ازرع تصرفاً تحصد عادة، ازرع عادة تحصد شخصية، ازرع شخصية تحصد مصيراً.

وأنا أقول لك: لا تزرع أي شيء واحصد التأمل أو الحب.

لا تزرع شيئاً ـ هذه هي الفكرة من التأمل. والنتيجة الطبيعية لذلك هي الحب. وإن حدث في نهاية الرحلة عبر التأمل ولم يزهر الحب، فإن كل رحلتك كانت بلا قيمة. لقد حدث خطأ في مكان ما، لقد بدأتَ ولكن لم تصل.

الحب هو الأختبار لرحلة التأمل، الحب هو الاختبار. إنهما وجهان لعملة واحدة، مظهران مختلفان للنوع نفسه من الطاقة. عندما يكون الأول موجوداً فإن الثاني سيكون موجوداً. وإن لم يكن الثاني موجوداً فإن الأول لن يكون موجوداً.

التأمل ليس معناه التركيز. الإنسان الذي يمارس التركيز ربما لن يصل إلى الحب. في الواقع هو لن يصل. الإنسان الذي يمارس التركيز ربما يصبح شخصاً أكثر عنفاً، لأن التركيز تدريب على البقاء مشدوداً متوتراً، والتركيز عبارة عن جهد لتضييق أو تحديد عمل العقل. إنه عنف شديد على وعيك. وعندما تكون عنيفاً مع وعيك الخاص لن تستطيع ألا تكون عنيفاً مع الآخرين، كما تكون مع نفسك ستكون مع الآخرين.

اجعل ذلك قاعدة أساسية في الحياة، بل وأحد أهم القواعد الأساسية. كما تتصرف حيال نفسك سوف تتصرف حيال الآخرين. إن كنت تحب ذاتك فسوف تحب الآخرين. إن كنت تفيض داخل كينونتك فسوف تفيض بالطريقة نفسها في

علاقاتك أيضاً. إن كنت متجمداً في الداخل فستكون متجمداً في الخارج أيضاً. يميل ما في الداخل لأن يصبح ما في الخارج، إن ما بداخلك يتابع إظهار نفسه في التعامل مع الخارج.

ليس ب التأمل، التركيز طريقة تخص العلم، هو الأسلوب العلمي. رجل العلم يحتاج إلى نظام عميق من خلال التركيز، لكن لا يُتوقع من رجل العلم بالنتيجة أن يكون حنوناً. ليس هناك من حاجة لذلك. في الواقع، رجل العلم يصبح شيئاً فشيئاً قاسياً وعنيفاً مع الطبيعة. كل التطور العلمي مبني على العنف تجاه الطبيعة، إنه مدمر في المقام الأول، رجل العلم يدمر وعيه المتوسع الخاص، بدلا من توسيعه لوعيه فهو يضيقه، يجعله حصرياً بنقطة واحدة. إنه نوع من الإجبار، العنف.

عليك أن تتذكر أن التأمل ليس هو التركيز ـ لكن هو أيضاً ليس (تفكيراً تأملياً)[1] (contemplation)، إنه ليس *التفكير*. ربما كنت تفكر بالله ـ حتى عندها، يكون نوعاً من التفكير. إن كان هناك (حرف الجر بـ) يعني أنه تفكير بـ أمر ما. ربما أنت تفكر بالمال، بالله ـ إن ذلك لا يشكل فرقاً. التفكير مستمر ولكن مع تغيير الموضوع.

إن كنت تفكر بأمر يخص العالم أو الجنس، فلا أحد يدعو ذلك تفكيراً تأملياً. لكن إن كنت تفكر بالله، بالفضيلة، بالمسيح أو كريشنا أو بوذا، فإن الناس يسمون ذلك تفكيراً تأملياً.

---

[1]. (التفكير التأملي): يذكر الكاتب ثلاث كلمات مختلفة المعنى باللغة الإنكليزية وهي (THINKING)(contemplation) (meditation) وتعني الإولى التفكير بقضية محددة مثل التفكير في قضية علمية (تمدد المعادن بالحرارة، تأثير الضوء وما شابه ذلك) أما الكلمة الثانية فهي تعني التفكير بقضية كاملة وليس بنقطة محددة من قضية، مثل التفكير في وجود الله أو في صحة دين من الأديان، أما الكلمة الثالثة فتعني اللاتفيكر وهي ما يسمى التأمل، وقد رأيت أن يكون معنى الكلمة الثانية باللغة العربية (التفكير التأملي). م.

لكن (الزن) صارم حيال ذلك ـ إنه ليس تأملاً، إنه يبقى تحت ما يسمى التفكير. أنت لا تزال قلقاً حيال الآخر.

في (التفكير التأملي) يبقى الآخر موجوداً رغم أنه ليس حصرياً كما هو في التركيز. التفكير التأملي أكثر مرونة من التركيز. في التركيز يكون عمل العقل مركزاً على نقطة واحدة فقط، في التفكير التأملي يكون العقل موجهاً باتجاه موضوع واحد وليس باتجاه نقطة واحدة. بإمكانك أن تتابع التفكير فيه، بإمكانك التغيير والانسياق مع الموضوع لكن مع ذلك يبقى الموضوع نفسه بالإجمال.

إذن ما هو التأمل؟ التأمل عبارة عن شعور بالسعادة في حضورك الشخصي، التأمل هو الشعور بالفرح بكينونتك. إنه أمر بسيط ـ عبارة عن حالة من الاسترخاء التام للإدراك عندما لا تقوم بأي عمل. في اللحظة التي يدخل فيها الفعل تصبح مشدوداً، يدخل القلق على الفور. كيف نفعل؟ ماذا نفعل؟ كيف ننجح؟ كيف نستطيع ألا نفشل؟ لقد دخلت للتو في المستقبل.

إن كنت تمارس التفكير التأملي فبماذا يمكنك أن تفكر؟ كيف يمكنك أن تفكر بشيء غير معروف؟ كيف باستطاعتك أن تفكر بما هو غير معروف أو بما لا يمكن معرفته؟ إن باستطاعتك التفكير بالأمور المعروفة فقط. يمكنك أن تعيد مضغها أو محاولة استيعابها مرة بعد أخرى، لكنها معروفة. إن كنت تعرف شيئاً ما عن المسيح، فيمكنك إعادة التفكير فيه مرة بعد أخرى، إن كنت تعرف شيئاً عن كريشنا، فيمكنك أن تعيد التفكير به، يمكنك أن تتابع تعديله وتغييره، إعطاءه شكلاً جديداً أو طابعاً خاصاً، لكن هذا لن يقودك باتجاه ما هو غير معروف. الله هو غير المعروف.

التأمل هو أن تكون. لا تقوم بأي عمل، لا فعل، لا فكرة، لا انفعال. أنت موجود وحسب، وهذه بهجة خالصة. ومن أين تأتي السعادة في حالة كونك لا تفعل أي شيء؟ إنها تأتي من اللامكان أو تأتي من كل مكان. إنها بلا مسبب لأن الوجود مصنوع من مادة تدعى البهجة. ليست بحاجة إلى سبب ولا إلى مبررات.

إن كنت غير سعيد فلديك سبب لعدم السعادة، إن كنت سعيداً فأنت سعيد ببساطة وليس هناك سبب لهذا. إن عقلك يحاول أن يبحث عن سبب لأنه لا يستطيع أن يؤمن بما لا سبب له، لأنه لا يستطيع السيطرة على ما لا سبب له. بوجود ما لا سبب له يصبح العقل عاجزاً، ببساطة. إن العقل يتابع بحثه عن سبب أو آخر. لكن أريد أن أخبرك أنه في أي وقت تشعر فيه بالسعادة فإنك تكون سعيداً بدون اي سبب على الإطلاق، وعندما تكون غير سعيد فإن هناك سبباً ما لتكون غير سعيد، لأن السعادة هي عبارة عن المادة التي قد جُبِلتَ منها. إنها كينونتك تحديداً، إنها جوهرك الداخلي. إن جوهر تكوينك هو الفرح.

انظر إلى الأشجار، إلى الطيور، الغيوم، النجوم... وإن كان لك عيون فسيكون بمقدورك أن ترى أن كل ما في الوجود سعيد. كل شيء سعيد، ببساطة. الأشجار سعيدة بدون أي سبب، إنها لن تصبح ولا رؤساء ولا وزراء، ولن تصبح غنية ولا تملك أي حساب بنكي. انظر إلى الأزهار ـ ليس لديها أي أسباب. ببساطة إنها سعيدة بشكل لا يصدق.

إن الوجود مجبول من مادة تسمى السعادة. الهندوس يسمونها (ananda،satchitanand)[2]. لهذا ليست هناك مبررات، ليست بحاجة لسبب. إن كان باستطاعتك أن تكون فقط مع ذاتك ولا تفعل أي شيء، وتستمتع بنفسك، وتتواجد مع نفسك فقط، وتسعد لأنك موجود وتتنفس، وتستمع إلى الطيور ـ بدون أية مبررات ـ عندها تكون في حالة من التأمل. التأمل هو أن تكون هنا الآن. وعندما يكون شخص ما سعيداً بدون أي سبب فإن السعادة لا يمكن أن تبقى محتواة داخلك. سوف تنتشر باتجاه الآخرين، تصبح مشاركة. لا يمكنك أن تمسكها، إنها كبيرة جداً، إنها لا نهائية. لا تستطيع أن تمسكها بيديك، عليك أن تسمح لها بالانتشار.

---

(2). **Ananda**: حالة السعادة الكاملة بالهندوسية. م.

ذلك ما نسميه العطف. التأمل هو أن تتواجد مع نفسك بينما العطف هو الفيضان من تلك الكينونة. إن الطاقة نفسها التي كانت تتحول إلى شغف قد أصبحت عطفاً. إنها الطاقة نفسها التي كانت تنحصر في الجسم أو في العقل. إنها الطاقة نفسها التي كانت تتسرب من الفتحات الصغيرة.

ما هو الجنس؟ إنه تسريب للطاقة من فتحة صغيرة في الجسم. إن الهندوس يسمونها بالتحديد فتحات. عندما تتدفق وتفيض، عندما لا تتحرك من خلال الثقوب، فإن جميع الجدران تختفي. لقد أصبحتَ الكل. والآن أنت تنتشر. ليس باستطاعتك أن تفعل شيئاً حيال ذلك.

لا يعني ذلك أن عليك أن تكون عطوفاً، لا. في حالة التأمل تصبح أنت العطف. العطف دافئٌ كما هو الشغف ـ من هنا أتت كلمة عطف (هذا يخص اللغة الإنكليزية).العطف شغوف جداً لكن الشغف ليس موجهاً إلى شخص ما، الشغف لا يبحث عن أي امتنان. إن العملية تصبح معكوسة بالكامل. أولاً كنت تبحث عن السعادة في مكان ما ـ والآن أنت وجدتها، وإنك تعبر عنها. الشغف بحث عن السعادة، والعطف هو التعبير عن السعادة. لكنه شغوف ودافئ وعليك أن تفهمه لأنه يحتوي على تناقض.

كلما عَظُمَ الشيء كلما احتوى على تناقض أكبر، وهذا التأمل والعطف هو أحد أعلى الذرى، الذروة القصوى. لا بد من أن يكون فيها تناقض.

يكمن التناقض في أن الإنسان الذي يمارس التأمل هو إنسان يتمتع بالبرودة، ليس البرد. يتمتع بالبرودة ومع ذلك يتمتع بالدفء. ليس الحرارة، الشغف حار، يكاد أن يكون محموماً. فيه حرارة. العطف فيه برودة مع ذلك دافئ. مرحِب، مُستقبِل، سعيد بالمشاركة ومستعد للمشاركة، ينتظر المشاركة. إن أصبح الممارس للتأمل بارداً فسوف يكون قد أخطأ. ويصبح حينها شخصاً مكبوتاً. إن أنت قمت بكبت شغفك فسوف تصبح بارداً. وهذا هو السبب في كون الإنسانية كلها أصبحت باردة ـ إن الشغف قد تم كبته في كل شخص.

منذ الطفولة تحديداً أعيق شغفك وكُبِحَ. ومتى بدأت تصبح شغوفاً، يكون هناك شخص ما ـ والدتك، والدك، مدرسك، الشرطي ـ على الفور يكون هناك شخص ما يشك في تصرفك. لقد تم لجم شغفك، تم كبحه: "لا تفعل ذلك!" وفوراً تنكمش داخل نفسك. وبعدها بقليل شيئاً فشيئاً تتعلم أنه من أجل أن تنجو فمن الأفضل أن تستمع للآخرين الذين حولك. إنه الوضع الأكثر أماناً.

إذن ماذا عليك أن تفعل حيال هذا؟ ماذا على الطفل أن يفعل عندما يشعر بالشغف؟ عندما يشعر أنه مليء بالطاقة وأنه يريد أن يقفز، يركض، يرقص بينما يقرأ والده الصحيفة؟ هذا هراء، لكنه يقرأ الصحيفة وهو شخص مهم جداً، إنه سيد البيت، ماذا نفعل؟ إن الطفل يفعل شيئاً عظيماً في الحقيقة ـ إن الله يريد أن يرقص في داخله ـ لكن الوالد يقرأ الصحيفة لذلك يجب أن يكون هناك هدوء. ليس باستطاعته أن يرقص، ليس باستطاعته أن يركض، ولا باستطاعته أن يصرخ.

سوف يقوم بكبت طاقته، سيحاول أن يكون بارداً، رصيناً، تحت السيطرة. إن السيطرة أصبحت قيمة عليا وهي بلا قيمة على الإطلاق.

إن الشخص الذي يسيطر على نفسه شخص ميت. الشخص الذي يسيطر على نفسه ليس بالضرورة شخصاً منضبطاً، إن الانضباط شيء مختلف تماماً. الانضباط ينبع من الوعي والسيطرة تأتي من الخوف. إن الأشخاص المحيطين بك هم أكثر نفوذاً منك، بإمكانهم أن يعاقبوك، بإمكانهم تدميرك. لديهم كامل القدرة على التحكم، على الإفساد، على القمع. وعلى الطفل هنا أن يصبح دبلوماسياً. عندما تظهر لديه الطاقة الجنسية فإن الطفل يدخل في المتاعب. المجتمع ضده، إن المجتمع يقول إن هذه الطاقة يجب أن تُوجه ـ وهي تتدفق في كامل أنحاء جسم الطفل ـ يجب أن توقف.

ماذا نفعل في المدارس؟ في الواقع، المدارس ليست وسائل لترسيخ المعرفة بل هي أدوات سيطرة. لمدة ست أو سبع ساعات في اليوم يجلس الولد هناك. وذلك

من أجل كبح رقصه، كبح غنائه، فرحه، كل ذلك من أجل السيطرة عليه. إن الجلوس لست أو سبع ساعات في اليوم في جو كأنه السجن سوف يقتل الطاقة لديه شيئاً فشيئاً. إن الطفل يصبح مكبوتاً، جامداً. الآن ليس هناك من فيض، الطاقة لا تأتي، إنه يعيش على الحد الأدنى ـ وهذا ما ندعوه بالسيطرة. إنه لا يصل إلى الحد الأقصى.

لقد بحث علماء النفس ووصلوا إلى تحديد عامل ضخم في محنة الإنسان، وهذا هو: إن الأشخاص العاديين يعيشون فقط بنسبة عشرة بالمئة. يتنفسون بنسبة عشرة بالمئة، يحبون، يستمتعون بنسبة عشرة بالمائة ـ وتسعون بالمئة من حياتهم هي ببساطة غير مسموح بها. إنها ضائعة بشكل كامل! على الإنسان أن يعيش على المئة بالمئة من قدرته، عندها فقط يكون إزهاره ممكناً.

إن التأمل لا يعني التحكم، لا يعني الكبت. إن كنت قد حصلت على تلك الفكرة الخاطئة من مكان ما وقادك ذلك إلى كبت نفسك، فسوف تكون شخصاً يسيطر على نفسه، لكنك سوف تصبح شخصاً بارداً. وبعدها شيئاً فشيئاً ستصبح شخصاً لا مبالياً، غير مستقل، شخصاً غير مكترث، غير مهتم، غير محب، ستكون على الأغلب كشخص منتحر. ستحيا على الحد الأدنى، يمكن أن توصف بأنك شبه حي، سوف لن تشتعل، إن شعلتك ستكون خفيفة جداً. سيكون هناك الكثير من الدخان ولكن لن يكون هناك ضوء تقريباً.

إن هذا يحدث للأشخاص الذين هم في طريق التأمل ـ الكاثوليكيين، البوذيين، الجاينا ـ حيث يصبحون باردين، لأن السيطرة أمر سهل. الإدراك أمر شاق جداً. والسيطرة أمر سهل لأن السيطرة تحتاج فقط إلى تهذيب العادات. أنت تهذب عاداتك، وبعدها تقوم هذه العادات بامتلاكك وليس عليك أن تقلق. وبعدها تتابع عاداتك، وتصبح الأمور ميكانيكية وتعيش حياة روبوت آلي. ربما تكون شبيهاً ببوذا لكنك لست كذلك. ستكون مجرد تمثال حجري ميت.

إن لم يظهر التعاطف فيك، فسوف تظهر اللامبالاة. واللامبالاة تعني غياب الشغف، أما التعاطف فهو تحول الشغف. اذهب وراقب الرهبان الكاثوليكيين، رهبان الجاينا، الرهبان البوذيين، وسوف ترى شخصيات لا مبالية ـ بليدة، غبية، باهتة، خائفة، منغلقة، قلقة باستمرار.

الأشخاص المسيطرون على أنفسهم متوترون دائماً لأنه في عمق كل شخص يبقى الاضطراب مختبئاً. وإن كنت خارج السيطرة حياً متدفقاً فلن تكون متوتراً. فكرة التوتر غير مطروحة ـ فليحدث ما يحدث. ليس هناك من توقعات بالنسبة للمستقبل، أنت لست مؤدياً لدور ما، إذن لماذا عليك أن تتوتر؟ إن ذهبت إلى رهبان كاثوليكيين أو بوذيين أو جاينيين فسوف تجدهم متوترين ـ ربما لا يكونون كذلك في أماكن عبادتهم، لكن إن أخرجتهم إلى العالم فسوف تجدهم متوترين جداً، لأن في كل خطوة لهم في الحياة هناك إغواء.

يصل الإنسان الماضي في التأمل إلى النقطة التي لا يبقى فيها أي إغواء، حاول أن تفهم ذلك. الإغواء لا يأتي أبداً من الخارج، إنها رغبة مكبوتة، طاقة وغضب مكبوتان، وجنس وطمع مكبوتان، ذلك ما يخلق الإغواء. إن الإغواء يأتي من داخلك، لا علاقة للإغواء بالخارج. إن هذا لا يعني أن الشيطان يأتي ويغويك، إنه عقلك المكبوت الخاص هو الذي يصبح شيطانياً ويرغب بالثأر. للسيطرة على هذا العقل على الإنسان أن يبقى بارداً ومتجمداً بحيث لا يسمح للطاقة أن تتحرك في أطرافه، في جسده. إن سُمِحَ للطاقة بالتحرك في جسده فإن كل الكبت الذي فيه سيطفو على السطح.

هذا هو السبب الذي يجعل الناس يتعلمون كيف يصبحون باردين، كيف يلمسون الآخرين ولا يلمسونهم، كيف يرون الآخرين و لا يرونهم. الناس يعيشون ضمن (كليشات جاهزة) ـ "مرحباً، كيف حالك؟" لا أحد يعني أي شيء بهذه العبارات، تلك العبارات تقال لتجَنُّبْ المواجهة الحقيقية بين شخصين. إن الناس لا ينظر بعضهم في عيون بعض، لا يمسك بعضهم بأيدي البعض، لا

يحاولون أن يشعروا بالطاقة الموجودة في الشخص الآخر. لا يسمح بعضهم لبعض بالتدفق. خائفون جداً، بطريقة ما يتدبرون أمرهم، باردون وميتون، مقيدون.

لقد تعلّم الرجل المتأمل كيف يملأ نفسه بالطاقة إلى الحد الأعلى، الأقصى. هو يعيش في القمة، جعل مقره في الذروة. بالتأكيد لديه الدفء، لكنه ليس محموماً، هو يبدو حياً وحسب. ليس حاراً، هو هادئ، لأنه لا ينجرف بالرغبات. إنه سعيد جداً بحيث لم يعد يبحث عن السعادة. إنه ينعم بالاطمئنان، هو في موطنه، هو لا يذهب إلى أي مكان، إنه لا يركض ولا يطارد..... إنه هادئ فقط.

هناك قول مأثور في اللاتينية: (agree sequitur esse) أي: إن الفعل يتبع الكينونة. إنه قول مأثور رائع جداً. والمعنى ألا تحاول تغيير تصرفاتك، ولكن حاول أن تكتشف ما أنت عليه، وبعدها سوف تأتي التصرفات بشكل طبيعي. التصرفات تأتي في المقام الثاني والكينونة في المقام الأول. التصرفات شيء تقوم به لكن الكينونة هي حقيقتك، جوهرك. التصرفات تصدر عنك لكن التصرفات هي مجرد جزء. حتى لو جُمعت كل تصرفاتك معاً فإنها لن تكون مساوية لكينونتك، لأن كل التصرفات مجتمعة لن تشكل كينونتك. ماذا عن مستقبلك؟ إن كينونتك تحتوي ماضيك، مستقبلك، وحاضرك، إن كينونتك تحتوي أبديتك، بينما تصرفاتك، حتى ولو جُمِعَتْ معاً فلن تكون سوى الماضي. الماضي محدود والمستقبل غير محدود. إن ما حدث هو محدود، يمكن أن يعَّرف، لقد حدث وانتهى. أما ما لم يحدث فهو غير محدود، غير قابل للتعريف. كينونتك تحتوي الأبدية وتصرفاتك تحتوي ماضيك فقط.

لذلك يمكن للإنسان الذي كان آثماً حتى هذه اللحظة أن يصبح قديساً في اللحظة التالية. لا تحكم على الإنسان حسب تصرفاته، احكم على الإنسان حسب كينونته. هناك آثمون قد أصبحوا قديسين وهناك قديسون قد سقطوا وأصبحوا آثمين. لكل قديس ماضٍ ولكل آثم مستقبل.

لا تحكم على الإنسان حسب تصرفاته. لكن ليس هناك من طريقة أخرى. لأنك لا تعرف كينونتك الشخصية ـ كيف لك أن ترى كينونات الآخرين؟ في اللحظة التي تتعرف فيها على كينونتك سوف تتعلم تلك اللغة، سوف تتعرف على الطريقة التي تستطيع بها أن تنظر في كينونات الآخرين. إن بإمكانك أن تنظر في عمق الآخرين فقط إلى الحد الذي يمكنك النظر فيه إلى نفسك. إن كنت قد رأيت نفسك بكل ما في الكلمة من معنى فإنه بإمكانك أن ترى الآخرين بكل ما في الكلمة من معنى.

وعليه، هناك بضعة أمور قبل أن أدخل في هذه القصة الجميلة.

إن حدث خلال ممارستك للتأمل أن أصبحت بارداً، فعليك الحذر. إن حدث وأفضى بك تأملك إلى حرارة أكبر، حب أكبر، فيضان في المشاعر أكبر ـ ذلك جيد ـ فأنت على الطريق السليم. إن أصبحت أقل حباً، إن اختفى حس التعاطف وترسخ شيء من اللامبالاة فيك، فإنك كلما أسرعت عندئذٍ في تغيير اتجاهك، كلما كان أفضل، وإلا فإنك سوف تصبح كالجدار.

لا تكن كالجدار. ابق حياً، نابضاً، متدفقاً، فائضاً، ذائباً.

بالطبع هناك مصاعب. لماذا يصبح الناس كالجدران؟ لأن الجدران أشياء يمكن تعريفها. إنها تعطيك حدوداً، شكلاً وإطاراً محددين، وهو ما يدعوه الهندوس (nam roop)، أي الاسم والشكل. إن كنت تنصهر وتتدفق فلن تعود هناك حدود، لن تعرف أين أنت وأين تنتهي وأين يبدأ الآخر. تواجدك مع الناس يصبح أكثر بحيث تصبح الحدود شيئاً فشيئاً كأنها أحلام، وسوف تختفي يوماً ما.

هكذا يبدو الواقع، الواقع غير محدود. أين تظن أنك ستتوقف؟ على حدود جلدك؟ هكذا نعتقد بشكل طبيعي، "بالطبع، نحن داخل جلودنا والجلد هو جدارنا، الحد." لكن جلدك لا يمكنه العيش إن لم يكن محاطاً بالهواء. إن لم يتنفس جلدك الأكسجين الموجود والذي يزوده به الهواء المحيط بشكل ثابت فلا

يمكن له أن يعيش. أبعد الهواء المحيط وسوف تموت في الحال. حتى لو لم يخدش جلدك فسوف تموت. لذلك لا يمكن أن يكون هذا هو حدك.

هناك مئتا ميل من الغلاف الجوي حول الأرض، هل ذلك هو حدك؟ ذلك أيضاً لا يمكن أن يكون حداً. ذلك الأكسجين وذلك الغلاف الجوي والحرارة وهذه الحياة لا تكون موجودة لولا وجود الشمس. إن كفت الشمس عن الوجود أو ماتت... وسيحدث ذلك يوماً ما، يقول العلماء إنه في يوم ما سوف تنطفئ الشمس وتموت. عندها فإن الغلاف الجوي سوف ينتهي فجأة، وأنت سوف تموت فوراً. إذاً هل الشمس هي حدك؟ لكن يقول الفيزيائيون إن الشمس مرتبطة بمصدر طاقة مركزي لم نتمكن من إيجاده بعد، لكن يتوقع ذلك ـ لأنه لا وجود لشيء غير مرتبط.

إذاً أين قررنا أن يكون حدنا؟ تفاحة على الشجرة هي ليست أنت، وعندما تأكلها تصبح التفاحة أنت. إذن التفاحة تنتظر لتصبح أنت. إنها أنت بشكل محتمل، إنها أنت المستقبلي، وبعدها تتغوط وتلقي بالفضلات خارج جسدك. منذ لحظة فقط كانت التفاحة أنت. إذن أين قررت وضع الحد؟ أنا أتنفس ـ فالنفس الذي بداخلي هو أنا، لكن قبل لحظة كان من الممكن أن يكون ذلك نَفَسك. لا بد أنه كان نفسك، نتنفس من الغلاف الجوي العام. جميعنا نتنفس بعضنا في بعض، كل منا فرد من الآخر. أنت تتنفس فيَّ، أنا أتنفس فيك.

ليس الأمر متوقفاً على التنفس، إنه الأمر نفسه تماماً بالنسبة للحياة. هل راقبت ذلك؟ مع أشخاص معينين أنت تشعر بأنك حي جداً، إنهم يأتون وكأنهم يفورون بالطاقة. وشيء ما يحدث فيك، استجابة، وتبدأ أنت بالفوران. وهناك أشخاص... بمجرد النظر في وجوههم تشعر بأنك ستسقط!، إن مجرد حضورهم فيه ما يكفي من السم، لا بد أنهم يصبون شيئاً ساماً فيك. عندما يحدث أن تكون في محيط شخص ما تصبح متألقاً وسعيداً وفجأة يبدأ شيء ما ينبض في قلبك، ويصبح قلبك أسرع، لا بد أن ذلك الشخص قد سكب شيئاً ما في داخلك.

نحن نسكب ما فينا، بعضنا في بعض. ولذلك، في الشرق فإن (satsang)[3] قد أصبح مهماً جداً جداً. لتكون مع شخص أصبح عارفاً، مجرد أن تكون في حضوره كافٍ ـ لأنه يسكب من كينونته في داخلك باستمرار. ربما كنت تعرف أو أنك لا تعرف. ربما تدرك هذا الأمر اليوم أو أنك لا تدركه، لكن بيوم أو بآخر ستصبح البذور أزهاراً.

نحن نسكب ما فينا في بعضنا البعض. نحن لسنا جزراً منعزلة. الشخص البارد يصبح مثل جزيرة وهذا أمر سيء، إنه سوء حظ كبير لأنه بإمكانك أن تصبح قارة وقد قررت أن تصبح جزيرة. لقد قررت أن تبقى فقيراً، في حين كان بإمكانك أن تكون غنياً كما تريد.

لا تتحول إلى جدار ولا تحاول أبداً أن تكبت شيئاً وإلا سوف تصبح جداراً. الناس المكبوتون لديهم أقنعة، عدة أوجه، إنهم يتظاهرون بكونهم شخصاً آخر. الأشخاص المكبوتون يحملون العالم نفسه مثلك ـ هناك حاجة لفرصة فقط، تحفيز ما وستظهر الحقيقة فوراً. هذا هو السبب وراء اختباء الرهبان من العالم ـ لأن هناك الكثير الكثير من المحفزات، الكثير من الإغواء، من الصعب عليهم أن يبقوا محميين، من الصعب عليهم أن يصمدوا أمام ذلك الإغواء، لذلك هم يذهبون إلى الهيمالايا أو إلى الكهوف، هم يتقاعدون من العالم. حتى إن ظهرت أفكار ورغبات وإغواءات، فليس هناك من وسيلة لإشباعها.

لكن هذه ليست وسيلة للتحول.

الأشخاص الذين يصبحون باردين هم الأشخاص الذين كانوا أكثر حرارة. الأشخاص الذين ينذرون العفّة هم الأشخاص الجنسيون بشكل مفرط. إن العقل يتحول من تطرّف إلى آخر بسهولة. لقد وجدت من خلال مراقبتي أن الناس المهووسين بالطعام يصبحون في يوم ما مهووسين بالصيام. لا بد أن يحدث هذا

---

[3]. (satsang): خطبة دينية روحية أو تجمع مقدس، هي كلمة هندية بمعنى خطبة. م.

لأنه ليس باستطاعتك أن تكون متطرفاً في شيء واحد لمدة طويلة. إن مارست هذا الأمر لوقت طويل فسوف تكتفي منه بسرعة، تسأم منه. ولن يعود هناك من طريقة، عليك أن تتطرّف بالاتجاه الآخر.

الأشخاص الذين أصبحوا رهباناً هم أشخاص دنيويون جداً. (لم يتمكنوا من احتمال السوق، وقد تحركوا كثيراً في ذلك السوق)، بعدها تحرك رقاص الساعة متطرفاً إلى أقصى الجهة الأخرى. الأشخاص الجشعون يتخلون عن العالم ومغرياته، ليس بسبب الفهم - إنه مجرد جشع مقلوب أعلاه أسفله. في البداية كانوا يأخذون ويأخذون... الآن وفجأة يرون اللاجدوى من هذا، يرون التفاهة ويبدؤون بالتخلي عن كل شيء. في البداية كانوا خائفين من فقدان أي شيء مهما كان تافهاً، والآن هم خائفون من الاحتفاظ بأي شيء، لكن الخوف مستمر. في البداية كانوا جشعين في الدنيا والآن هم جشعون للعالم الآخر، لكن الجشع لا زال موجوداً. هؤلاء الأشخاص في يوم أو بآخر لا بد أن ينضموا إلى دير ما - بعدها سوف يصبحون متعففين عظيمين، أو متخلين عن الدنيا بشكل كبير، لكن هذا لن يغير طبيعتهم.

باستثناء حالة الإدراك، لا شيء يغير الإنسان، لا شيء على الإطلاق. لذلك لا تحاول أن تتظاهر. ذلك الذي لم يحدث، لن يحدث. عليك فهم هذا الأمر، لا تحاول أن تتظاهر ولا تحاول جعل الآخرين يصدقون أن ذلك يحدث، لأنه ما من أحد سوف يخسر في عملية الخداع تلك إلا أنت.

إن الأشخاص الذين يحاولون أن يسيطروا على أنفسهم قد اختاروا الطريق الغبية جداً. السيطرة لن تحدث لكنهم سيصبحون باردين. إنها الطريقة الوحيدة التي يمكن فيها للإنسان أن يسيطر على نفسه - أن تصبح جامداً بحيث لا تظهر أية طاقة. الناس الذين نذروا أنفسهم للعفة سوف لن يأكلوا ما فيه الكفاية، في الواقع، فإنهم سيجّوعون أجسادهم. إذا تولد المزيد من الطاقة في الجسم فسيكون هناك المزيد من الطاقة الجنسية، ولن يعرفوا ماذا يفعلون بها. الرهبان

البوذيون يأكلون وجبة واحدة في اليوم ـ وذلك ليس كافياً. يأكلون فقط ما هو ضروري لحاجات الجسد، الحد الأدنى من الحاجات بحيث لا يبقى المزيد من الطاقة. ذلك النوع من العفة ليس عفة. عندما تفيض بالطاقة وتبدأ تلك الطاقة بالتحول من تلقاء نفسها إلى حب، عندها يحدث نوع من العفة، تسمى (brahmacharya)[4]، والتي تكون حالة جميلة.

دخلت أمرأة عجوز لطيفة إلى متجر واشترت عبوة من النفتالين لمكافحة العث. في اليوم التالي عادت لتشتري خمس عبوات. وبعدها أتت لتشتري دزينة منها.

"لا بد أن لديك الكثير من العث": قال البائع للمرأة.

أجابت المرأة: "نعم، أنا أرمي الكرات عليها منذ ثلاثة أيام ولم أصب إلا واحدة منها!"

من خلال السيطرة على النفس لن تقضي حتى على واحدة منها! إنها ليست الطريقة المناسبة. أنت تقاتل الأوراق، الأغصان، تقطعها هنا وهناك، لكنها ليست الطريقة المناسبة لتقضي على شجرة الرغبة، الطريقة هي بقطعها من الجذور. والجذور يمكن قطعها فقط عندما تصل إلى جذور الرغبة. على السطح لا يوجد إلا الأغصان المكونة من الغيرة، الغضب، الحسد، الكره، الشبق الجنسي. وهي فقط على السطح. وكلما ذهبت أعمق كلما فهمت الأمر أكثر، جميعها تخرج من جذر واحد، وذلك الجذر هو عدم الإدراك.

التأمل يعني الإدراك. إنه يقطع الجذر بحد ذاته. وعندها تختفي الشجرة تلقائياً. عندها يتحول الشغف إلى تعاطف.

---

(4). Brahmacharya : البراهما شاريا: هي السلوك الذي يوصل الإنسان إلى حالة (البارهمان). تعني (البراهمان) الأعلى، الأسمى، روح الكون التي تُعْتَبَرُ المصدر والتي تدعم الكون المحسوس. كما يشير (البراهمان) إلى المطلق أو الألوهية.

كنتُ قد سمعت عن معلم زن كبير أصبح هرماً وأعمى تقريباً في عمر السادسة والتسعين، ولم يعد قادراً على التعليم أو العمل في ديره. قرر الرجل عندها أن الوقت قد حان ليموت لانه لم يعد مفيداً لأي شخص، ليس باستطاعته تقديم أية مساعدة. لذلك توقف عن الطعام.

عندما سُئِل من قبل الرهبان لماذا يرفض طعامه، أجاب بأنه قد عمّر كثيراً ولم يعد مفيداً وأصبح مزعجاً بالنسبة للجميع.

قالوا له، "إن متَّ الآن" ـ كان ذلك في كانون الثاني ـ "والبرد قارس، فالجميع سيكونون غير مرتاحين في جنازتك، وستكون أكثر إزعاجاً. لذلك نرجو أن تأكل."

من الممكن لذلك أن يحدث فقط في دير الزن، لأن الأتباع يحبون معلمهم بعمق، احترامهم له عميق لأنه ليس هناك من حاجة لأية شكليات. لاحظ فقط ما الذي قالوه له. قالوا: "إن مت الآن، وكان ذلك في كانون الثاني، وكما ترى فإن البرد قارس، فإن الجميع سيكونون غير مرتاحين في جنازتك وستكون أكثر إزعاجاً. نرجوك أن تأكل."

من أجل ذلك عاد إلى الطعام. لكن عندما أصبح الجو دافئاً مجدداً، توقف عن الطعام وبعد وقت قصير انقلب بهدوء ومات.

يا له من تعاطف! شخص يعيش من أجل التعاطف، ويموت من أجل التعاطف. شخص مستعد لأن يختار الوقت المناسب كي لا يضايق أي شخص ولا يسبب إزعاجاً.

لقد سمعت عن معلم زن آخر كان يوشك أن يموت.

قال ذاك المعلم، "أين حذائي؟ أحضروه".

سأل أحدهم: "إلى أين أنت ذاهب؟ قال الأطباء إنك توشك أن تموت."

أجاب:"أنا ذاهب إلى المقبرة "

"لكن لماذا؟"

أجاب: "لا أريد أن أزعج أحداً. وإلا كان عليكم أن تحملوني على أكتافكم."

وذهب إلى المقبرة ومات هناك.

إنه تعاطف عظيم! يا لروعة أخلاق ذلك الرجل، لا يسبب حتى هذا الكم القليل من المشاكل لأي شخص؟ وأولئك الناس قد ساعدوا الآلاف. الآلاف كانوا ممتنين لهم، الآلاف قد امتلؤوا بالنور والحب بسببهم. مع ذلك لا يرغبون بإزعاج أي شخص. إن كانوا مفيدين فسيرغبون بالعيش و المساعدة، إن كانوا غير مفيدين عندها يكون الوقت المناسب ليغادروا و يرحلوا.

الآن لنشرح القصة.

كان هناك امرأة عجوز في الصين كانت قد ساعدت راهباً لمدة عشرين عاماً. كانت قد بنت كوخاً له، وأطعمته بينما كان يمارس التأمل.

إنها معجزة تلك التي حدثت في الشرق. الغرب يبقى غير قادر على فهم ذلك. لمدة قرون في الشرق، إن أراد شخص ما أن يمارس التأمل فإن المجتمع يطعمه. كان يكفي أنه يمارس التأمل. لا أحد يعتقد أن هذا عبء على المجتمع ـ "لماذا علينا أن نعمل من أجله؟" كونه يمارس التأمل هو سبب كافٍ، لأن الشرق عرف أنه حتى إن توصّل شخص واحد إلى التنور فإن الجميع يتشاركون طاقته، ولو أن شخصاً واحداً أزهر في التأمل فإن شذاه سيصبح جزءاً من المجتمع ككل. والكسب عظيم جداً لأن الشرق لن يقول أبداً: "لا تجلس هنا وتتأمل. من الذي سيطعمك؟ من الذي سيجلب لك اللباس؟ من الذي سيمنحك ملاذاً؟" الكثير الكثير ـ كان لبوذا عشرة آلاف من الأتباع الذين ينتقلون معه، لكن الناس كانوا سعداء لكونهم يطعمونهم، يؤمنون لهم المأوى، يلبسونهم، يعتنون بهم، لأنهم يمارسون التأمل.

من المستحيل جداً في الغرب أن يفكروا بتلك الطريقة. حتى في الشرق أصبح ذلك صعباً. في الصين تم إغلاق الأديرة، أمكنة التأمل قد تحولت إلى مستشفيات أو قاعات دراسة، المعلمون العظماء قد اختفوا. لقد أجبروا على العمل في الحقول أو في المصانع. لم يعد يسمح لأحد بممارسة التأمل لأن هناك فقداً لمستويات

الفهم العظيمة. إن العقل الآن مملوء بالكامل بالمادية وكأن المادة هي كل ما في الوجود.

إن أصبح شخص ما في بلدة ما مستنيراً فإن البلدة كلها سوف تستفيد. لا يمكن اعتبار مساندته أمراً غير مفيد. مقابل لا شيء سوف تحصل على كنز عظيم! الناس كانوا يسعدون بتقديم المساعدة.

لمدة عشرين سنة ساعدت تلك المرأة الراهب الذي كان يمارس التأمل ولا يفعل شيئاً. كان يجلس في (zazen)، بنت له كوخاً، اعتنت به، أخذت على عاتقها رعايته بالكامل، وفي أحد الأيام أصبحت هرمة جداً وأوشكت أن تموت، وأرادت أن تعرف فيما إذا كان التأمل قد أثمر أم لا، أو إن كان هذا الرجل قد كان جالساً ببساطة. عشرون عاماً وقت طويل جداً وكافٍ، وقد أصبحت المرأة هرمة وأوشكت أن تموت، أرادت أن تعرف فيما إذا كانت قد خدمت رجل تأمل حقيقياً أو أنه كان مجرد شخص تافه.

في أحد الأيام قررت أن تكتشف الأمر...

لا بد أن هذه المرأة كانت تتمتع بفهم عظيم هي نفسها، فالاختبار الذي جربته كان مفعماً بالفهم.

يوماً ما قررت أن تكتشف التقدم الذي وصل إليه الراهب في كل هذا الوقت.

إن كان التأمل يتطور فإن المعيار الوحيد لتطوره هو الحب، المعيار الوحيد لتطوره هو التعاطف.

حصلت المرأة على مساعدة فتاة مفعمة بالرغبة، وقالت لها: "اذهبي إليه وعانقيه، وبعدها اسأليه فجأة، ماذا الآن؟"

هناك ثلاثة احتمالات. الأول: إن كان لمدة عشرين عاماً لم يلمس امرأة جميلة، فإن أول احتمال كان هو أنه سيقع في الإغواء، سيكون ضحية، سوف ينسى كل شيء حول التأمل وسيمارس الحب مع الفتاة. والإمكانية الأخرى تكون في أنه سيبقى بارداً متحكماً بنفسه ولا يبدي أي تعاطف تجاه الفتاة، إنه ببساطة

سوف يمسك نفسه بصعوبة ولن يقع في الإغواء. والاحتمال الثالث كان يقوم على أن التأمل قد أثمر، وسيكون الراهب في هذه الحالة مفعماً بالحب، الفهم والتعاطف، وسيحاول أن يفهم الفتاة وسيحاول مساعدتها. لقد كانت الفتاة مجرد اختبار لتلك الاحتمالات الثلاثة.

إن كانت الإمكانية الأولى هي ما حدث، فإن التأمل كان ببساطة مضيعة للوقت. إن كانت الإمكانية الثانية فعندها يكون قد أنجز المعيار الاعتيادي في كونه راهباً، ولكن لم يحقق المعيار الحقيقي من كونه رجلاً يمارس التأمل. إن كان ما حدث هو الاحتمال الثاني فهو يظهر ببساطة أنه كان شخصاً متعلقاً بالسلوك، يعني أنه كوّن عادة، تحكّم بسلوكه وسيطر عليه.

لا بد وأنك سمعت باسم (بافلوف) عالم السلوك الروسي الذي قال إنه ليس هناك من وعي في الإنسان أو الحيوان ولا في أي مكان ـ كل ما في الأمر أن هناك آلية عقلية. وبإمكانك أن تدرب تلك الآلية وبعدها تبدأ العمل بالطريقة التي تدربها عليها: كل الأمر مسألة إشراط. العقل يعمل كمنعكس مشروط. إن أنت وضعت الطعام لكلبك فإنه يركض فوراً ولسانه المبتل ممدود أمامه، ويبدأ بإسالة اللعاب. تجربة بافلوف: عندما يقدم الطعام للكلب يبدأ بقرع الجرس وشيئاً فشيئاً يتحد مفعول قرع الجرس وحضور الطعام معاً. وبالاستمرار في ذلك يحدث ذات يوم أنه بقرع الجرس سيركض الكلب فوراً ولسانه المبتل ممدود أمامه.

هذا سخيف، لم يُعرف قط عن كلب أبدى هذه الإستجابة لقرع الجرس. الجرس ليس طعاماً، لكن الآن تَكَيَّفَ المخ مع الترابط. يقول بافلوف يمكن تغيير الإنسان بالطريقة نفسها. عندما يظهر الجنس في داخلك عاقب نفسك بالصيام لسبعة أيام، اجلد جسدك، قف في البرد لليلة كاملة، أو اضرب نفسك، شيئاً فشيئاً سوف يتعلم الجسم هذه الخدعة. عندما يظهر الجنس سوف يكبت أتوماتيكياً بسبب الخوف من العقاب. المكافأة والعقاب تلك هي طريقة تكيف العقل إن كنت تتبع بافلوف.

لا بد أن ذلك الراهب كان يفعل ذلك ـ الكثيرون يفعلون ذلك. تسع وتسعون بالمئة تقريباً من الناس في الأديرة يفعلون ذلك، فقط من أجل السيطرة على عقولهم وأجسادهم بإعادة الإشراط، لكن لا علاقة للوعي بهذا. الوعي ليس عادة جديدة، الوعي هو أن تعيش الحياة مع إدراكك لها، لا أن تتحدد بأية عادة ولا أن تستحوذ عليك أية آلية، هو أعلى من الآلية.

قالت لها: "اذهبي وعانقيه، واسأليه فجأة: "ماذا الآن؟"

(فجأة) هي الأساس بالأمر كله. إن أعطيت القليل من الوقت فسيبدأ العقل بالعمل بالطريقة المشروطة التي استعد لها، لذلك لا تعطي أي وقت، اذهبي في منتصف الليل عندما يكون وحيداً في تأمله. فقط ادخلي إلى الكوخ ـ من المفترض أنه عاش خارج المدينة وحده ـ ادخلي الكوخ وابدئي بمداعبته و ضمه وتقبيله، وفوراً اسأليه: "ماذا سنفعل الآن؟" راقبي ردة الفعل تلك، ماذا حدث له؟ ماذا قال؟ ماذا أصبح لون وجهه؟ إلى ماذا أشارت عيناه، كيف يتصرف ويستجيب لك؟

دخلت الفتاة على الراهب وباشرت فوراً بضمه وتقبيله، وسألته ماذا سيفعل حيال ذلك.

"شجرة هرمة نمت على صخرة باردة في الشتاء،" أجاب الراهب بشيء من الشاعرية، "ليس هناك من دفء في أي مكان."

لقد تحكم بقلبه، لقد تحكم بالعلاقة بين جسده وعقله. عشرون سنة وقت طويل جداً وكافٍ من أجل التحكم. حتى ذلك الهجوم المفاجئ لم يستطع أن يكسر نموذج عاداته. بقي متحكماً بنفسه. لا بد أنه إنسان قادر جداً على التحكم. بقي بارداً، وليس لديه أي جزء من الطاقة، وقال: "شجرة قديمة نمت على صخرة باردة في الشتاء،" ليس متحكماً بنفسه وبارداً وحسب ـ كان متحكماً بشكل فظيع، بقي بارداً جداً حتى في تلك الحالة الخطيرة، الاستفزازية، المغوية، استطاع أن يستخدم كلمات شعرية للإجابة، لا بد أن التحكم قد مضى عميقاً جداً في جذوره.

"شجرة قديمة نمت على صخرة باردة في الشتاء،" أجاب الراهب بشيء من الشاعرية، "الآن ليس هناك دفء في أي مكان."

هذا كل ما قاله.

عادت الفتاة ورددت ما قاله لها.

"أغضب عندما أفكر بأني أطعمت هذا الشخص لمدة عشرين عاماً!" صرخت المرأة العجوز بغضب.

لم يثمر تأمله. لقد أصبح بارداً وميتاً، كالجثة، لم يصبح أبداً مستنيراً أو بوذا.

"إنه لم يبد أي اهتمام لحاجاتك..."

إن الشخص المتعاطف يفكر دائماً فيك، بحاجاتك. لكن الراهب بقي مركزاً على ذاته ببرود. ببساطة قال شيئاً عن نفسه: "شجرة كبيرة نمت على صخرة في الشتاء، ليس هناك دفء في أي مكان." لم ينطق بأية كلمة حول الفتاة. حتى لم يسأل: "لماذا أتيت؟ لماذا؟ ماذا تريدين؟ لماذا اخترتني بدلاً من كل الناس الآخرين؟ اجلسي." كان عليه أن يستمع لها. من المفترض أنها في حاجة ماسة. لا أحد يأتي في منتصف الليل إلى راهب ذابل جالس في حالة التأمل لمدة عشرين سنة. لماذا أتت؟ لم يعرها أي انتباه. الحب دائماً يفكر بالآخر، الأنا فقط تفكر بنفسها. الحب دائماً يراعي شعور الآخر، الأنا لاتهتم لذلك. الأنا لديها فقط لغة واحدة تتعلق بالنفس. الأنا دائماً تستخدم الآخر، الحب جاهز للاستخدام، جاهز ليخدم.

"لم يظهر أي اهتمام لحاجاتك، لم يكن لديه أية نزعة ليستوضح حالتك."

عندما تذهب إلى شخص لديه تعاطف وينظر إليك، فإنه ينظر بعمق في قلبك. يحاول أن يستكشف مشكلتك، لماذا أنت في هذه الحالة؟ لماذا تقوم بما تقوم به؟ هو ينسى نفسه. هو ببساطة يصبح مركزاً على الشخص القادم إليه، على حاجات ذلك الشخص، مشكلته، قلقه، يركز على مشاعره. يحاول أن يساعد. أياً كان ما يستطيع فعله فسوف يفعله.

"لم يكن بحاجة للاستجابة للشغف..."

هذا صحيح. الرجل المتعاطف لا يستطيع الاستجابة بأسلوب الشغف. هو ليس بارداً، لكنه هادئ. باستطاعته أن يعطيك الدفء، الدفء المغذي، لكن لا يستطيع أن يعطي الحمّى، ليس لديه أي منها. تذكر الفرق بين الجسد المحموم والجسد الدافئ، الجسد المحموم ليس جسداً سليماً، الجسد الدافئ جسد سليم ببساطة، والناس يصبحون محمومين عبر الانفعال. هل راقبت يوماً نفسك في العمق عند الانفعال؟ تكون مهووساً بجنون تقريباً، مجنوناً، جامحاً، وأنت لا تعرف السبب، ولديك مستوى عال من الحمى، فكل جسدك يرتعش ضمن إعصار ليس له مركز.

الجسد الدافئ جسد سليم ببساطة. تماماً كالمرأة التي تضع طفلها على صدرها لترضعه، ويشعر الطفل بالدفء ـ محاط بالدفء، يتغذى عليها، يشعر بأنه مرحب به بواسطتها. إذن عندما تدخل في جو الإنسان المتعاطف فإنك تدخل دفئاً شبيهاً بدفء الأم، أنت تدخل في حقل الطاقة المغذية. في الواقع، إن أتيت إلى الإنسان المتعاطف فسوف يختفي انفعالك. سوف يصبح تعاطفه قوياً جداً، سيصبح دفؤه عظيماً، سوف ينسكب حبه عليك بشكل تصبح فيه هادئاً، سوف تصبح متوازناً.

"هو لم يكن بحاجة للاستجابة للشغف... لكنه على الأقل كان عليه أن يختبر بعض التعاطف."

في الحال ذهبت إلى الكوخ الخاص بالراهب وأحرقته.

كانت تلك مجرد حركة رمزية إلى أن تلك السنوات العشرين التي كان يمارس التأمل بها هناك ـ تلك الفترة التي كانوا يأملون بها أن يحصل تقدم ما ـ كانت قد ضاعت بلا فائدة.

ليس كافياً أن تكون مجرد راهب بشكل سطحي، مجرد راهب مكبوت و بارد ـ البرودة مؤشر على الكبت، على كبت عميق.

هذا ما كنت أقوله لك: إن ذهبت باتجاه التأمل فإن التعاطف والحب سوف يأتيان بشكل أوتوماتيكي. سوف يتبعان التأمل وكأنهما ظله. لذلك عليك أن لا تقلق حيال ذلك الترابط ـ فالترابط سوف يحدث. يأتي من تلقاء نفسه، ليس عليك أن تجلبه. تختار طريقاً واحداً. إما أن تتبع طريق الحب، التفاني، الرقص، التلاشي بشكل كامل في حبك باتجاه المقدس. ذلك الطريق هو طريق التلاشي، لا حاجة لأي إدراك. أنت بحاجة لأن تكون منتشياً، أن تكون منتشياً بالله بشكل كامل، تحتاج لأن تصبح سكيراً. أو أن تختار طريق التأمل. عندها لن تحتاج إلى التلاشي في أي شيء. تحتاج لأن تصبح بلورياً، تحتاج إلى الاتحاد، اليقظة، الوعي. اتبع طريق الحب، وفي يوم ما وفجأة سوف ترى بأن التأمل قد أزهر في داخلك ـ الآلاف من أزهار اللوتس البيضاء. وليس عليك أن تفعل أي شيء لها، لقد فعلت شيئاً آخر، وقد أزهرت. عندما يصل الحب أو التفاني إلى مستوى الذروة يزهر التأمل. والشيء نفسه يحصل عن طريق التأمل. عليك أن تنسى الحب والتفاني تماماً. ببساطة كن واعياً، اجلس بصمت، استمتع بكينونتك ـ هذا كل ما في الأمر. كن مع ذاتك، هذا كل شيء. تعلم كيف تكون فردانياً ـ هذا كل شيء. وتذكر، الإنسان الذي يتعلم كيف يكون فردانياً لا يشعر بالوحدة أبداً. الناس الذين لا يعرفون كيف يكونون فردانيين هم أشخاص وحيدون.

ثمة سعي باتجاه الفردانية ورغبة بها وأمل بها وصلاة من أجلها. كن فردانياً إلى حد أنه حتى في وعيك لا يتحرك أي ظل للآخر. في طريق الحب تصل إلى التلاشي لدرجة يصبح فيها الآخر فقط حقيقة، بينما أنت تصبح ظلاً، وشيئاً فشيئاً تختفي تماماً. في طريق الحب يبقى الله، وتختفي أنت. في طريق التأمل يختفي الله وتظهر أنت. لكن النتيجة النهائية الكاملة هي نفسها. يحدث هناك توليفة عظيمة.

لا تحاول أبداً أن تؤلف بين الطريقين في البداية. هما سيلتقيان في النهاية. سيلتقيان عند الذروة، سيلتقيان في المعبد.

كان أحد أتباع الحاخام (موشيه) فقيراً جداً. اشتكى إلى (زاديك) بأن ظروفه التعسة كانت عقبة أمام صلاته وتعلمه.

"في هذا العصر،قال الحاخام (موشيه) إن التفاني الأعظم ـ وهو أعظم من التعلم والصلاة ـ هو قبول هذا العالم كما يصادف أنه عليه تماماً."

إن الشخص الذي يسير في طريق التأمل أو الذي يسير في طريق الحب سيحظى بالمساعدة إن هو قَبِل العالم كما هو. والناس الدنيويون لا يقبلون العالم كما هو ـ إنهم يحاولون دائماً أن يغيروا العالم، يحاولون دائماً أن يفعلوا شيئاً آخر، يحاولون دائماً أن يضعوا شيئاً ما في مكان مختلف، يحاولون دائماً أن يفعلوا شيئاً ظاهرياً. بينما الشخص المتدين يقبل بكل شيء ظاهري أياً كان وكما هو. هو ليس مضطرباً وليس مشوشاً بما هو خارجي، لكن كل عمله يتضمن الحركة باتجاه الداخل. شخص يتحرك باتجاه الحب وآخر باتجاه التأمل، لكن كلا التحركين نحو الداخل. العالم المتدين هو عالم نحو الداخل. والداخل هو الماوراء.

في اللغة اللاتينية لكلمة (إثم) معنيان: الأول هو" فقدان الهدف،" والثاني أكثر جمالاً: "في الخارج". الإثم يعني أن تكون في الخارج، أي أن تكون خارج ذاتك. الفضيلة تعني أن تكون في الداخل، أن تكون داخل ذاتك.

لاحقاً، بعد وفاة الحاخام (موشيه) فإن الحاخام (منديل) من (كوتيك) سأل أحد تابعيه: "ماذا كان الشيء الأكثر أهمية بالنسبة لمعلمك؟"

فكر التابع ثم أجاب: "أي شيء صادف أنه يفعله في تلك اللحظة".

اللحظة الحالية هي أكثر الأشياء أهمية.

الخاتمة

قبول التناقض

من الجميل أن تكون فردانياً، ومن الجميل أيضاً أن تكون واقعاً في الحب، أن تكون مع الناس. إنهما أمران متكاملان وليسا متناقضين. عندما تكون قادراً على أن تكون مستمتعاً بالآخرين، استمتع، استمتع لأقصى درجة، ليس هناك من ضرورة لأن تقلق من الفردانية. وعندما تسأم من الآخرين، تحرك باتجاه الفردانية واستمتع بها لأقصى درجة.

لا تحاول أن تختار ـ إن حاولت أن تختار فسوف تقع في المتاعب. كل خيار سوف يخلق انقساماً في داخلك. لماذا الاختيار؟ عندما يكون لديك كلا الخيارين، لماذا عليك اختيار أحدهما؟

إن مجمل تعاليمي مكونة من كلمتين: "التأمل" و "الحب". مارس التأمل بشكل تستطيع به أن تشعر بالصمت الكامل، وأحب بشكل تصبح حياتك معه عبارة عن أغنية، رقصة، احتفال. عليك أن تتحرك ما بين هذين الأمرين، وإن كان

باستطاعتك أن تتحرك بسهولة، إن كان باستطاعتك التحرك بدون أي جهد، فسوف تكون قد تعلمت أعظم أمر في الحياة.

إنها واحدة من أكبر المشاكل على مر العصور: التأمل والحب، الفردانية والعلاقات، الجنس والصمت. الأسماء فقط تختلف والمشكلة واحدة. والإنسان على مر العصور عانى كثيراً بسبب المشكلة التي لم تفهم بشكل صحيح ـ الناس قد اختاروا.

الناس الذين اختاروا العلاقات يقال لهم دنيويون، والذين اختاروا الفردانية يدعون الرهبان، اللادنيويون. لكن كلاهما يعانيان لأنهما يحققان النصف فقط، وأن تكون في المنتصف يعني أنك تعيس. أن تكون كلياً يعني أن تنعم بالصحة، بالسعادة، أن تكون واحداً، كلياً يعني أن تكون مثالياً. أن تحقق النصف يعني أن تكون واحداً، تعيساً لأن النصف الثاني يتابع التخريب، النصف الثاني يحضر من أجل الأخذ بالثأر. النصف الثاني لا يمكن تدميره لأنه نصفك الثاني! إنه جزء أساسي منك، إنه ليس حدثاً عارضاً يمكنك أن تهمله.

الأمر يشبه كما لو أن هناك جبلاً يقرر قائلاً: "لا أقبل بوجود أي وديان حولي"، ولكن بدون وديان لن يكون هناك من جبل، الوديان هي جزء من كيان الجبل، لا يمكن للجبل أن يكون موجوداً إن لم يكن هناك وديان، كل منهما يكمل الآخر. إن قرر الجبل أن يكون موجوداً بدون وديان فلن يكون هناك جبل. وإن قرر الوادي أن يكون بدون الجبل فلن يكون هناك وادٍ أيضاً، وإلا عليك أن تكون متظاهراً ـ على الجبل أن يتظاهر بأن ليس هناك من واد. لكن الوادي موجود هناك ـ بإمكانك أن تخفي الوادي، يمكنك أن تلقي به بعيداً في اللاوعي، لكنه يبقى، إنه يصر على البقاء، إنه شيء موجود، ليست هناك من طريقة لتدميره. إن الجبل والوادي هما حقاً شيء واحد، مثل الحب والتأمل، وكذلك مثل العلاقات والفردانية. إن جبل الفردانية سيظهر فقط في وديان العلاقة.

بإمكانك الاستمتاع حقاً بالفردانية، فقط إن كان باستطاعتك الاستمتاع بالعلاقة. إن العلاقة هي التي تخلق الحاجة إلى الفردانية، إنها إيقاع. عندما تمضي عميقاً في العلاقة مع شخص ما تظهر لديك حاجة كبيرة لتكون فردانياً، تبدأ بالشعور بالتعب، الإنهاك - تعب ممتع، تعب سعيد، لكن إثارة منهكة. شيء جميل جداً أن تتواصل، لكن أنت ترغب الآن بأن تمضي في فردانيتك بشكل يمكنك به أن تلملم نفسك مرة ثانية، ويمكنك مجدداً أن تفيض وتصبح مرة أخرى متجذراً في كينونتك.

عندما كنت واقعاً في الحب كنت قد مضيت في ذات الشخص الآخر وفقدت التواصل مع ذاتك. أصبحت غارقاً، ثملاً. الآن سوف تحتاج لإيجاد ذاتك مرة أخرى. لكن عندما تكون فردانياً فإنك تخلق مرة أخرى الحاجة إلى الحب. وسرعان ما تصبح مشبعاً بشكل تريد فيه المشاركة، سوف تفيض بشكل كبير بحيث تتولد لديك الرغبة بشخص لتسكب ذاتك فيه، تحتاج لمن تهب له نفسك.

يظهر الحب من الفردانية، فالفردانية تجعلك ممتلئاً، والحب يتلقى عطاياك. الحب يفرغك لكي تصبح ممتلئاً من جديد. عندما تصبح مفرغاً بسبب الحب تكون الفردانية هناك لتجعلك تتغذى من جديد، لتعيد دمجك. هذا هو الإيقاع.

لقد كان الاعتقاد بأن هذين الأمرين منفصلان أخطر حالات الغباء التي عانى منها الإنسان. بعض الناس يصبحون دنيويين - إنهم متعبون، منهكون، فارغون. ليس لديهم أي مجال لأنفسهم، لا يعرفون أنفسهم، لا يلتقون بأنفسهم. يعيشون مع الآخرين، يعيشون من أجل الآخرين. إنهم جزء من حشد، إنهم ليسوا أفراداً متميزين. وتذكر: إن حياتهم العاطفية لن تكون مشبعة - لم يحققوا غير النصف، وليس هناك من نصف مشبع. الكمال وحده يمنح الإشباع.

وهناك أيضاً الرهبان الذين اختاروا النصف الآخر. الذين عاشوا في أديرتهم. وكلمة راهب (monk) تعني الشخص الذي يعيش منعزلاً فردانياً، الكلمة تصدر عن نفس الجذراللغوي مثل كلمة (monogamy) أي الزواج الأحادي، وكلمة

(monotony) أي الحركة الرتيبة، وكلمة (monastery) أي الدير أو الصومعة، وكلمة (monopoly) أي الاحتكار، إنها تعني الواحد، الفرداني.

الراهب هو الشخص الذي اختار أن يكون فردانياً ـ لكن سرعان ما يصبح مشبعاً، سوف ينضج ولن يعرف في أي مكان سوف يصب ذاته. أين سيسكب نفسه؟ هو لا يستطيع السماح بالحب، لا يستطيع السماح بالعلاقات، لا يستطيع السماح بالاختلاط بالناس. الآن ستبدأ طاقاته بالتحول لتصبح بغيضة، إن أية طاقة تتوقف عن التدفق تصبح مريرة. حتى الرحيق إن بقي راكداً يصبح ساماً ـ والعكس بالعكس، حتى السم إن تدفق يصبح رحيقاً.

أن تكون فياضاً يعني أن تعرف ما هو الرحيق، وأن تصبح ساكناً يعني أن تعرف ما هو السم. إن السم والرحيق ليسا شيئين منفصلين، بل حالتان للنوع نفسه من الطاقة. الفيضان هو الرحيق والجمود هو السم. أينما كانت هناك بعض الطاقة وليس هناك من فتحة خروج لها تصبح سامة. تصبح مرّة لاذعة، تصبح محزنة، تصبح بشعة. وبدلاً من أن تعطيك الكلية والصحة تجعلك مريضاً. إن كل الرهبان مرضى، جميع الرهبان يميلون إلى أن يكونوا حالات مرضية.

الناس الدنيويون أشخاص فارغون، مسئمون، منهكون، يجرجرون أنفسهم بطريقة أو بأخرى تحت شعار الواجب، تحت اسم العائلة، تحت شعار الأمة ـ كلهم أبقار مقدسة ـ يجرجرون أنفسهم بطريقة أو بأخرى باتجاه الموت، إنهم مجرد أشخاص ينتظرون الموت ليأتي ويخلصهم. سوف يعرفون الراحة فقط عندما يصلون إلى قبورهم، لن يعرفوا الراحة أبداً في حياتهم ـ وتلك الحياة التي لا تعرف الراحة ليست حياة في الحقيقة، إنها تشبه مقطوعة الموسيقا التي ليس فيها أي صمت ـ والتي تصبح مجرد ضوضاء، مثيرة للاشمئزاز، تثير غثيانك.

إن الموسيقا العظيمة هي تركيبة من الصوت والصمت، وكلما كان الترابط عظيماً كلما كانت الموسيقا أعمق. إن الصوت يخلق الصمت والصمت يخلق

القابلية لاستقبال الصوت وإلى ما هنالك. الصوت يخلق حباً أكبر للموسيقا والقدرة الأكبر لتكون صامتاً.

استمع إلى موسيقا عظيمة وسوف تشعر بالتقى دوماً، شيء ما كلي، شيء ما يتحد فيك، تصبح متوازناً، متجذراً، تلتقي السماء و الأرض، لا تعودان شيئين منفصلين. الجسد والروح يتقابلان ويندمجان إنهما يفقدان تعريفهما. وتلك هي اللحظة العظيمة، لحظة الاتحاد الصوفي.

إنها معركة قديمة وغبية، غبية بشكل مفرط، لذلك أرجوك أن تكون حذراً: لا تخلق أي معركة ما بين الجنس والصمت. إن أنت خلقت معركة فإن الجنس لديك سيكون بشعاً، مريضاً، وصمتك سيكون بليداً وميتاً. دع الجنس والصمت يتقابلان ويندمجان. إن أعظم لحظات الصمت حقاً هي تلك التي تكون متبوعة بالحب، الحب العظيم، ذرى الحب. وذرى الحب عادة تكون متبوعة بلحظات الصمت العظيمة وبالفردانية. التأمل يقود إلى الحب والحب يقود إلى التأمل. إنهما شريكان، من المستحيل فصلهما. إنها ليست مسألة خلق توليفة بينهما - من المستحيل فصلهما. إنها قضية فهم، إنها مسألة رؤية أنهما جزء لا يتجزأ. التركيبة موجودة مسبقاً، إنها سلفاً حالتهما. إنهما واحد! وجهان لعملة واحدة. لا داعي لإيجاد توليفة بينهما، إنهما غير موجودين بشكل منفصل. وقد حاول الإنسان فصلهما، حاول جاهداً، لكنه فشل دائماً.

إن التدين لم يصبح حتى الآن هواء الأرض، التدين لم يصبح حتى الآن القوة الحيوية جداً في العالم. وما هو السبب؟ إنه ذلك الفصل، ذلك التقسيم. حاول أن تكون دنيوياً أو أن تكون غير دنيوي، اختر ما تشاء! في اللحظة التي تختار فيها سوف تفقد الشيء الآخر. أيما كان الشيء الذي تختاره سوف تكون خاسراً.

أنا أقول لك ألا تختار. أنا أقول عِشْ الأمرين في اتحادهما. بالطبع أنت بحاجة إلى مهارة لتعيش الحالتين، من السهل جداً أن تختار وأن تتعلق بواحد. أي أبله يستطيع أن يفعل ذلك ـ في الواقع، لم يفعل ذلك سوى البلهاء، بعض البلهاء اختاروا أن يكونوا دنيويين وبعض البلهاء اختاروا أن لا يكونوا دنيويين. الرجل الذكي يحب الاثنين. وهذا هو كل ما تدور حوله الـ (sannyas). يمكنك أن تأخذ الكعكة وتأكلها أيضاً ـ هذا هو الذكاء.

كن واعياً، مدركاً، ذكياً. انظر إلى الإيقاع وتحرك مع الإيقاع بدون أية خيارات. ابق مدركاً بدون خيار. شاهد كلا الحدين الأقصيين. على السطح يبدوان متعاكسين، متضادين، لكنهما ليسا كذلك. في العمق هناك التكامل. إنه نفس النواس الذي يذهب إلى أقصى اليمين وأقصى اليسار. لا تحاول تثبيته إلى اليمين أو إلى اليسار، إن قمت بتثبيته فسوف تحطم الساعة. ذلك ما تم فعله حتى الآن.

تقَبّل الحياة بكل أبعادها.

أنا أتفهم المشكلة، المشكلة بسيطة ومعروفة تماماً. المشكلة هي أنك عندما تبدأ بالعلاقة فأنت لا تعرف كيف تبقى فردانياً، وهذا ببساطة يظهر عدم الذكاء. إن الخطأ ليس في العلاقة، إنه ببساطة يُظهر أنك لا زلت لست ذكياً بما يكفي، إن العلاقة تصبح أكثر من أن تحتمل حتى أنك لا تجد فيها أي مساحة لتكون فردانياً وتشعر بعدها بالتعب والإرهاق. وبعدها وفي يوم من الأيام تقرر أن العلاقة أصبحت سيئة، إنها بلا معنى: "أريد أن أصبح راهباً. سوف أذهب إلى كهف في الهيملايا وأعيش وحيداً هناك". وتحلم أحلاماً عظيمة عن الفردانية. كم ستكون جميلة ـ لا أحد ينتهك حريتك، لا أحد يحاول أن يتلاعب بك، ليس عليك أن تفكر بالآخر على الإطلاق.

يقول جان بول سارتر، "الآخر هو الجحيم." هذه العبارة ببساطة تظهر أنه غير قادر على فهم التكاملية بين الحب والتأمل. "الآخر هو الجحيم" ـ نعم، يصبح

الآخر جحيماً إن كنت لا تعرف كيف تكون فردانياً في بعض الأوقات. داخل كل نوع من العلاقات يصبح الآخر جحيماً. إنه ممل، متعب، مرهق. إن الآخر يفقد كل جماله لأن الآخر أصبح معروفاً. أنتما متعارفان جيداً، ليس هناك مزيد من المفاجأة. أنت تعرف منطقتك بشكل ممتاز، أنت تنقلت في تلك المنطقة لوقت طويل وليس هناك من مزيد من المفاجأة. إنك ببساطة قد شبعت من كل شيء.

لكنك أصبحت متعلقاً والآخر أصبح متعلقاً بك. الآخر يعيش أيضاً في تعاسة، يصبح كل منكما جحيماً بالنسبة للآخر. وكل منكما متشبث بالآخر، خائف من الفقد والخسارة لأن أي شيء أفضل من لاشيء. على الأقل هناك ما يمكن التمسك به، والشخص يستطيع أن يأمل بأن الغد سيكون أفضل. اليوم ليس هو الأفضل لكن الغد سيكون أفضل. يستطيع الشخص أن يبقى متأملاً وأن يستمر بالأمل. الإنسان يعيش في اليأس ويستمر بالأمل.

عاجلاً أم آجلاً يبدأ الشعور لدى الشخص بأنه من الأفضل أن يكون وحده. لكن إن أنت دخلت في الفردانية، فسوف تكون سعيداً بشكل كبير لبضعة أيام فقط، كما هي السعادة مع الآخر ـ لبضعة أيام. تماماً كما لو أنه شهر عسل في العلاقة، هناك شهر عسل في التأمل أيضاً. لبضعة أيام سوف تشعر بالحرية فقط لكونك مع ذاتك، لا أحد معك لتكون هناك حاجات لديه، لا أحد هناك ليتوقع منك شيئاً. إذ أردت أن تستيقظ باكراً، فإنك تستطيع أن تفعل ذلك، إن لم تكن لديك رغبة بإمكانك أن تستمر بالنوم. إن أردت فعل شيء ما، حسناً، إن لم ترد أي شيء، فليس هناك من يجبرك. لبضعة أيام سوف تشعر بالسعادة العارمة ـ لكن فقط لبضعة أيام. سرعان ما تسأم من كل هذا. سوف تفيض بالحب ولن يكون هناك من يستقبل منك هذا الحب. سوف تصبح أكثر نضجاً، والطاقة تحتاج إلى المشاركة. ستصبح مثقلاً بطاقتك. سوف ترغب بشخص ما ليستقبل تلك الطاقة، ليتلقى طاقتك. سوف ترغب بتفريغ الحمل. في تلك اللحظة ستصبح

الفردانية غير مشابهة للفردانية، ستصبح الفردانية عبارة عن وِحدة. الآن لا بد من التغيير - انتهى شهر العسل. الفردانية قد تحولت إلى عزلة. سوف تصبح لديك رغبة ملحة لإيجاد الآخر. في أحلامك سوف يبدأ الآخر بالظهور.

اذهب واسأل الرهبان بماذا يحلمون. إن الحلم يكون فقط بـ النساء، ليس بإمكانهم أن يحلموا بشيء آخر. إنهم يحلمون بشخص ما ينزل عنهم تلك الأثقال. اسأل الراهبات - إنهن يحلمن فقط بالرجال. وتلك الأشياء تصبح حالات مرضية. عليك أن تكون مدركاً للتاريخ المسيحي. الراهبات والرهبان بدؤوا يحلمون وهم مستيقظون. الحلم يصبح كأنه حقيقة أساسية ليس باستطاعتها أن تنتظر الليل. حتى في النهار تجلس الراهبة هناك وترى الشيطان قادماً، والشيطان يحاول أن يمارس الحب معها. سوف تتفاجأ: حدث كثيراً في العصور الوسطى أن الراهبات قد أُعدِمنَ حرقاً على الأوتاد لأنهن اعترفن بأنهن قد مارسن الحب مع الشيطان. اعترفن بأنفسهن، وليس ذلك فقط، بل إن أولئك اللواتي مارسن الحب مع الشيطان قد أصبحن حوامل منه - حمل كاذب، مجرد هواء ساخن في البطن، لكن بطونهن أصبحت أكبر وأكبر، إنه حمل نفسي، وقد الشيطان بتفصيل شديد - الشيطان كان من اختراعهن. والشيطان قد لاحقهن في الليل والنهار... وكذلك كانت الحالة مع الرهبان.

تلك الحالة من خيارات الفردانية خلقت إنسانية مريضة. والناس الذين يعيشون في هذا العالم ليسوا سعداء، والرهبان غير سعداء - لا يبدو أن هناك أحداً سعيد. إن العالم كله يعيش في تعاسة مستمرة. باستطاعتك أن تختار بين تعاسة وأخرى. يمكنك أن تختار هذه التعاسة أو تلك، لكنها في النهاية التعاسة نفسها. لن تشعر بالرضى إلا لأيام فقط.

لقد أحضرت لك رسالة جديدة. الرسالة هي ألا تختار. ابق واعياً بدون خيار في حياتك، وكن ذكياً بدلاً من أن تغير الظروف. قم بتغيير حالتك النفسية، كن

أكثر ذكاء. هناك حاجة لذكاء أكبر لتصبح سعيداً! وبعدها يمكنك الوصول إلى الفردانية مترافقة مع العلاقة.

اجعل شريكك ـ رجلاً كان أم امرأة ـ مدركاً لذلك الإيقاع. على البشر أن يتعلموا أنه ما من أحد قادر على أن يحب على مدار الساعة، هناك حاجة لفترات الراحة. كما أنه لا أحد يستطيع أن يتلقى أوامر بالحب. الحب ظاهرة عفوية. يحدث الحب في الوقت الذي يحدث به وعندما لا يحدث فإنه لن يحدث. لا شيء يمكن فعله حيال ذلك. إن أنت فعلت أي شيء فسوف تخلق ظاهرة مخادعة وهمية. تمثيلاً.

المحبون الحقيقيون، المحبون الأذكياء، سوف يجعل كل منهم الآخر مدركاً لتلك الظاهرة "إن رغبت بأن أبقى وحدي فهذا لا يعني رفضاً لك. في الواقع، إن حبك هو السبب الذي جعل من الممكن لي أن أبقى لوحدي." وإن أرادت امرأتك أن تُترك لوحدها لليلة واحدة أو لعدة أيام، فيجب ألا تشعر بالألم، يجب ألا تشعر بأنك مرفوض أو بأن حبك لم يصل أو أنه غير مرحب به. عليك أن تحترم قرارها بأن تكون وحدها لعدة أيام. في الواقع، سوف تكون سعيداً! إن حبك كان عظيماً لدرجة شعرت فيها بأنها قد أصبحت فارغة، والآن تحتاج إلى راحة لتمتلئ من جديد.

ذلك هوالذكاء.

بشكل عادي، تعتقد أنك رُفضتَ. تذهب إلى امرأتك، فإن كانت لا تشعر بالرغبة بأن تكون معك أو أنها ليست محبة بما يكفي بالنسبة لك، تشعر بأنك مرفوض، تتأذى أناك، إن تلك الأنا ليست شيئاً ذكياً ـ إن كل الأنوات بلهاء. الذكاء لا يعرف الأنا، الذكاء ببساطة يرى الظاهرة، يحاول أن يفهم لماذا لا ترغب المرأة بأن تكون معك. إنها لا ترفضك ـ أنت تعرف أنها أحبتك بشكل كبير، إنها تحبك

بشكل كبير، لكن هذه لحظة تريد فيها أن تكون وحدها. إن كنت تحبها فعليك أن تتركها بمفردها، عليك ألا تعذبها، عليك ألا تجبرها على أن تمارس الحب معك. وإن أراد الرجل أن يبقى بمفرده، فعلى المرأة ألا تفكر: "لم يعد يهتم بي، ربما أصبح مهتماً بامرأة أخرى". إن المرأة الذكية هي التي تترك زوجها بمفرده حتى يلملم كيانه مرة أخرى، ليمتلك الطاقة مجدداً ويشارك بها. هذا التناغم يشابه تناغم الليل والنهار. الصيف والشتاء، إنه مستمر بالتغير.

إن كان هناك شخصان محترمان حقيقة ـ الحب دائماً محترم، إنه تبجيل الآخر، إنه صلاة وعبادة ـ عندها شيئاً فشيئاً سوف يفهم كل منهما الآخر أكثر فأكثر، وسوف تصبح مدركاً لإيقاع الآخر وإيقاعك. وسرعان ما تكتشف أنه بسبب الحب وبسبب الاحترام أصبح إيقاعاكما أكثر تقارباً. عندما تشعر أنت بالحب سوف تشعرهي بالحب، ويرسخ الأمر، وذلك الرسوخ يكون تلقائياً، إنه تزامن.

هل راقبت،...؟ إن صادفت عاشقين حقيقيين سوف ترى العديد من الأشياء المتشابهة فيما بينهما. العاشقان الحقيقيان يصبحان كأنهما إخوة وأخوات. سوف تتفاجأ ـ حتى الإخوة والأخوات لن يظهروا بمثل هذا التشابه. تعابيرهما، طريقة مشيتهما، طريقة كلامهما، إيماءاتهما ـ يصبح العاشقان الحقيقيان متشابهين مع أنهما مختلفان جداً. إن ذلك بالطبع قد بدأ يحدث، فقط لأنهما معاً، شيئاً فشيئاً يصبحان متناغمين أحدهما مع الآخر. العاشقان الحقيقيان ليسا بحاجة لقول أحدهما للآخر أي شيء ـ الآخر يفهم فوراً، يفهم بشكل حدسي.

إذا كانت المرأة حزينة، فليس عليها أن تقول ذلك، لكن الرجل يفهم ويتركها بمفردها. إن كان الرجل حزيناً فهي تفهم وتتركه بمفرده، تجد بعض الأعذار لتتركه بمفرده. الأشخاص الأغبياء يقومون بالعكس، إنهم لا يتركون الآخر بمفرده، بل يبقون معاً بشكل مستمر، يتعب بعضهم بعضاً ويشعر بعضهم الآخر بالملل، لا يتركون أية مساحة للآخر.

الحب يمنح الحرية، والحب يساعد الآخر على أن يكون نفسه. الحب ظاهرة متناقضة جداً. من جهة يجعل منكما روحاً في جسدين، ومن جهة أخرى يجعلكما في حالة من التفرد والتميز. إنه يساعدك على أن تتخلى عن ذواتك الصغيرة لكنه أيضاً يساعدك على تحقيق الذات السامية. بعدها لن يكون هناك من مشكلة: الحب والتأمل جناحان يوازن أحدهما الآخر. وفيما بين هذين الجناحين تكبر أنت، بينهما تصبح كاملاً.

معلومات حول الكاتب

تم تصنيف (أوشو) في مجلة يوم الآحد اللندنية (the Sunday Times) كواحد من ألف مبدع في القرن العشرين، كما تم تصنيفه في مجلة منتصف يوم الأحد الهندية ((Sunday Mid-day (India)) كأحد العشرة الأوائل مع كل من (غاندي، نهرو، وبوذا.....) الذين قاموا بتغيير قدر الهند. إن تعاليمه عصية على التصنيف، وهي تغطي كل شيء، من بحث الفرد عن مغزى حتى أعقد القضايا التي يواجهها المجتمع اليوم. إن كتب أوشو لم تتم كتابتها بل دُونت من التسجيلات الصوتية والفيديو لأحاديثه الارتجالية التي تمت الإجابة فيها على أسئلة للأتباع وللزائرين خلال فترة خمسة وثلاثين عاماً.

وعن عمله الخاص قال أوشو إنه يساعد على خلق الشروط المناسبة لخلق نوع جديد من الإنسانية. كما أنه غالباً ما وصف الإنسانية الجديدة بـ (زوربا البوذي)، وتعني قابلية الجمع ما بين السعادة الأرضية لزوربا الإغريقي والهدوء الصامت لـ (غوتاما بوذا). تجري الرؤية كجدول ماء صغير خلال كل أشكال أعمال أوشو، وتشمل كلاً من الحكمة الأبدية للشرق وأقصى إمكانيات للغرب في مجال العلم والتكنولوجيا.

وقد عُرِفَ أوشو بمساهمته الثورية بعلم التحول الداخلي، بمقاربة التأمل الذي يعترف بالإيقاع المتسارع للحياة العصرية. إن "التأمل النشط" الفريد من نوعه الذي قدمه، مصمم أولاً للتحرر من الضغوط المتراكمة على الجسد والعقل، بحيث يصبح اختبار التأمل المسترخي والخالي من الأفكار أسهل.

منتجع التأمل

(كميون أوشو العالمي)

تم تأسيس منتجع التأمل الخاص (بكميون أوشو العالمي) من قِبَلِ أوشو كمكان يمكن ممارسة تعاليمه فيه وذلك عبر تجربة شخصية مباشرة. يقع الكميون على مسافة مئة ميل جنوب شرقي بومباي في إقليم بيون الهندي، ويقدم المنتجع برامج متعددة إلى آلاف الزوار الذي يأتون من أكثر من مئة دولة حول العالم.

بيون التي تم بناؤها أصلاً كمنتجع صيفي للأمراء الهنود (المهراجات) وللموسورين من المستعمرات البريطانية، هي الآن مدينة حديثة مزدهرة، إذ أصبحت موطناً لعدد من الجامعات والصناعات التقنية المتقدمة. يمتد منتجع التأمل على مساحة اثنين وثلاثون فداناً في ضاحية مشجرة تُعرف بمنتزه (كوريغاون). رغم أن حرم المنتزه لا يقدم الإقامة للضيوف، فهناك خيارات واسعة من الفنادق والشقق الخاصة المتوفره للإقامة فترة تمتد من عدة أيام وحتى عدة أشهر.

ترتكز برامج المنتجع على رؤية أوشو لإنسان من نوع جديد يكون بإمكانه المشاركة بشكل خلاق في الحياة اليومية، وأن ويسترخي في الصمت و التأمل. معظم البرامج تُقام في أماكن حديثة مكيفة وتتضمن فصولاً دراسية خاصة، دورات، وورشات عمل تغطي كل شيء من الفنون الخلاقة إلى العلاجات الصحية الهولستية، النمو الشخصي والعلاج، العلوم الباطنية السرية. المقاربة الزنّية للرياضة والتسلية، مشاكل العلاقات، والتغيرات المهمة في الحياة للرجال والنساء. ويتم تقديم كل من الجلسات الفردية وورش العمل الجماعية طوال العام، إضافة إلى برنامج يومي من نشاط أوشو التأملي، تسجيلات صوتية وفيديوية لأحاديثه، وتقنيات ممارسة التامل من مختلف التقاليد الروحانية.

تقدم المقاهي والمطاعم في الهواء الطلق ضمن المنتجع خدمات وجبات الطعام الهندية التقليدية وخيارات من الأطباق العالمية، وكلها مصنوعة من الخضار العضوية من المزارع التابعة للكميون. كما أن للحرم مصادره الخاصة والآمنة من الماء المفلتر.

للمزيد من المعلومات حول زيارة المنتجع في الهند، أو لمعرفة المزيد حول أوشو وعمله يمكنكم زيارة الموقع الإلكتروني. www. Osho.com

يقدم الموقع الشامل وبلغات متعددة، جولة ـ عبر الإنترنت ـ في منتجع التأمل، فيه كتب، تسجيلات، قائمة بمراكز المعلومات حول أوشو في جميع أنحاء العالم، ومقتطفات من أحاديث أوشو.

يظل المحب بِكْراً، وكل المحبين عذارى، أما الذين لا يحبون فلا يمكن أن يبقوا عذارى. إنهم يظلون راكدين، وعاجلاً أم آجلاً يبدؤون بالتعفن.

الحب سماء مفتوحة. الحب نار. وعندما تقع في حب امرأة، انتبه. كن حذراً. قد لا يكون ذلك إلا نوعاً من النرجسية.

❖❖❖

الإنسان هو الكائن الوحيد الحر على الأرض.

الإنسان ليس حراً فقط. الإنسان هو الحرية.

الحرية سلّمٌ، إحدى نهايتيه في الجحيم، والأخرى تلامس الجنة. إنه السلّم نفسه، لكن الخيار هو خيارك.

❖❖❖

الفردانية هي طبيعتنا الأساسية. الوحدة هي فردانية أُسيئ فهمها.

من الجميل أن تكون فردانياً، ومن الجميل أيضاً أن تكون مع الناس، أن تكون واقعاً في الحب.

تستطيع أن تستمتع بالفردانية فقط إنْ كان باستطاعتك أن تستمتع بالعلاقة مع غيرك.

❖❖❖

يمنح الحبّ الحرية. والحب يساعد الإنسان على أن يكون نفسه.

الحب ظاهرة متناقضة جداً، فهو يجعل منكما روح[illegible] و يجعلكما في حالة قصوى من التفرد والتميز.

الحب والتأمل جناحان، يوازن أحدهما الآخر، وبين هذب[illegible] / تكبرين، بينهما تصبح / تصبحين كاملاً / كاملة.

دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع
سوريا - اللاذقية - ص. ب 1018 هاتف 422339
دار الحوار
9789933477509